



جمهورية العراق الاتحادية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الحرب الأهلية في ناغورني- كاراباخ

(١٩٨٨-١٩٩٤م)

دراسة تاريخية

أطروحة تقدمت بها الطالبة

زبيدة أحمد ناجي حمزة الحساوي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الحديث والمعاصر

بإشراف

أ.م.د.

سلام فاضل حسون المسعودي

٢٠٢٥م

١٤٤٧هـ

إقرار مشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة **(الحرب الأهلية في لاهورني- كاريباغ ١٩٨٨-١٩٩٤م) دراسة تاريخية** التي تقدمت بها الطالبة (زبيدة احمد ناجي حمزة الحسناوي) في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة كربلاء، قد جرت بإشرافي وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث .

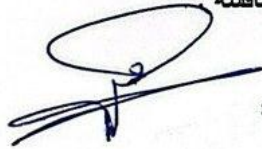


التوقيع :

الاسم: أ.م.د. سلام فاضل حسون

١٦ / ٦ / ٢٠٢٥ م

بناءً على ترشيح المشرف العلمي أرشح هذه الأطروحة للمناقشة



التوقيع:

رئيس قسم التاريخ

أ.م.د. محمد مهدي علي

١٦ / ٦ / ٢٠٢٥ م

قرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (الحرب الاهلية في ناغورني- كاراباخ ١٩٨٨-١٩٩٠ دراسة تاريخية)، وقد ناقشنا الطالبة (زبيدة احمد ناجي) في محتوياتها وفيما لها علاقة بها وبعقد بأنها جديرة بالقبول لنيل مهادة الدكتوراه في التاريخ لحديث والمعاصر بتقدير ()

التوقيع:  الاسم: أ.د. فلاح حسن كزار

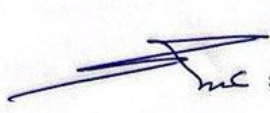
التوقيع:  الاسم: أ.د. عدي محسن غافل

الكلية: جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٩ / ٢٥

عضوا

التوقيع:  الاسم: أ.م.د. ثامر مكي علي

التوقيع:  الاسم: أ.م.د. علاء عباس نعمة

الكلية: جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٩ / ٢٥

عضوا

التوقيع:  الاسم: أ.م.د. سلام فاضل حصون

التوقيع:  الاسم: أ.د. حسين جبار شكر

الكلية: جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٩ / ٢٥

عضوا ومشرفاً

مصادقة مجلس الكلية:

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة كربلاء على قرار لجنة المناقشة.

أ.د. هادي شندوخ حميد السعيد

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة كربلاء

التاريخ: ٢٠٢٥ / ٩ / ٢٥

إقرار الخبير اللغوي

أطلعنا على الأطروحة ((**الحرب الأهلية في ناعوراني - كرابايك (1988-1994م)**

دراسة تاريخية) قد جرى تقويمها لغوياً من قبلنا، ووجدتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع:

اسم الخبير اللغوي: **محمد ضياء رحمان مشعل**

اللقب العلمي:

الكلية: **العلوم الإنسانية**

الجامعة: **جامعة كربلاء**

التاريخ: **1 / 1 / 2025م**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ
بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ
إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الحجرات (الآية ٩)

الإهداء

إلى ...

الذي استعنت به في ضعفي، ولجأت إليه في ضيقي، فكان نعم المعين والنصير...له الحمد أولاً وآخرًا، ظاهراً وباطناً، على ما أنعم وأعان وأتم.

الله جل تعالى

نبع الحنان والأمان، جذوري التي أفخر بها، وسندي الذي لايميل، بدعائكم ومساندكم صار الحلم حقيقة.

أبي وأمي

الذي كان لي عونًا وسندًا بعد الله ، شاركني التعب والأمل، وكان دعمه نبراس طريقي.

زوجي الحبيب

الذي أضاء أيامي بحضوره، وكان صوته وضحته سببًا في صبري ومثابرتي.

إلى طفلي الغالي (رضا)

جميع شهداء العراق الأبطال إليكم جميعًا، أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع، حبًا وامتنانًا لا يُقدَّر

الباحثة

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى جميع من كان لهم الأثر في إنجاز هذه الأطروحة، والذين دعموني علمياً ومعنوياً طوال مدة البحث والدراسة.

أخص بالذكر أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور (سلام فاضل حسون المسعودي) الذي كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته القيمة، وتشجيعه المتواصل، الدور الأكبر في إخراج هذا العمل إلى النور، فله مني كل التقدير والامتنان.

وأزجي وافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أساتذتي في السنة التحضيرية الذين كان لتوجيهاتهم العلمية الأثر الكبير في توجيهي الدراسي العلمي، وهم كل من الأستاذ الدكتور عدي محسن غافل الهاشمي، والأستاذ الدكتور حسين جبار شكر، والأستاذ الدكتور عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي، والأستاذ الدكتور حيدر طالب الهاشمي، والأستاذ الدكتور حيدر صبري شاكر الخيقاني، والأستاذ الدكتور حاتم راهي ناصر، والأستاذ الدكتور علي طاهر الحلي، الأستاذ الدكتور رحيم عبد الحسين، والأستاذ الدكتور كاظم حسن جاسم الأسدي، الأستاذ المساعد الدكتور نعيم عبد جودة، متمنين لهم الصحة وطول العمر.

ولا يفوتني أن أعبر عن امتناني إلى لجنة المناقشة الموقرة على قبولهم مناقشة هذه الأطروحة، وملاحظاتهم التي سيكون لها الأثر الكبير في تطوير عملي العلمي.

وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى إخواني الأعزاء، الذين لم ييخلوا عليّ بالدعم والمساندة في كل المراحل، وكانوا خير سندٍ لي معنوياً ونفسياً، فلهم مني كل الحب والتقدير كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أهل زوجي الأعزاء، الذين غمروني بحبتهم ودعمهم، وكان لتشجيعهم وكلماتهم الطيبة الأثر الكبير في تخفيف أعباء الدراسة وتحفيزي على الاستمرار.

وأتوجه بالشكر الجزيل أيضاً إلى جميع زملائي الطلبة في السنة التحضيرية وأخص زميلاتي هناء سامي وإيمان عباس الذي قدم لي العون والمساعدة طول مدة الكتابة.

إلى كل من أسهم بكلمة، أو نصيحة، أو دعم، أو دعاء، أقول: جزاكم الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتكم.

الباحثة

قائمة المختصرات

باللغة الإنكليزية	الرمز	باللغة العربية
Committee of union and progress	CUP	لجنة الاتحاد والتقدم
Oblast Soviet	O.S	المجلس السوفيتي الاقليمي
Armenian National movement	A.N.M	الحركة الوطنية الارمنية
Human rights watch Committee	H.R W	لجته مراقبه حقوق الانسان
Conference on Security and Cooperation in Europe	CSCE	مؤتمر الأمن و التعاون الاوربي
United nation	U.N	الأمم المتحدة
Central Intelligence Agency	C.I .A	وكالة الاستخبارات المركزية
Foreign Relations of the United States	F.R.U C	وثائق وزارة الخارجية الامريكية
Union of Soviet Socialist Republics	USSR	اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية
Russian Social Democratic Workers' Party.	RSDWP	حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي
New Economical politics	NEP	السياسات الاقتصادية الجديده
Opus Citatum	Op.Cit	المصدر السابق
Ibidem	Ibid	المصدر نفسه
Volume	Vol	المجلد
Page	P.	الصفحة
	ج	الجزء
	ط	الطبعة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ت	الشكر والعرفان
ث	المختصرات
ج-خ	المحتويات
٩-١	المقدمة نطاق البحث وتحليل المصادر
٧٨-١٠	الفصل الأول الجدور التاريخية لناغورني كاراباخ
٢٣-١٠	المبحث الأول: الموقع الجغرافي والتكوين العرقي
١٣-١٠	أولاً : الموقع الجغرافي
١٥-١٣	ثانياً: نظريات الهجرة حول الأصول الارمنية للتكوين العرقي
١٩-١٦	ثالثاً: الرواية التاريخية الأذرية للتكوين العرقي
٢٣-١٩	رابعاً: الأبعاد التاريخية والإقليمية لصراع ناغورني كاراباخ
٥٣-٢٤	المبحث الثاني: الصراع الأذري الارمني في العهد القيصري
٣٣-٢٤	أولاً : التوترات السياسية في اقليم ناغورني كاراباخ (١٨٠٤-١٩٠٥م)
٣٧-٣٤	ثانياً: التطورات العرقية الأذرية (١٩٠٥-١٩٠٦م)
٤٩-٣٧	ثالثاً: ناغورني كاراباخ ابان الحرب العالمية الاولى
٥٣-٤٩	رابعاً: المؤتمر الثلاثي عبر القوقاز ١٩٢٠م
٧٨-٥٤	المبحث الثالث: التدخل السوفييتي في كاراباخ (١٩٢٠-١٩٢٣م)
٦٠-٥٤	أولاً: التأثير السوفييتي على صراع كاراباخ
٦٤-٦٠	ثانياً : الوضع السياسي لناغورني كاراباخ (١٩٢١-١٩٢٣م)
٧٨-٦٤	ثالثاً: ناغورني كاراباخ والقوقاز تحت الحكم السوفييتي (١٩٢٣-١٩٨٥م)

١٣٥-٧٩	الفصل الثاني موقف إدارة ميخائيل غورباتشوف من صراع ناغورني-كاراباخ (١٩٨٥-١٩٩١)
٩٩-٧٩	المبحث الأول: ظهور حركة كاراباخ (١٩٨٥-١٩٩١ م)
٨٦-٧٩	أولاً: وصول ميخائيل غورباتشوف الى السلطة وتطور الصراع (١٩٨٥-١٩٩١)
٩٣-٨٦	ثانياً: عملية التحول السياسي في ناغورني-كاراباخ
٩٩-٩٣	ثالثاً: التدخل الروسي في صراع ناغورني-كاراباخ ١٩٨٨ م
١١٨-١٠٠	المبحث الثاني: سياسة موسكو تجاه القومية الأرمنية والأذرية
١١٤-١٠٠	أولاً: العجز السوفيتي في حل الصراع الارمني الأذري
١١٨-١١٤	ثانياً : ظهور الحركة القومية الأذرية والأرمنية (١٩٨٨-١٩٨٩ م)
١٣٥-١١٩	المبحث الثالث: انفصال ناغورني-كاراباخ عن أذربيجان
١٢٩-١١٩	أولاً: الحركات الانفصالية وانهيار الاتحاد السوفيتي
١٣٥-١٢٩	ثانياً: انتهاء الحكم السوفيتي على ناغورني-كاراباخ
١٨٧-١٣٦	الفصل الثالث الحرب الأرمنية - الأذرية (١٩٩١-١٩٩٤ م)
١٥٤-١٣٦	المبحث الاول : المرحلة الاولى من الحرب
١٤٤-١٣٦	أولاً: التصعيد وبداية الحرب
١٤٧-١٤٤	ثانياً : التطورات العسكرية والسياسية في ناغورني كاراباخ
١٥٤-١٤٨	ثالثاً: الجهود الدبلوماسية المبكرة والمواقف الدولية لاحتواء الصراع
١٦٩-١٥٥	المبحث الثاني: العمليات العسكرية (١٩٩٢-١٩٩٣ م)
١٦٣-١٥٥	أولاً: المرحلة الثانية من الحرب ١٩٩٢ م
١٦٩-١٦٣	ثانياً: دور مجلس الأمن الدولي في صراع ناغورني-كاراباخ
١٨٧-١٧٠	المبحث الثالث: مجريات الحرب الأرمنية الأذرية (١٩٩٣-١٩٩٤ م)
١٧٨-١٧٠	أولاً : المواقف الدولية لإحلال السلام في إقليم ناغورني-كاراباخ

١٨٢-١٧٨	ثانياً : المراحل الأخيرة من الحرب (١٩٩٣ - ١٩٩٤م)
١٨٧-١٨٢	ثالثاً: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية للحرب
١٩١-١٨٨	الخاتمة
١٩٨-١٩٢	الملاحق
٢٢٧-١٩٩	قائمة المصادر والمراجع
A-D	المختصر باللغة الإنكليزية

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

تشكل النزاعات العرقية والإقليمية إحدى أهم مظاهر الانقسامات المعقدة التي شهدتها المناطق التي خضعت للنفوذ السوفييتي خلال القرن العشرين، اذ تراكمت فيها التناقضات العرقية والدينية، والتاريخية، والسياسية، تحت مظلة سلطوية مركزية قوية، سرعان ما انهارت أواخر الثمانينات، لتكشف هشاشة التركيبة السكانية والمؤسساتية في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق.

وقد جاءت هذه النزاعات نتيجة لإرث طويل من القرارات الإدارية المسيية التي أقرت في ظل سلطة مطلقة، لا تعترف بالهويات الوطنية ولا بالحقوق التاريخية للشعوب، بل تنظر إلى الخارطة الجيوسياسية بوصفها مسرحاً لتوازن المصالح ومكافأة الولاءات، ومن بين هذه النزاعات يُعد صراع ناغورني- كاراباخ من أكثرها استعصاء على التسوية، نظراً لامتداده التاريخي، وتشعب أبعاده، وتشابك العوامل المحلية والإقليمية والدولية المؤثرة فيه.

يقع إقليم ناغورني- كاراباخ، التي تعني خط عريض أسود في قلب جنوب القوقاز، وقد مثل عبر قرون طويلة نقطة تماس دائمة بين القوى الكبرى التي تنافست على هذا الإقليم الاستراتيجي، بدءاً من الإمبراطوريات الفارسية والعثمانية، وصولاً إلى الهيمنة الروسية ثم السوفييتية، وقد تميزت هذه المنطقة بتركيبتها السكانية المعقدة اذ شكل الأرمن غالبية السكان، في حين كانت السيادة الإدارية خاضعة - تارة للفرس، وتارة للترك، ولاحقاً للروس، وبعد توسع الإمبراطورية الروسية في القوقاز خلال القرن التاسع عشر، ضمت ناغورني- كاراباخ إلى الحكم القيصري، غير أن التحولات الكبرى جاءت في أعقاب الثورة البلشفية عام ١٩١٧م، التي أعادت رسم خارطة الجمهوريات القوقازية وفق منظور أيديولوجي وسياسي، وليس على أساس الواقع الديمغرافي أو التاريخي، في عام ١٩٢٣م، أقدمت القيادة السوفييتية على ضم ناغورني- كاراباخ ذات الأغلبية الأرمنية الساحقة - إلى جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفييتية، ومنحتها حكماً ذاتياً ضمن الحدود الأذرية في خطوة وصفت لاحقاً بأنها تعبير عن حسابات سياسية هدفت إلى استمالة تركيا الكمالية المتشكلة حديثاً، والحفاظ على التوازن الإقليمي في جنوب القوقاز.

لم يكن هذا القرار إلا تأجيلاً للأزمة لا حلاً لها، إذ ظلت مطالب الأرمن بإلحاق الإقليم بجمهورية أرمينيا حاضرة، لكن القمع السوفييتي والخوف من التصفية السياسية كمن الأفواه لعقود

حتى جاء عقد الثمانينات حاملاً معه ربح التغيير، ومع انطلاق سياسة البيريسترويكا (إعادة الهيكلة والglasnost (الشفافية) التي أعلنها ميخائيل غورباتشوف في منتصف الثمانينات انفتحت الفضاءات العامة في الاتحاد السوفييتي أمام النقاشات العرقية والحقوقية، فخرجت إلى العلن مطالب الأرمن في ناغورني-كاراباخ بالانفصال عن أذربيجان والانضمام إلى أرمينيا، وهي مطالب استندت إلى حجة الأغلبية السكانية والتاريخ المشترك والثقافة الأرمنية العريقة في الإقليم، قابلت السلطات الأذرية هذه المطالب بالرفض القاطع، وترافقت المواقف المتضادة مع تصاعد في التوترات لتتدخل على إثرها مظاهرات واسعة في كل من يريفان وباكو، وسرعان ما تحولت إلى أعمال عنف ومواجهات دموية، مجزرة سومغيت التي راح ضحيتها عشرات الأرمن عام ١٩٨٨م، وقد ترك انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، فراغاً أمنياً وسياسياً كبيراً، إذ استغلت القوى المحلية هذا الفراغ لتعيد ترتيب أوضاعها وفقاً لمنطق القوة، فأعلن الأرمن في ناغورني-كاراباخ من جانب واحد استقلال الإقليم عن أذربيجان، تحت مسمى "جمهورية ناغورني-كاراباخ"، وهو إعلان لم تعترف به أي دولة في العالم، بما في ذلك أرمينيا نفسها، لكنه كان نقطة التحول التي دفعت بالنزاع نحو الحرب الشاملة. وقد خاضت أرمينيا وأذربيجان حرباً مفتوحة من عام ١٩٩١م حتى عام ١٩٩٤م، كانت إحدى أكثر الحروب دموية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وانتهت الحرب رسمياً بتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار بوساطة روسية في أيار ١٩٩٤، وهو اتفاق لم ينه الأزمه بل جمدها، وكرس واقعاً جديداً على الأرض، قوامه سيطرة الأرمن على الإقليم ومناطق محيطة به، في مقابل تهجير مئات الآلاف من السكان الأذريين وتحول ناغورني-كاراباخ إلى كيان فعلي مستقل من دون اعتراف دولي، وظلت المساعي الدبلوماسية التي قادتها مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي، عاجزة عن تقديم تسوية سياسية حقيقية تعالج جذور النزاع، وتلبي مطالب الطرفين المتنازعين.

قسمت الأطروحة على مقدمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة، تضمن الفصل الأول موجزاً جغرافياً وتاريخياً عن إقليم ناغورني-كاراباخ حتى عام ١٩٨٨م، وتطرقت فيه إلى أهمية الموقع الجغرافي والمظاهر الطبيعية للإقليم، وتركيبته السكانية ذات الغالبية الأرمينية والأقلية الأذرية، وتحليل المجتمع المحلي من أذ الديانة واللغة والثقافة، ودور الكنيسة الأرمنية في تشكيل الهوية الجماعية لسكان الإقليم، كما تناول المراحل الأولى لسيطرة الإمبراطورية الروسية على القوقاز،

وضم ناغورني- كاراباخ إليها في أوائل القرن التاسع عشر، وتبعات ذلك على الوضع الديموغرافي والسياسي، وناقش تأسيس الإقليم كمنطقة حكم ذاتي داخل جمهورية أذربيجان السوفيتية عام ١٩٢٣م، في ظل سياسة القوميات التي اتبعتها جوزيف ستالين، كما وركز الفصل على تطور العلاقات بين الأرمن والأذريين خلال الحقبة السوفيتية، وما رافقها من تهميش للأغلبية الأرمنية والمحاولات الأذرية للهيمنة السياسية والثقافية، فضلاً عن سياسة التتريك ونزاعات الهوية والانتماء، واشتداد المطالبات القومية في ظل الانفتاح النسبي في عهد غورباتشوف. كما تناول الفصل في نهايته ملامح الصعود المبكر للحركة الأرمنية في الإقليم، مع تصاعد المطالبة بالانفصال عن أذربيجان والالتحاق بأرمينيا، لتصبح تلك المدة التمهيد الواقعي للانفجار القادم في عام ١٩٨٨م.

سلّط الفصل الثاني الضوء على تطورات الصراع في إقليم ناغورني كاراباخ، وبداية التحول من المطالبات السياسية إلى المواجهة المباشرة عام ١٩٨٨م، من خلال دراسة ظهور الحركة القومية الأرمنية في كاراباخ، والدعوات العلنية للانفصال عن جمهورية أذربيجان السوفيتية، والانضمام إلى أرمينيا، مستفيدين من أجواء الانفتاح السياسي التي رافقت إصلاحات غورباتشوف في إطار البيريسترويكا والglasnost. كما تناول الفصل التدخل الروسي (السوفيتي) المبكر في محاولة تطويق الأزمة، والعجز الواضح من قبل القيادة السوفيتية في موسكو عن احتواء الصراع أو تقديم حلول فعالة، لاسيما بعد تصاعد الاحتجاجات الشعبية في كل من يريفان وباكو، وتحول النزاع إلى صدامات طائفية وعرقية عنيفة. وخصص الفصل حيزاً لظهور الحركة القومية الأذرية كرد فعل على المطالب الأرمنية، واشتداد النزعة الانفصالية داخل كاراباخ، مع اندلاع موجات من العنف والتهجير المتبادل بين الأرمن والأذريين الأمر الذي أدى إلى تفكك تدريجي لسلطة الحزب الشيوعي في الإقليم والجمهوريتين المجاورتين.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان تصاعد الحرب في ناغورني- كاراباخ وتطوراتها بين عامي (١٩٩٢ - ١٩٩٤م)، وركز على الانتقال من التوترات السياسية إلى اندلاع الحرب المفتوحة بين أرمينيا وأذربيجان، مع استعراض التطورات العسكرية الكبرى في الإقليم، وسقوط عدد من المدن الاستراتيجية، كما تناول الفصل تصعيد النزاع خلال عامي ١٩٩١ و ١٩٩٢م،

وفشل المبادرات الروسية والأوروبية في وقفه، إلى جانب عجز مجموعة مينسك عن فرض تسوية سلمية، كما تطرق الفصل إلى المرحلة الثانية من الحرب عام ١٩٩٢م، التي شهدت امتداد رقعة القتال إلى مناطق واسعة، ودور الأطراف الإقليمية في تأجيج الصراع. كما ناقش دور مجلس الأمن الدولي، وقراراته التي دعت إلى وقف إطلاق النار وانسحاب القوات، دون أن تنجح في تنفيذها ميدانياً. كما استعرض الفصل مجريات الحرب خلال عام ١٩٩٣م، والتقدم العسكري للقوات الأرمنية داخل الإقليم والمناطق الأذرية المجاورة، وما خلفه من موجات نزوح وتدهور اقتصادي حاد، إلى جانب الجهود الدولية لفرض تسوية سلمية، وختم الفصل ببحث الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحرب على السكان المحليين، والدور الروسي في رعاية اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٩٤م، الذي أنهى القتال لكنه أبقى على جذور النزاع قائمة حتى ما بعد نهاية الحرب.

اعتمدت الأطروحة على طيف واسع من الوثائق غير المنشورة والمنشورة التي أغنت الدراسة بمعلومات دقيقة وشاملة، وسمحت بتقديم رواية متماسكة وموثقة حول تطورات صراع ناغورني- كاراباخ منذ أواخر العهد السوفيتي وحتى توقيع اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٩٤م، ومن الوثائق غير المنشورة التي كانت لها أهمية خاصة، وثائق الأرشيف الوطني البريطاني (British National Archives)، التي تضمنت تقارير مراسلي السفارات البريطانية ومذكرات كبار الدبلوماسيين حول الصراع الأرمني - الأذري، فضلاً عن تقييمات استخباراتية بريطانية غير منشورة آنذاك عن الوضع الميداني والجهود الدبلوماسية الدولية، وقد كشفت هذه الوثائق عن تفاصيل دقيقة تتعلق بمواقف الدول الكبرى، وآليات صنع القرار في لندن وموسكو تجاه الأزمة، فضلاً عن تحليلات معمقة حول تفكك السلطة المركزية في الاتحاد السوفيتي وانعكاس ذلك على الإقليم. أما الوثائق المنشورة، فقد شملت مجموعة من أهم مصادر المعلومات وفي مقدمتها وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (U.S.Foreign.relationsof the united state) التي ظهرت في سلسلة (FRUS) Department of State والتي عكست بدقة، مواقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة من تطورات الحرب، وسلطت الضوء على الاتصالات مع كل من موسكو وبيريفان وباكو، وعلى الجهود الأمريكية ضمن مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي، كذلك تم الاعتماد على وثائق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية

(CIA) Declassified Documents) ، والتي احتوت على تحليلات استخباراتية حول أسباب اندلاع النزاع وتوقعات تطوره، وطبيعة التحالفات السياسية والعسكرية في المنطقة، فضلاً عن تقييم نفوذ روسيا في الإقليم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وقد جاءت هذه الوثائق لتوفر رواية موازية للتقارير الدبلوماسية التقليدية، ورفدت الدراسة بمادة تحليلية غنية عن أدوار الفاعلين الإقليميين والدوليين.

كما شكلت وثائق الأمم المتحدة (United Nation Documents) ركيزة مهمة لفهم البعد الدولي في النزاع، إذ تم تحليل محاضر جلسات مجلس الأمن وقراراته المتعلقة بالصراع، إضافة إلى تقارير بعثات تقصي الحقائق والبيانات الصادرة عن المبعوثين الدوليين، التي وثقت الانتهاكات المرتكبة خلال الحرب، ومواقف الدول الأعضاء تجاه مشاريع قرارات وقف إطلاق النار، وهذا التنوع في الوثائق المعتمدة - سواء كانت دبلوماسية أم استخباراتية أم أممية - قد أسهم في بناء قاعدة معلومات متينة، أظهرت تعقيدات النزاع في ناغورني - كاراباخ، وشبكة المصالح الدولية المتشابكة فيه، كما ساعدت على رصد تطور المواقف السياسية والعسكرية والاجتماعية، ما أتاح للباحثة تقديم تحليل شامل مدعم بالدلائل والبيانات الأصلية من مصادر أولية موثوقة.

فضلاً عن ذلك، اعتمدت الأطروحة على مجموعة من المصادر الأجنبية المهمة التي ألقت الضوء على مختلف جوانب تاريخ أرمينيا وناغورني - كاراباخ، وكان من أهمها كتاب أودري الشنات (Audrey L.Altstadt) بعنوان الأتراك الأذريين: السلطة والهوية تحت الحكم الروسي **The Cazerbaijani Turks: Power and Identity under Russian Rule** إذ يتناول هذا الكتاب تطور الهوية الأذرية في ظل الحكم الإمبراطوري الروسي ويحلل الكيفية التي سعت بها السلطات الروسية إلى فرض سياسات لغوية، وتعليمية، ودينية، تهدف إلى دمج المسلمين الترك في البنية الإمبراطورية.

وقد أظهر المؤلف أن الهوية الأذرية لم تكن جامدة، بل تطورت بين ضغوط الدولة ومقاومة المجتمع، مما أثر لاحقاً على المواقف القومية في الصراع حول ناغورني - كاراباخ.

وعلى المستوى الوثائقي التاريخي، فقد شكل كتاب جيرارد ليباريديان (Gerard J. Libaridian) بعنوان "ملف كاراباخ وثائق وحقائق حول مسألة كاراباخ الجبلية ١٩١٨-١٩٨٨م"

The Karabagh File: Documents and Facts on the Region of Mountainous Karabakh, (1918-1988)

أحد أهم المصادر التي وفرت مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية التي غطت مدة ما قبل تفجر النزاع المعاصر فقد ركز ليباريديان، وهو مؤرخ ومفكر سياسي أرمني على استعراض الوثائق السوفيتية والقرارات الإدارية التي طالت إقليم ناغورني-كاراباخ، مع تحليل نقدي للسياقات التي أنتجت السياسات السوفيتية تجاه القوميات، وعلى الرغم من طابعه الأرمني فقد جاء هذا العمل غنياً بالمعلومات والمصادر الأولية التي تفيد في بناء سردية نقدية للصراع من الداخل السوفيتي نفسه، وليس فقط من خلال الروايات الغربية أو القوقازية، وقد تم الاعتماد على هذا الكتاب ولاسيما في الفصلين الأول والثاني، لتتبع الخلفية القانونية والإدارية لوضع الإقليم داخل جمهورية أذربيجان السوفيتية والإضاءة على التفاعلات المبكرة بين الأرمن والسلطات المركزية في موسكو وباكو.

كما أفادت الأطروحة من كتاب توماس دي وال (Thomas de Waal) بعنوان حديقة سوداء: أرمينيا وأذربيجان بين الحرب والسلام (Black Garden: Armenia and Azerbaijan through Peace and War) ويتميز هذا الكتاب بجمعه بين الرواية التاريخية والتحليل السياسي، إذ اعتمد المؤلف على مقابلات ميدانية مكثفة ووثائق دبلوماسية، ليقدم وصفا تفصيليا لبداية النزاع المسلح في ناغورني-كاراباخ بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، مع تسليط الضوء على المواقف المحلية والدولية. ويشكل هذا الكتاب مرجعاً محورياً لا غنى عنه لفهم طبيعة الصراع ومراحله، خاصة في عرض الروايات المتضاربة وتحليل دور اللاعبين الإقليميين والدوليين.

أما كتاب ميشيل كروسان (Michael.P..Croissant) المعنون "الصراع الأرمني - الأذري: الأسباب والتداعيات"

Implications The (Armenia-Azerbaijan Conflict: Causes and) ، فقد كان من أهم المصادر التحليلية التي تناولت الأسباب العميقة والمعقدة للصراع في ناغورني - كاراباخ، أذ تميز كروسان بمنهج تحليلي دقيق يجمع بين الخلفيات التاريخية والسياسية والدينية والعرقية، ليقدّم تفسيراً شاملاً للصراع بوصفه ناتجاً عن تداخل عوامل داخلية وأخرى إقليمية ودولية. وركز كروسان على البعد السياسي لانتهيار الاتحاد السوفيتي وتراجع السيطرة المركزية، ما أعاد إحياء النزاعات المجمدة بين القوميات. فضلاً عن تفسيره لجذور النزاع وتطوره بعد الاستقلال، ولاسيما في ظل تصاعد القومية في كلا الطرفين الأرمني والأذري.

أما كتاب ستيفن غروسبي (Steven Grosby) المعنون: حكم التاريخ : الرابط غير القابل للزوال للبدائية - رد على إيلر وكوجلان

The verdict of history: The inextinguishable tie of primordiality – a response to Eller and Coughlan

فقد قدم تحليلاً متعمقاً حول العلاقة الجوهرية التي تجمع الجماعات العرقية في سياق الصراعات العرقية والنزاعات على الهوية الوطنية ، يركز الكتاب على فكرة الرابط البدائي الذي لا يمكن محوه بين الجماعات العرقية، ويعرض كيف أن هذه الروابط التاريخية تلعب دوراً مهماً في اندلاع النزاعات، هذا التحليل قدم لي فهماً أوسع لكيفية تأثير الهويات العرقية العميقة في النزاعات الإقليمية مثل النزاع في ناغورني - كاراباخ.

كذلك أستفدت من عدد من المقالات البحثية مثل مقال وليام سي. بودي (William C. Bodie) المعنون الفوضى والحرب الباردة في "الجوار القريب لموسكو" **Anarchy and Cold War in abroad in near Moscow's** تناول بودي في مقاله تحليلاً شاملاً للعلاقات الجيوسياسية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق بعد انهياره، مؤكداً على دور روسيا في الحفاظ على استقرار المنطقة، وقد ساعدني هذا المقال في فهم تأثير الفوضى الإقليمية الناتجة عن تفكك الاتحاد السوفيتي على أمن القوقاز، سيما في ما يتعلق بالصراع حول ناغورني كاراباخ والتدخلات الروسية في المنطقة.

فضلاً عن ذلك، قدمت الباحثة راشيل سيهر (Rachel Seher) من خلال مقالها المعنون "ما هو دور التحيز في الصراع العرقي؟"

What does prejudice play in ethnic conflict

تحليلاً معمقاً لدور التحيزات العرقية في تأجيج الصراعات بين الجماعات العرقية. تتناول الباحثة في مقالها كيف أن التحيزات المعرفية والاجتماعية تساهم في تصعيد التوترات بين الجماعات، مما يؤدي إلى تطور النزاعات العرقية إلى صراعات مفتوحة. هذا المقال أفادني في فهم الآلية النفسية والاجتماعية التي تساهم في تأجيج الصراعات العرقية مثل صراع ناغورني-كاراباخ، ولاسيما في سياق التوترات بين الأرمن والأذريين وكيف تؤثر الروايات التاريخية المتحيزة على استمرارية النزاع.

أما بالنسبة لبحث "روسيا وإيران تحالف تكتيكي" **Russia.and.iran,atactical.alliance** للباحث روبرت فريدمان (Robert O. Freedman)، فقد قدم تحليلاً مهماً حول العلاقات الروسية الإيرانية، وكيف أن تحالفات مثل هذا التأثير التكتيكي يمكن أن تلعب دوراً في تشكيل السياسات الإقليمية في القوقاز، بما في ذلك كيفية تأثير هذا التحالف على نزاع ناغورني-كاراباخ.

لا بد من الإشارة إلى أن إعداد الدراسات الأكاديمية، لا سيما تلك التي تتناول قضايا دولية معقدة ومتجذرة مثل الصراع في ناغورني-كاراباخ، لا يخلو من التحديات المنهجية والمعرفية، فقد واجهت خلال مختلف مراحل البحث عدداً من الصعوبات التي تطلبت جهداً مضنياً لتجاوزها، كان في مقدمتها النقص الحاد في الأدبيات العربية التي تناولت هذا النزاع بعمق تحليلي ومنظور علمي، ما اضطرني إلى الاعتماد شبه الكامل على مصادر أجنبية متعددة اللغات بعضها لم يكن متوفراً إلا في مكتبات أكاديمية خارج البلاد، وهو ما استلزم وقتاً طويلاً للحصول عليها، فضلاً عن الجهد المبذول في ترجمتها وتوثيقها بصورة دقيقة، ومن بين الإشكالات التي اعترضت سير الأطروحة كذلك، مسألة التعدد الاصطلاحي والتباين الجغرافي في تسميات المناطق المتنازع عليها، والتي تغيرت بفعل التحولات السياسية والإدارية التي عرفتها المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وقد تطلب ذلك مراجعة دقيقة للخرائط والمصادر الأولية

بلغاتها الأصلية لتفادي الالتباس وضمان الاتساق العلمي في الطرح، وعلى الرغم من هذه التحديات، فقد سعت إلى إنجاز دراسة موضوعية تستوفي شروط البحث العلمي من اذ التوثيق والمنهجية، والتحليل فإن وفقت، فذلك بتوفيق من الله، وإن كان هناك قصور أو سهو، فالكمال لله وحده، وما أنا إلا باحث اجتهد بقدر ما أتيح له من أدوات ومعرفة، وأسأل الله أن تجد هذه الدراسة مكانها ضمن الجهود الأكاديمية الجادة في فهم وتحليل هذا الصراع، وأن تساهم، ولو بقدر يسير، في إغناء المكتبة العربية في هذا المجال.

الفصل الأول

الجذور التاريخية لناغورني كاراباخ

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والتكوين العرقي

أولاً : الموقع الجغرافي

ثانياً: نظريات الهجرة حول الأصول الارمنية للتكوين العرقي

ثالثاً: الأبعاد التاريخية والإقليمية لصراع ناغورني كاراباخ

المبحث الثاني: الصراع الأذري الارميني في العهد القيصري

أولاً : التطورات السياسية في اقليم ناغورني كاراباخ (١٨٠٤-١٩٠٥م)

ثانياً: التطورات العرقية الأذرية (١٩٠٥-١٩٠٦م)

ثالثاً: ناغورني كاراباخ ابان الحرب العالمية الأولى

رابعاً: المؤتمر الثلاثي عبر القوقاز ١٩٢٠م

المبحث الثالث: التدخل السوفييتي في كاراباخ (١٩٢٠-١٩٢٣م)

أولاً: التأثير السوفييتي على صراع كاراباخ

ثانياً : الوضع السياسي لناغورني كاراباخ (١٩٢١-١٩٢٣م)

ثالثاً: ناغورني كاراباخ والقوقاز تحت الحكم السوفييتي (١٩٢٣-١٩٨٨م)

المبحث الأول

الموقع الجغرافي والتكوين العرقي

أولاً : الموقع الجغرافي

يحاول هذا المبحث دراسة الموقع الجغرافي لمنطقة ناغورني - كاراباخ ودراسة البواكير الأولى لنشأه العرق الارمني والأذري ، ويهدف إلى تتبع البدايات الأولى للقوميتين والنظريات المتعلقة بالهجرات الأولى، فضلاً عن ذلك، يجيب المبحث على بعض التساؤلات ومنها : ماهي طبيعة الخصائص الجغرافية للمنطقة ولمن تتبع تاريخياً ؟ وإلى أي مدى استعانت أرمينيا وأذربيجان بنظريات الهجرة والأصل العرقي لتعزيز مطالبهما بمنطقة النزاع؟ وهل نجح احد الجانبين بإثبات صحة ادعاءاته وبالتالي أحقيته في المنطقة ؟

تقع منطقة كاراباخ الجبلية ضمن نطاق جمهورية أذربيجان الواقعة في منطقة القوقاز، والتي تقع عند حدود أوروبا وآسيا^(١)، ويطلق الأرمن الذين يعيشون في الإقليم عليها اسم (آرتساخ) وهي كلمة مكونة من مقطعين الأول (آر) نسبة إلى (آرا) إله الشمس عند الأرمن القدماء، و (تساخ) وتعني غابة أو كرمة، وبذلك تعني كلمة (آرتساخ) غابة الإله، أما (الأذر) فيعرفونها باسم يوخاري قره باغ، أو قره باغ العليا بالمعنى الحرفي، وهي موطن جبال القوقاز، بما فيها أعلى جبل في أوروبا وهو جبل البروس (Elbros Mountain)^(٢)، ناغورني - كاراباخ هي منطقة تغطي جغرافياً مساحة تبلغ (٤٣٩٢) كيلو متراً مربعاً داخل المنطقة بين نهري كور وارس في أذربيجان وبحيرة غوكتشي التي تقع داخل حدود أرمينيا والسهول المتصلة بتلك المنطقة والتي تقع في المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقي من جبال القوقاز ؛ وبلغ عدد سكان

(١) ينظر الملحق رقم (١).

(٢) جبل البروس : هو أحد القمم السبع المنتشرة في منطقة القوقاز، وهو أعلى جبل في القارة ويقع جبل البروس بين البحر الأسود وبحر قزوين على أراضي الاتحاد الروسي، على بعد ٢٠ كم فقط من الحدود الجورجية، وقد كان الجبل بركان خامد، حيث وقع الانفجار الأخير منذ حوالي ٢٠٠٠ عام ويُعد الجبل اليوم من المناطق الطبيعية السياحية المميزة للبلاد، للمزيد ينظر :

Roudik Peter, Culture and customs of the Caucasus, Westport , Greenwood Press, Conn, 2009, p. 21.

الفصل الأول

الاقليم حسب احصاء عام ١٩٧٩ (١٦٢,٢٠٠) ألف نسمة شكل الأرمن الغالبية العظمى منهم ، فضلا عن وجود عدد من القوميات الاخرى كالروس وغيرهم ^(١)، وغالباً ما يتم تقسيم القوقاز على القوقاز الشمالي ، والقوقاز الجنوبي الذي ينتمي إليه إقليم كاراباخ ^(٢)، وكلمة القوقاز (The Caucasus) تسمية لاتينية مشتقة من كلمة قوقازوس (Kaukasus) والتي وردت في كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق القدامى ومنهم المؤرخ الشهير هيرودوتس ^(٣) (Herodotus) ، والفيلسوف والمؤرخ اليوناني سترابو أو سترابون (Strabo or Strabon) ، وتنتمي التسمية الروسية قفقاس (Kovkas) إلى الأصل نفسه، ويعتقد أن التسمية من أصل قازقاز (Kaz Kaz)، وهي التسمية التي كان الاذيون يطلقونها علي سكان الساحل الجنوبي من البحر الأسود كما توجد آراء أخرى تقول أن أصل تسمية كلمة " قوقاز " يعود الى قوقاز بن توجارما ثالث أبناء نوح (عليه السلام) ^(٤).

تُعد منطقة القوقاز من المناطق التاريخية الهامة التي تقع بين بحر قزوين والبحر الأسود اذ يحدها من الشمال روسيا، ومن الجنوب إيران وتركيا ، والبحر الأسود من جهة الغرب، وبحر قزوين من الشرق، وتُعد منطقة القوقاز أكثر المناطق تنوعاً من الناحيتين اللغوية والثقافية على وجه الأرض، اذ تعد من أكثر مناطق العالم من اذ عدد القوميات، وتتألف القوقاز من جورجيا، أرمينيا، أذربيجان ، أما القوقاز الروسي فيضم كراسنودار كراي (Krasnodarkrai)، ستافروبول

(١) حسن علي خضير، موقف تركيا من الصراع الأذري -الأرمني على اقليم ناغورني كاراباخ(١٩٩١-١٩٩٩)، مجلة جامعة تكريت، المجلد ٣٢، العدد ٢، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢٥، ص ٣٤٠.

(٢) أحمد عبده طرابيك ، كاراباخ طريق السلام للقوقاز، دار النبلاء للابداع الثقافي، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢ .

(٣) هيرودوتس (٤٨٤-٤٢٥): كاتبا وجغرافيا يونانياً يُنسب إليه الفضل في كونه أول مؤرخ، وقد اشتهر بعد نشر أعظم أعماله وهو سرد طويل للحروب اليونانية الفارسية أطلق عليه اسم كتاب التاريخ (الكلمة اليونانية historie تعني التحقيق) وقبل هيرودوتس، لم يقم أي كاتب على الإطلاق بإجراء دراسة منهجية وشاملة للماضي أو محاولة شرح الأسباب والنتائج لأحداثه وبعد هيرودوتس، أصبح التحليل التاريخي جزءاً لا غنى عنه من الحياة الفكرية والسياسية وقد سار العلماء على خطى هيرودوتس لمدة ٢٥٠٠ عام، للمزيد ينظر:

George Rawlins,History of Herodotus، A new English version, John Murray London،1862,pp.7-8.

(٤)Hanlon Querine, The three images of ethnic war, Publisher. Westport Conn Praeger Security International,2009,p.34.

الفصل الأول

كراي (Stavropol.krai) ^(١) ، أدغيغا (Adygea) ^(٢) ، قراتشاي (Karachay) – تشيركيسيا (Cherkessia) ، قبرر دينو-بلغاريا (Kabardino Balgaria) ، الشيشان (Chechnya) ، إنغوشيا (Ingushetia) ، أوسيتيا الشمالية (North Ossetia) ^(٣) ، وداغستان (Dagestan) ^(٤) .

إن محاولة تقديم سرد تاريخي للتطور العرقي في كاراباخ قد مثل تحدياً كبيراً ، إذ كانت أراضي ما يعرف اليوم بناغورني – كاراباخ ، كجزء من البرزخ الطبيعي بين البحر الأسود وبحر قزوين منطقة عبور واستيطان لعدد لا يحصى من الجماعات العرقية منذ آلاف السنين ، وبالتالي كانت المنطقة محوراً فاعلاً لصراعات إقليمية وغزوات وتشردمات عرقية لا حصر لها ، وعليه ، فهناك غموض كبير فيما يتعلق بالنقطة الزمنية ونطاق تشكيل ووصول المجموعات الإثنية ومناطق استيطانها المحددة داخل ناغورني – كاراباخ ، ومع ذلك فإن تاريخ الاستيطان قد شكل ركيزة أساسية في دعوى الجانبين الأرمني والأذري على السواء لدعم صحة مطالبتهما الإقليمية ، وقد كان لدى الأرمن والأذريين تاريخاً عرقياً ومكوناً ثقافياً حول التكوين العرقي لتبرير مطالباتهم الإقليمية بالوطن الذي كانت كاراباخ جزءاً لا يتجزأ منه ، وقد أدى استخدام الماضي والقيم

^(١) ستافروبول كراي: هو إقليم تابع لروسيا يقع شمال القوقاز ويُعتبر بوابة للمنطقة من جهة السهوب الروسية ، يضم خليطاً من الأعراق لكنه يتميز بغالبية سلافية روسية ، شكّل عبر التاريخ مركزاً عسكرياً مهماً في التوسع الروسي جنوباً ، تُدار المنطقة مباشرة من موسكو بسبب أهميتها الاستراتيجية ، للمزيد ينظر: أكرم الحوراني ، دراسات في الجغرافيا السياسية لروسيا الاتحادية ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص ١٣٢ .

^(٢) أدغيغا : هي جمهورية ذات حكم ذاتي داخل الاتحاد الروسي تقع في شمال القوقاز ، يقطنها شعب الأدغيغ المعروف أيضاً بالشركس ، وتُعدّ من الشعوب الأصلية في المنطقة ، تعرض شعبها للتهجير القسري خلال الحروب الروسية القوقازية في القرن التاسع عشر ، اليوم يشكل الروس أغلبية السكان مع وجود أقلية أدغيغية تسعى للحفاظ على هويتها ، للمزيد ينظر: مروان قبلان ، القوقاز : صراعات قومية وتدخلات دولية ، مركز الإمارات للدراسات ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢ ، ص ٨٨ .

^(٣) أوسيتيا الشمالية: جمهورية في شمال القوقاز ضمن روسيا ، يسكنها الأوسيتيون ، الذين يُعتقد أنهم ينحدرون من الشعوب الإيرانية القديمة ، تحديداً من السكيثيين ، يدين أغلبهم بالمسيحية الأرثوذكسية ، مع وجود أقلية مسلمة ، المنطقة شهدت توترات بسبب صراعاتها التاريخية مع إنغوشيا والمجاورة للشيشان ، للمزيد ينظر : محمد نور الدين أفاية ، القوقاز : تقاطع النار والهوية ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، ٢٠٠٨ ، ص ١١٤ .

^(٤) أحمد عبده طرابيك ، المصدر السابق ، ص ٥ .

والثقاليات والروايات التاريخية المرتبطة بالمكان والإقليم إلى زيادة حدة التنافس على كاراباخ ولذلك فإن فهم الماضي العرقي ضرورة في فهم طبيعة الصراع^(١).

وفي السياق نفسه استعمل الأرمن والأذريين العديد من الحجج التاريخية القديمة لتعزيز مطالباتهم الوطنية بأراضي ناغورني- كاراباخ، إذ كان لدى الجانبين روايات مختلفة حول النشأة العرقية والتي غالبًا ما تستخدم لتعريف حقوق المواطنة وإضفاء الشرعية لوجودهم على ما كان يفترض أنه أراضيهم^(٢).

ثانيًا: نظريات الهجرة حول الأصول الأرمنية للتكوين العرقي

خلص العلماء الأرمن البارزين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى أن الهجرات الجماعية الأرمنية قد حدثت من الموطن الأصلي للهنود الأوروبيين إلى المرتفعات الأرمنية عبر البلقان ومنطقة بحر إيجه في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، واعتقدوا أن الأورارتيين (The.Urartians)^(٣)، وهم مجموعة عرقية تسكن المرتفعات الأرمنية، ليسوا أرمنًا، كان الأرمن الأوائل من الهنود أوروبيين الذين من الممكن أن يظهروا في المرتفعات الأرمنية في موعد لا يتجاوز القرن الثاني عشر ولا يتجاوز القرن السادس قبل الميلاد وقد ظهرت تفسيرات مختلفة لنظرية الهجرة ومع ذلك اعتقد الجميع أن القبائل المهاجرة حملت لغة هندو أوروبية، لغة أرمنية أولية، إلى المرتفعات الأرمنية وأن المتحدثين الهنود-أوروبيين اندمجوا مع القبائل الأصلية

(1) Alexm Marshall, The Caucasus under Soviet rule, Publisher, Routledge, New York, 2010, p.19.

(2) Ibid, p.22.

(3) الأورارتيين: المعروفة أيضًا باسم مملكة أورارتو أو مملكة فان، كانت حضارة تطورت في العصر البرونزي والحديدي في أرمينيا القديمة وشرق تركيا وشمال غرب إيران منذ القرن التاسع قبل الميلاد. وبفضل سيطرتها على الأراضي من خلال القوة العسكرية وبناء الحصون، تميزت المملكة بإنتاج حيوي في الفنون، وخاصة الأعمال المعدنية، وبعد أن نجت المملكة من قرنين فقط من الزمان، وقد اختفت حضارة الأورارتو بشكل غامض في القرن السادس قبل الميلاد ولم يتم إعادة اكتشافها كثقافة قديمة مميزة ومعروفة إلا من خلال الحفريات التي أجريت في القرن التاسع عشر الميلادي، للمزيد ينظر:

B. B. Piotrovskii, Urartu, Publisher, London, Barrie & Rockliff, 1969, p.28.

التي تعيش بالفعل في المنطقة، وبعد اختفاء الإمبراطورية الآشورية والمملكة الأورارتية، تطور الشعب الأرمني من هذه الاندماجات^(١).

١- نظرية سورين يريميان (Surin Yirimyan) ^(٢) حول أصول الأرمن .

أكد سورين ييرميان أن الاتحاد القبلي لهاياسا-عزي (Hayasa.Azzi)^(٣) (قرابة ١٥٠٠-١٢٠٠ قبل الميلاد)، والذي كان يقع في الجزء العلوي من مجرى نهر الفرات في منطقة أرزينجان (Erzincan)، وأرضروم (Erzurum)، الحديثة هو أقدم مكون عرقي للشعب الأرمني وأساس تكوينه العرقي المسمى (اريمي) أو (ارمينز) والذين نقلوا اللغة الأرمنية البدائية من البلقان إلى الهضبة الأرمنية، ومع الهجرات العرقية العامة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، نزل الأرميني مع جيرانهم إلى وادي الفرات العلوي ونهر أرسانياس واندمجوا مع السكان الأصليين في جبال ساسون ومدينة موش، وشكلوا "دولة" أورمي في المنطقة الممتدة من شمال طوروس إلى

^(١)Maximilian Streck, Armenien Kurdistan und Westpersien, nach den Babylonischassyrischen Keilinschriften, Publisher. München, 1898, p.64

^(٢)سورين ييرميان (١٩٠٨-١٩٩٢): مؤرخًا وعالم جغرافيا أرمنيًا سوفيتيًا، ويُعد من أهم المتخصصين في الجغرافيا التاريخية لأرمينيا القديمة والعصور الوسطى، اشتهر بعمله الأساسي حول أشخارنوتس (Ashkharhatsuyts)، أطلس جغرافي منسوب للمؤرخ الأرمني أناانيا شيراكاتسي من القرن السابع، قام ييرميان بتحقيق هذا العمل ونشره مع شروحات وخرائط، مما جعله مرجعًا أساسيًا في الدراسات الجغرافية الأرمنية، للمزيد ينظر:

Robert H. Hewsen, The Geography of Ananias of Širak (Ašxarhac'oyc'): The Long and the Short Recensions, Reichert, Wiesbaden, 1992, p. 7

^(٣) كان اتحاد هاياسا عزي اتحادا كونفدراليا في أواخر العصر البرونزي في الشبوعيات الأرمنية أو منطقة بونتيك في آسيا الكبرى حوالي ١١٩٠ قبل الميلاد، ويعتقد أنه لفترة طويلة لعبت هاياسا عزي دورًا مهمًا في حماية الأرمن، إلا أن هذه المعلومات غير مؤكدة إذا لا توجد أي مصادر أولية تتحدث عن هذا الاتحاد، وعلى هذا النحو فإن التاريخ المبكر لهاياسا عزي غير معروف، إلا أن المؤرخين أكدوا أن هذا الاتحاد قد توسع من منطقة القوقاز نحو شمال شرق تركيا في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد، للمزيد ينظر:

Vartan Matiossian, Azzi-Hayasa on the Black Sea, Another Puzzle of Armenian Origins, Frances & Taylor, New York, 1982, p.13.

نتوءات طوروس الأرمنية بالقرب من منابع نهر دجلة، بما في ذلك وادي الفرات الأعلى، إذ تشكلت نواة الدولة الأرمنية المستقبلية والشعب الأرمني^(١).

٢- نظرية إيغور ديكانوف (Igor Diakonoff) ^(٢) حول الأصول الأرمنية

أشار إيغور ديكانوف إلى أن المجموعة اللغوية التراكو-فريجية لم تكن المكون الوحيد للشعب الأرمني، فبحلول نهاية القرن الثالث عشر، كان هناك عدد من قبائل الهورو-أورارت في المرتفعات الأرمنية مختلطة مع اللوفيين في وادي الفرات العلوي، وبدأ المجتمع الطبقي في الظهور في بعض الأماكن، فضلاً عن تشكيلات الدولة الأرمنية الأولى، وبحسب النظرية، فإن المعلومات القليلة حول المرتفعات الأرمنية في الألفية الثالثة قبل الميلاد قد ساهمت في عدم تحديد موقعها الدقيق، إلا أنها وبشكل هام تنتمي إلى منطقة ثقافة كور-أراكسيس (Kura-Araxes)، في منطقة ما وراء القوقاز^(٣).

تعرضت النظريات السابقة إلى النقد الشديد من قبل المؤرخين الأرمن المعاصرين، والذين بدورهم أكدوا أن الأرمن هم السكان الأصليون للهضبة الأرمنية والذين كانوا موجودين هناك منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد على أبعد تقدير والألفية السادسة قبل الميلاد على أقرب تقدير إذ كان لدى الأرمن شكل من أشكال تنظيم الدولة منذ القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، وهو ما أشار إلى أن الشعب الأرمني كان من أقدم الشعوب على وجه الأرض^(٤).

(1) J. Greppin, Early Greek Historical Fragments Pertinent to Armenian Matters, Journal of the Society for Armenian Studies, 1984, p.55.

(2) إيغور ميخائيلوفيتش ديكانوف (١٩١٥-١٩٩٩) : مؤرخاً وفيلولوجياً روسياً بارزاً، اشتهر بخبرته في تاريخ ولغات الشرق الأدنى القديم، ولاسيما حضارات بلاد ما بين النهرين، قدّم إسهامات كبيرة في دراسة اللغات المسمارية مثل الأكادية والسومرية، وأجرى أبحاثاً رائدة حول تاريخ الإمبراطوريتين الآشورية والبابلية، كما تخصص ديكانوف في اللغات غير الهندوأوروبية واللغات القوقازية، عمل في معهد الاستشراق التابع للأكاديمية العلوم الروسية، وألف عدداً من الأعمال المؤثرة التي ما تزال تُعد مراجع أساسية في هذا المجال، للمزيد ينظر:

Igor M. Diakonoff, The Paths of History, Cambridge University Press, Cambridge, 1999, pp. 3-9

(3) M. Chahin, The kingdom of Armenia, Croom Helm, London, 1987, P.79.

(4) N. Khazaradze, The Western Muski in Central Anatolia, in Orientalia: Istorija i jazyki Drevnego Vostoka, and pamjati I.M. Diakonova, St. Petersburg, 2002, p.112.

ثالثاً: الرواية التاريخية الأذرية للتكوين العرقي

إن تتبع الهوية الثقافية الأذرية في عصور ما قبل الحداثة ومحاولة ربطها بأراضي أذربيجان الحديثة هو بلا شك مسألة معقدة وإشكالية، إذ إن معظم المجموعات العرقية التي شكلت الشعب الأذري الحديث كانت من أصل إيراني وتركي، ومع ذلك، من أجل دراسة صعود الشعب الأذري الحديث، كان هناك نظريتان بهذا الخصوص وهما^(١):

١ - النظرية المتوسطة/الأوروباتينية (Atropatena) حول أصول الأذريين

أكد التاريخ الأذري أن الدولة الميديّة^(٢)، كانت إحدى الدول القوية التي تأسست في "الوطن الأذري التاريخي" في شمال وجنوب إذربيجان، وقد ركت النظرية المتوسطة أصول الأذريين بإيران والتي كانت جنوب إذربيجان، إذ يُعد الميديون، وهم شعب هندو - أوروبي أسلاف للإذريين والذين استقروا في الأجزاء الشرقية من إيران الحالية، حول همدان وأصفهان في القرن التاسع قبل الميلاد، وشكلوا بعد ذلك دولة دينية تتبع الديانة الزرادشتية^(٣).

(١) Kurilovicz and H. Hittite, and Further Extensions on to Armenian, Analecta Indoeuropaea Cracovensia. Vol. II: Kurilowicz Memorial Volume. Part 1. Cracow, 1995, p.212.

(٢) كان الميديون مجموعة من الناطقين باللغة الهندية - الإيرانية من آسيا الوسطى الذين هاجروا غرباً ودخلوا شمال إيران حوالي نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد. واستقروا في مرتفعات زاغروس وبحلول نهاية القرن السابع قبل الميلاد أسسوا مملكة ميديا، ونظراً لعدم العثور على أي سجلات مكتوبة للمجموعات المهاجرة من آسيا الوسطى في العصر البرونزي المتأخر، فمن غير الواضح ما هو الاسم التي اعتادوا أن يطلقوا على أنفسهم وقد كان الميديون هو التعديل اليوناني لكلمة مادا وكان يشير إلى الشعب القادم من الإمبراطورية الأخمينية بعد قرون، ومع ذلك، كان الميديون في الأصل مجموعة من قبائل أو عشائر شمال زاغروس، وعلى الأرجح كانوا مرتبطين ببعضهم البعض من خلال اللغة والثقافة وليس من خلال الحكم السياسي، وكانت العشائر الميديّة في صراع دائم مع بعضها البعض قبل توحيدها في القرن الثامن قبل الميلاد، وذلك بشكل أساسي لمقاومة غزوات الآشوريين من الشرق والأورارتيين والسكيثيين من الشمال، للمزيد ينظر:

William Culican, The Medes and Persians, Praeger, New York, 1965, p.33.

(٣) الزرادشتية: هي ديانة فارسية قديمة، نشأت منذ ٤٠٠٠ عام، ويمكن القول إنها أول ديانة توحيدية في العالم، وهي واحدة من أقدم الديانات التي لا تزال موجودة و كانت الزرادشتية هي الديانة الرسمية لثلاث سلالات فارسية، حتى الفتح الإسلامي لبلاد فارس في القرن السابع الميلادي، حيث هرب اللاجئون الزرادشتيون، الذين يطلق عليهم اسم البارسيين، من الاضطهاد الإسلامي في إيران بالهجرة إلى الهند، يقدر عدد أتباع الزرادشتية الآن بنحو ١٠٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠٠ شخص، في جميع أنحاء العالم، ويمارسون اليوم كديانة أقلية في أجزاء من إيران والهند، للمزيد ينظر:

Paula Hartz, Zoroastrianism, Chelsea House Publishers, New York, 2009, p.21.

ونصت النظرية على إنه بحلول الألفية الأولى قبل الميلاد، اندمجت المجموعات العرقية المختلفة الحوريون و اللولوبيون و المناي مع الميديين الهندو-أوروبيين وأصبحت ناطقة باللغة الفارسية وتأثرت بالثقافة والمؤسسات الفارسية ، وكان دور الميديين حاسماً في العملية العرقية المختلطة لمختلف القبائل والشعوب في أراضي إذربيجان، ومع ذلك من وجهة نظر عرقية ثقافية، كان الميديون هم العنصر العرقي المهيمن في التكوين العرقي الأذري، وجرى تشكيل دولة أخرى هي أتروباتيني (التي تعني أيضاً أرض النار)، في القرن الرابع قبل الميلاد والتي تأسست في عام ٣٢٠ قبل الميلاد على يد المرزيان الفارسي الأخميني^(١)، في زمن الإسكندر الأكبر على أراضي جنوب إذربيجان والتي اضحت بمثابة دولة جديد في أراضي إذربيجان^(٢).

٢ - النظرية الألبانية القوقازية^(٣).

نصت النظرية الألبانية القوقازية على أن الأذريين المعاصرين كانوا من نسل الألبان القوقازيين، فوفقاً للمصادر اليونانية والرومانية، فقد وُصفت حدود الدولة الألبانية بأنها تمتد من بحيرة سيفان شرقاً إلى بحر قزوين شمالاً، ومن جبال القوقاز إلى نهر أراكس جنوباً، وتم إنشاء

^(١) كانت الإمبراطورية الفارسية الأخمينية هي الأكبر التي شهدها العالم القديم، حيث امتدت من الأناضول ومصر عبر غرب آسيا إلى شمال الهند وآسيا الوسطى، تأسست في عام ٥٥٠ قبل الميلاد، عندما هزم الملك أستياجيس ملك ميديا، الذي كان يهيمن على جزء كبير من إيران وشرق الأناضول (تركيا)، على يد جاره الجنوبي كورش الثاني العظيم، ملك بلاد فارس (حكم من ٥٥٩ إلى ٥٣٠ قبل الميلاد) الأمر الذي أدى هذا إلى زعزعة توازن القوى في الشرق الأدنى، للمزيد ينظر:

Janett Morgan, Greek perspectives on the Achaemenid Empire, Persia through the looking glass, Edinburgh , Edinburgh University Press, 2016, p.11.

^(٢) Movsēs Khorenats'i, History of the Armenians, Trans: R.W. Thomson, Harvard Cam-bridge, Massachusetts, 1979, p.117.

^(٣) تشير ألبانيا القوقازية إلى مملكة قامت في شرق القوقاز بين القرنين الرابع ق.م والثامن م، تحدّها أيبيريا من الغرب وبحر قزوين من الشرق، واعتنقت المسيحية رسمياً في القرن الرابع قبل أن تخضع للساسانيين ثم للفاتحين العرب، يتحدث العلماء عن لغة ألبانية قوقازية تنتمي إلى الفرع اللّرجي من أسرة اللغات الداغستانية، وكانت لها حواضر قديمة مثل قبالا ثم بّردا وناخيتشيفان وباكو، للمزيد ينظر:

Alison Vacca, Non-Muslim Provinces under Early Islam: Islamic Rule and Iranian Legitimacy in Armenia and Caucasian Albania, Cambridge University Press, Cambridge, 2017, pp.25-30.

الفصل الأول

ألبانيا القوقازية في النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، وبالإشارة إلى المصادر اليونانية القديمة، فقد جادل العلماء الأذريين بأن ألبانيا في القرن الثالث قبل الميلاد احتوت على مراكز إدارية وثقافية، وفي القرن السادس الميلادي، وُصفت ألبانيا بأنها دولة ذات سيادة، لها لغتها الخاصة التي تنتمي إلى الأسرة اللغوية الداغستانية من أصل قوقازي أصلي، إذ أنشأت الدولة الألبانية القوقازية في النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد^(١)، وبالإشارة إلى المصادر اليونانية، فقد جادل العلماء الأذريين بأن ألبانيا في القرن الثالث قبل الميلاد كانت بها مراكز إدارية وثقافية مثل ناخيتشيفان (Nakhchivan)، وباكو (Baku)، وبعد ظهور المسيحية في ألبانيا في القرن الرابع الميلادي، أصبحت الديانة الرئيسية للمملكة، إلا أن نفوذها بدأ يتضاءل في القرن السابع الميلادي عندما سقطت ألبانيا القوقازية على يد الخلافة العربية ما أدى إلى أسلمة المنطقة^(٢)، وبلغت الاندماجات العرقية في تلك المدة ذروتها في توحيد الشعب الأذري، وإلى جانب التتريك اللغوي والأسلمة التي شهدتها المنطقة، تم الحفاظ على العرقية الأذرية، وهي نقطة دعمت حجة الأصل الألباني القوقازي للأذريين بوصفهم أحفادًا مباشرين لألبانيا القوقازية^(٣).

من خلال تتبع النظريات التاريخية حول أصول الأرمن والأذريين، أجد أن كلا الطرفين يقدمان روايات مختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتشكيل الهوية القومية، وغالباً ما تكون هذه الروايات متأثرة بالواقع السياسي الحديث، ورغم تعدد الآراء، فإن العامل المشترك بين أغلب النظريات هو وجود تداخل عرقي وثقافي كبير في منطقة القوقاز، ما يجعل من الصعب حسم أحقية تاريخية

(١) M. Abigian, History of the Ancient Armenian Literature, vol.2 Erevan arminia Published, 1944, p. 77.

(٢) تُعدّ عملية الأسلمة والتتريك التي رافقت السيطرة العربية ثم السلجوقية على القوقاز أساساً لتكوّن الهوية الأذرية الحالية: فقد اندمجت بقايا الألبانيين القوقازيين بالسكان الأتراك الوافدين منذ القرن الحادي عشر، مع احتفاظهم بعناصر إثنية محلية، ومع القرن السادس عشر أخذت اللغة التركية الأذرية تحلّ محلّ اللهجات القوقازية القديمة، بينما أُضيفت عناصر إيرانية وثقافية شيعة في العصر الصفوي، فاستقرّ بذلك الشعب الأذري الحديث، للمزيد ينظر:

Tadeusz Swietochowski, Russia and Azerbaijan: A Borderland in Transition, Columbia University Press, New York, 1995, pp. 17-22.

(٣) M. Abigian, Op. Cit, p. 81.

مطلقة لأي طرف، ويدعو إلى التعامل مع هذه المسائل بمنظور تاريخي نقدي يحترم التعدد والوقائع لا السرديات السياسية.

رابعاً : الأبعاد التاريخية والإقليمية لصراع ناغورني - كاراباخ

استند الأرمن في مطالباتهم لكاراباخ إلى حقيقة مفادها ان مقاطعتي أوتيك وأرتساخ (قره باغ الأرمنية) كانت جزءاً من أرمينيا وتتبع السكان الأصليين الأرمن في كاراباخ العصور الوسطى والقديمة، اذ ظهر اسم أرتساخ للمرة الأولى في النقوش الأورارتية باسم مقاطعة أورتيخي (Urtekhi)^(١)، والتي امتدت من الضفة اليمنى لنهر كور إلى الضفة اليسرى من نهر الأراكس (Araxes)، اذ قام الملوك الأورارتيون بتوسيع حدود أورارتو من عاصمتها فان في غرب أرمينيا إلى أرمينيا عبر القوقاز، وعليه ، فيمكن تحديد اسم "أورتيخي" بوصفه النموذج الأولي للاسم الأرمني "أرتساخ"، وهو الاسم القديم لكاراباخ ، وأصبحت المنطقة بعد سقوط أورارتو مثل بقية أرمينيا تحت سيطرة الميديين والاخمينيين والفرس^(٢).

ذكرت أرتساخ في الأطلس الأرمني في القرن السابع الميلادي بإسم "أشخاراتسويتس" بوصفها المقاطعة العاشرة لأرمينيا الكبرى، وأوتيك بوصفها المقاطعة الثانية عشرة، إذ اعتنقت أرتساخ وأوتيك المسيحية في القرن الرابع الميلادي وظلتا جزءاً من المملكة الأرمنية حتى سقوطها عام (٤٢٨ م)^(٣)، ووفقاً للمصادر اليونانية الرومانية والأرمنية، كان نهر كور هو الحدود بين أرمينيا وألبانيا القوقازية، بينما كانت أرتساخ وأوتيك، اللتان وقعتا على ضفته اليمنى، جزءاً من أرمينيا، وقد تغير الوضع السياسي في أرتساخ وأوتيك عندما تم استنفاد أرمينيا وتقسيمها في القرن الرابع الميلادي بين الإمبراطورية الرومانية والفرس الساسانيين، الذين أنهوا

(٢) يظهر اسم أرتساخ أو «أورتيخي» في نقوش مملكة أورارتو بالقرن التاسع ق.م، وشمل الإقليم الأراضي الواقعة بين الضفة اليمنى لنهر كور واليسرى لنهر أراكس، بعد انهيار أورارتو خضع الإقليم للميديين ثم للأخمينيين، وحُمل لاحقاً في الجغرافيا الأرمنية على أنه المقاطعة الخامسة من أرمينيا الكبرى، بينما عُرف في العهد الصفوي والقيصري باسم «قره باغ الجبلية»، هذا الإرث التاريخي يشكل ركيزة ادعاء الأرمن بسيادتهم التقليدية على ناغورني-كاراباخ، للمزيد ينظر: أرشاك بولاديان، قضية ناغورني كاراباخ الجرح النازف، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٨، ص ص ٤١-٤٨.

(2) A.R. Hovhanisian, History of Armenia from the Paleolithic Age to the End of the Eighth Century B.C., Erevan, 1951,p,134.

(3) Herzfeld Ernst , Zoroaster and his world, Publisher Octagon Books, New York, 1974,p.44.

الفصل الأول

المملكة الأرمنية في عام (٤٢٨ م) وتحول الجزء الشرقي من منطقة ما وراء القوقاز إلى كيان سياسي جديد بإسم أران أو ألبانيا (أغوانك أو أغفانك بالأرمنية)، ثم ضمت ألبانيا، بين نهر كور والقوقاز، مملكة ألبانيا والأراضي التي ضمتها أرتساخ وأوتيك، وجميع المجموعات العرقية على طول بحر قزوين وتلك التي تعيش بين نهري أراكس وكور وبحيرة سيفان، وكان هذا الكيان السياسي الجديد^(١).

من وجهة النظر الأرمنية، ومع اختفاء ممالكها المسيحية وصعود العديد من الإمارات الإسلامية المحلية مثل كنجة وشيرفان ودريند، فقد اختفى شرق ألبانيا، واندماج سكانها في المناطق الغربية مع الأرمن والجورجيين، إلا أن الغالبية في الجزء الشرقي من ألبانيا تم أسلمتها نتيجة الغزوات العربية ومن ثم الغزوات التركية، لقد بدى واضحاً أن هذه الطبقة القوقازية، التي اعتنقت الإسلام قد عززت من قبل الإيرانيين والأتراك لتشكيل المجموعة العرقية الأذرية والذين اعتنقوا المذهب الشيعي ابتداءً من القرن السادس عشر، وبذلك، أصبح التتار هم شعب إذربيجان المعاصر^(٢) واستناداً إلى مدة العصور الوسطى وإلى التاريخ الحديث الذي امتد من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، لوحظ أن الأرمن قد فسروا ماضيهم العرقي على أساس الغزوات الأجنبية من قبل العرب والمغول والتتار^(٣)، وانطبق هذا أيضاً على التاريخ الأكاديمي المكتوب في أرمينيا والذي أكد على أن أرمن كاراباخ حافظوا على استقلالهم المحلي طوال مدة العصور الوسطى في ظل حكام إقطاعيين محليين^(٤)، يُطلق عليهم اسم ملوك^(٥).

(١) Mary Boyce, history of Zoroastrianism, Brill Publishing House, Leiden, 1975, p.111.

(٢) B. Agathangelos. History of the Armenians, translated by R.W. Thomson, State University of New York Press Publishing House, Albany, 1976, p.86.

(٣) محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٩٨٩، ص ٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٥) المصطلح "ملوك" يُطلق على النبلاء الأرمن الذين حكموا قره باغ خلال العصور الوسطى، وقد حافظ هؤلاء على نوع من الاستقلال المحلي حتى في ظل الهيمنة الإسلامية الخارجية، تشكلت خمس عائلات أرمنية بارزة تُعرف باسم "مليكيات كاراباخ"، وكان لها نفوذ سياسي وعسكري واسع في الإقليم، المليون أدوا دوراً محورياً في الحفاظ على الثقافة الأرمنية وتنظيم المقاومة ضد الغزاة، للمزيد ينظر: جورج بوشكيان، تاريخ الأرمن في القوقاز، دار هايك للنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١١١.

وفي وقت لاحق، في القرنين السابع عشر والثامن عشر^(١)، وفي رد فعل على الهيمنة الإسلامية، ناشدت السلطات الكنسية والإقطاعية الأرمنية في كاراباخ الحكام الأوروبيين وروسيا لتحريرها من الهيمنة الصفوية والعثمانية، إلا أن محاولاتهم للحصول على الحماية الأجنبية باءت بالفشل، وفي هذا الصدد أيضاً، نسب المؤرخون الأرمن الفضل إلى آل مليك في قيادة الحركة الوطنية الأرمنية أو النضال من أجل التحرر، وقد اعتمدوا كاراباخ كمركز لهذا النضال^(٢).

وشدد التاريخ الوطني الأرمني على الطابع الأرمني لكاراباخ منذ العصور القديمة، وسعى إلى التقليل من الأهمية الأذرية في المنطقة، فضلاً عن ذلك، فقد شككت في العلاقة بين ألبانيا القوقازية وإذربيجان المعاصرة، ورفضت قبول فكرة أن الألبان القوقازيين هم أسلاف الأمة الأذرية الحديثة، وشدد التاريخ الوطني الأرمني أيضاً على أن ألبانيا مطابقة لأغفانك (Aghvank)، الأرمنية ولا يمكن وصفها موطن أجداد الأذريين، وقد تم التعامل مع الألبان في منطقة أغفانك من قبل المؤرخين الأرمن على أنهم قبائل بربرية، كانوا أرمنيين جزئياً نتيجة لثقافة أرمنيا الأكثر تحضرًا، ولذلك، أكد المؤرخون على الأصول الأصلية للأرمن وتشكيلات دولتهم المبكرة في المنطقة لإضفاء الشرعية على مطالبتهم الإقليمية بكاراباخ، وقد طعن المؤرخون الأذريين في النسخة الأرمنية لماضي كاراباخ العرقي وفهمها لوطن الأجداد، الذين قدموا مثلاً مختلفاً للتاريخ لإضفاء الشرعية على مطالبة إذربيجان بكاراباخ^(٣).

(١) في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كَتَفَ الأرمن مناشداتهم للقوى المسيحية، خاصة روسيا والنمسا، من أجل الحماية من الهيمنة الفارسية والعثمانية، وجعلوا من كاراباخ مركزاً للتحرك الأرمني، أدت عائلات المليك دوراً قيادياً في تلك المبادرات، حيث نُظِرَ إليهم كممثلين للهوية الأرمنية في الإقليم، التاريخ الأرمني الحديث اعتبر نضال المليكيات في كاراباخ نواة للوعي القومي الأرمني الحديث، للمزيد ينظر: ريتشارد هوفهانيسيان، تاريخ أرمنيا الحديث، ترجمة: أنطوان أرتين، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٤٦.

(٢) Dickran Kouyumjian, The Armenian Church and Czarist Russia, B. Der Mugrdchian, ed. Between Paris and Fresno: Armenian Studies in Honor of. Costa Mesa, CA, 2008, pp.33-34.

(٣) C. E Bosworth, Islamic Dynasties, Edinburgh, 1967; Bournoutian, G. A. The Khanate of Erevan under Qajar Rule (1795- 1828,) New York, 1992, p.88.

الفصل الأول

فند الأذريون المزاعم الارمنية، إذ بحسب الرواية الأذرية ، فقد كان القوقازيون هم الأسلاف المباشرين للإذريين المعاصرين، ووفقاً لهذا الرأي، فقد ارتبط كل شيء في آرتساخ وأوتيك، بما في ذلك منطقتي ناخيتشيفان وزانجيزور في العصور القديمة بألبانيا والألبانية، مما يعني أن البلاد كانت إذرية في المقام الأول ^(١)، وأن أرمينية كاراباخ كانت أسطورة بما في ذلك الآثار المعمارية ذات الأصل الأغفاني والتي لا أساس لها من الصحة، وقد حاول بعض مؤرخي مدرسة باكو الإشارة إلى أن الأراضي الممتدة بين بحيرة سيفان ونهر كور، بما في ذلك كاراباخ لم تكن تنتمي منذ العصور القديمة إلى أرمينيا بل إلى ألبانيا القوقازية، وبالتالي إلى إذربيجان ^(٢).

وفي السياق ذاته، أرجع المؤرخون الأذريون أول ذكر تاريخي لكاراباخ إلى القرن التاسع قبل الميلاد، عندما كانت المنطقة تابعة للمملكة الأورارتية وجرى غزوها لاحقاً من قبل الميديين، وبعد تراجع الأخيرة، سيطر الفرس على كاراباخ ، وعندما ظهرت مملكة إرفاندونيس (Kingdom of Arvandunis)، الأرمينية في القرن الرابع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، جرى دمج آرتساخ وأوتيك (قره باغ العليا والسفلى) في هذه المملكة على حساب أسيادهم الألبان السابقين والذين لم يكونوا أرمينيين سابقاً كما ادعى الأرمن ^(٣).

وقلّل المؤرخون الأذريين من دور مملكة ألبانيا المسيحية التي اعتنقت المسيحية في القرن الرابع، وسكانها الأرمن، وبدلاً من ذلك، أكدوا على دور الأشخاص الذين عاشوا في السهول الواقعة إلى الشرق بوصفهم أحفاد الألبان الإسلاميين، لم يكن الأرمن هم السكان الأصليون، فقد أجبر السكان المحليين على مغادرة موطنهم نتيجة للصراعات السياسية والدينية في المنطقة ^(٤).

^(١)G. A. Ezov', Snosheniia Petra Velikogo s' armianskim narodom The Relations of Peter the Great with the Armenian People. St. Petersburg, 1898,p.124.

^(٢)G. A Ezov', Op Cit, p.125.

^(٣) Hasan-Jalalian, Alban olkasinin gysa tarikhi A. Short History of the Country of Albania, Azeri translation by Z. Bunyatov, Baku, 1992.

^(٤)C. E .Bosworth, Op. Cit,p.91 .

الفصل الأول

يتضح من هذا المبحث أن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لإقليم ناغورني كاراباخ، إلى جانب تكوينه العرقي المعقد، شكّلا الأساس الأول لفهم طبيعة النزاع، كما أن الأبعاد التاريخية والإقليمية عززت من حدة التنافس عليه بين أرمينيا وإذربيجان، هذه الخلفية تمهّد لفهم تطور الصراع في المدة القيصريّة، وهو ما يتناوله المبحث التالي.

المبحث الثاني

الصراع الأذري الأرمني في العهد القيصري

أولاً: التطورات السياسية في إقليم ناغورني كاراباخ (١٨٠٤-١٩٠٥م)

يحاول هذا المبحث فهم الأسباب الكامنة وراء الصراع في ناغورني- كاراباخ ورغبة الأغلبية العرقية الأرمنية في حق تقرير المصير، ولذلك، لا بد من إجراء تحليل دقيق للتطورات التاريخية والسياسية منذ القرن السادس عشر مما يطرح تساؤلات عديدة أهمها، ما هو موقف روسيا القيصرية من الصراع الارمني الأذري؟ وما مدى أهمية المنظور التاريخي لفهم تخصيص أراضي ناغورني- كاراباخ ووضعها داخل إنريجان؟ وكيف أثرت الهيمنة الفارسية والروسية على التطورات الإقليمية والديموغرافية والسياسية المستقبلية لناغورني- كاراباخ؟

غزت الإمبراطورية الصفوية^(١)، الفارسية كاراباخ في بداية القرن السادس عشر وأصبحت القوقاز جزءاً من النظام الإداري الصفوي، وجرى تقسيم أراضي القوقاز بدورها إلى خمس مقاطعات إدارية - تبريز (Tabriz)، وتشوخور (Chukhur)، سعادة (Saadeh)، وشيرفان (Shirvan)، وكاراباخ (Karabakh)، والتي شكلت أرمينيا الشرقية أو الفارسية، وحكم كاراباخ من اللوردات الأرمن، أو المليك والذين نالوا استقلالهم مؤقتاً في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وسرعان ما قسموا منطقة تشوخور-سعدة الإدارية إلى وحدتين إداريتين إضافيتين تسمى يريفان (Yerevan)، وناخيتشيفان، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أصبحت أرمينيا الشرقية تُعرف باسم خانية يريفان وناخيتشيفان وغانجا (Ganja)، ومع ذلك، تقول المصادر الأذرية أن الصفويين أطلقوا على المناطق الإدارية الأربع الرئيسية اسم إنريجان^(٢).

(١) كانت الإمبراطورية الصفوية واحدة من أكبر الإمبراطوريات الإيرانية وأقدمها بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس في القرن السابع، والتي حكمتها الأسرة الصفوية من عام ١٥٠١ إلى عام ١٧٣٦، وغالباً ما تعتبر بداية التاريخ الإيراني الحديث، وقد أسس الشاه الصفوي إسماعيل الأول المذهب الإثنى عشري للإسلام الشيعي كدين رسمي للإمبراطورية والذي مثل واحدة من أهم نقاط التحول في تاريخ الاسلام، للمزيد ينظر:

Mazda : Willem Floor, M.Safavid government institutions, Costa Mesa, Calif Publishers, 2001, p.17 .

(٢) Quoted in: S. Glinka, The Account of the Immigration of Armenians from Azerbaijan, into Russia, Moscow, 1831, p.33 .

كان ضعف الدولة الفارسية في أوائل خمسينيات القرن الثامن عشر مصحوباً بالنفوذ العثماني، وجرى تشكيل خانية تركية لشوشا كاراباخ من قبل بانه علي خان^(١) (pana.Ali.Khan) مع توسيع نفوذ كاراباخ إلى ناخيتشيفان وزنجيزو (Zangezur) وغانجا، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التنافس على السلطة بين الملك الأرمن في كاراباخ قد سمح لبانه باختراق المنطقة وفرض سلطته على الملك، إذ استغل كلا الخانين الصراع الداخلي على السلطة بين المليكين، وقتلوا بعضهم بشكل أجبر الآخرين على اللجوء إلى بلاد فارس وكنجه وجورجيا، ونتيجة لذلك، قدم الملك التماساً إلى كاترين الثانية^(٢) ملكة روسيا لتحريرهم من الهيمنة الفارسية، وجاء ضم روسيا لكاراباخ من بلاد فارس عام ١٨٠٥م نتيجة للحرب الروسية الفارسية الأولى^(٣)

^(١) بانه علي خان. (١٦٩٣-١٧٦٣): قائد وسياسي وعسكري إيراني، مؤسس خانية كاراباخ، كان من نسل سلالة جافانشير الشهيرة في كاراباخ، واشتهر كقائد بارز ورجل دولة، وفي عهده تم بناء قلعة شاه بولاك، وقلعة أسكيران، حيث تم تنفيذ أعمال بناء وبناء واسعة النطاق لكن أهم أعماله كانت مدينة القلعة التي بدأ بناؤها سنة ١٧٥٢م، وأطلق عليها في البداية اسم بناهاباد، ثم أطلق عليها فيما بعد اسم شوشا، للمزيد ينظر:

Christopher walker, Armenia and Karabagh : the struggle for unity, Publisher, London : Minority Rights Group, 1991, p.151.

^(٢) كاترين الثانية (١٧٢٩-١٧٩٦) : إمبراطورة روسيا لأكثر من ٣٠ عاما وواحدة من أكثر حكام البلاد نفوذاً، كان التأثير الرئيسي الذي خلفته كاترين على بلدها هو توسيع حدود روسيا ومواصلة عملية التغريب التي بدأها بطرس الأكبر، وخلال فترة حكمها وسعت الإمبراطورية الروسية جنوباً وغرباً، وأضافت أراض شملت شبه جزيرة القرم وبيلاروسيا وليتوانيا، وأدت الاتفاقيات مع بروسيا والنمسا إلى تقسيم بولندا ثلاث مرات، في أعوام ١٧٧٢ و ١٧٩٣ و ١٧٩٥، مما أدى إلى توسيع حدود روسيا إلى أوروبا الوسطى، و قد توفيت في سانت بطرسبرغ في ١٧ نوفمبر ١٧٩٦ وخلفها ابنها بول، للمزيد ينظر :

Henri Troyat, Catherine The Great, Berkley Books, New York, 1986, p.7.

^(٣) ردا على ضم روسيا القسري لأجزاء من أذربيجان وجورجيا الأراضي التي كانت لها فيها أيضاً مصلحة تحركت القوات الفارسية ضد القوات الروسية في المنطقة، مما أشعل فتيل الحرب الروسية الفارسية في الفترة من ١٨٠٤ إلى ١٨١٣، حيث شن ألكسندر الأول ضربات عسكرية بدوره ضد بلاد فارس عبر القوقاز وضد منطقة جنوب القوقاز من الحدود الجنوبية لإمبراطوريته انتهت الحرب بمعاهدة جولستان، التي اعترفت فيها بلاد فارس بضم روسيا لأراض إضافية في القوقاز، ولم يكن الصراع مع بلاد فارس بالأمر الجديد بالنسبة لروسيا، ففي عام ١٧٢٢، توسع بطرس الأكبر حكم من (١٦٨٢ إلى ١٧٢٥) في منطقة القوقاز، مستغلاً نهاية الحرب الشمالية العظمى وسقوط الأسرة الصفوية، ليدفع جنوباً، وفي =

(١٨٠٤-١٨١٣م) حدثاً مهماً لتطور الصراع الأرمني الأذري. وفي وقت الاستيلاء الروسي، كان سكان كاراباخ من الأرمن إلى حد كبير ^(١).

أصبحت معظم أجزاء أرمينيا الشرقية منذ عام ١٨٠٦م فصاعداً جزءاً من مختلف الأراضي التي تحتلها روسيا، وتجدر الإشارة إلى أن الأرمن ساعدوا القيصرية الروس في حملاتهم لأنهم طلبوا الحماية من المسلمين والفرس في المنطقة، فضلاً عن ذلك، تم تقديم خطة لإنشاء دولة أرمنية من خانات يريفان (Yerevan)، وناخيتشيفان وغانجا وكاراباخ إلى كاترين العظيمة، ومع ذلك، لم يفعل الروس ولا الأرمن أي شيء للجمع بين أراضي كاراباخ وغانجا من أجل إقامة ما يسمى بالحكم الذاتي الأرمني، وجرى إبرام معاهدة السلام الروسية الفارسية في جولستان ^(٢) عام ١٨١٣م، والتي بموجبها تنازل الفرس للروس عن جميع أراضي نهري أراكس وكور باستثناء يريفان وناخيتشيفان، وعدّ الأرمن المعاهدة لحظة تاريخية للاستفادة من الوضع السياسي الجديد وتحرير خانات يريفان وناخيتشيفان، لكن هدفهم في التحرر من أسيادهم الفرس لم يتحقق.

= عام ١٧٩٥، وبتهريض من البريطانيين والفرنسيين، الذين سعوا إلى الحد من توسع روسيا جنوباً، أرسلت بـ فارس جيشاً إلى أذربيجان وجورجيا، واستمر القتال بشكل متقطع منذ ذلك الحين، حتى اندلاع الحرب الشاملة في عام ١٨٠٤، للمزيد ينظر:

Charles Phillips, Encyclopedia of wars, Publisher New York , Facts on File, Inc, 2005, p.257.

^(١) Paul Dukes, The making of Russian absolutism (1613-1801), , New York , Longman, 1982, p.163.

^(٢) في ٢٤ من تشرين الأول من عام ١٨١٣، أبرمت روسيا وبلاد فارس معاهدة سلام جولستان في قرية جولستان (قره باغ)، ووقع على المعاهدة من الجانب الروسي الجنرال ن. ف. رتيشيف، القائد العام في خط القوقاز وجورجيا، ومن الجانب الفارسي ميرزا أبو الحسن خان المستشار الخاص للبلاط الفارسي، وبموجب هذه المعاهدة، تأكدت ملكية روسيا لداغستان وجورجيا ومنغوليا وإميرتيا وغوريا وأبخازيا والجزء الشمالي من أذربيجان مع جميع الخانات كاراباخ وغاندجا وشيكن وشيروان ودريند وكوبا وباكو بالإضافة إلى جزء من تاليش. وكانت روسيا ملزمة بتقديم المساعدة لوريث العرش الذي عينه الشاه في حالة التدخل المحتمل، كما حصلت روسيا بموجب المعاهدة على الحق الحصري في امتلاك أسطول بحري على بحر قزوين، كما منح التجار الروس الحق في التجارة بحرية في بلاد فارس والتجار الفرس في روسيا، للمزيد ينظر :

Mostashari Firouzeh, On the religious frontier, Tsarist Russia and Islam in the Caucasus, I.B. Tauris , New York , 2006, p.213.

ولم يتحدد مصير كاراباخ وناخيتشيفان وغانجا بشكل نهائي، إذ لم يتم اتخاذ قرار سياسي بإنهاء الحرب، إذ يكون تقسيم أرمينيا الشرقية سيكون له عواقب وخيمة على مشاكل كاراباخ المستقبلية، وتنازلت المعاهدة الروسية الفارسية الثانية لتركمانجاي^(١) في عام ١٨٢٨م عن خانات يريفان وناخيتشيفان الفارسية لروسيا، وقد هدفت السياسة الروسية بعد ذلك إلى تحييد المطالبات الوطنية عن طريق تغيير التقسيمات الإدارية في الأراضي المحتلة، إلا التقسيمات الإدارية الجديدة قد فرضت من قبل الروس، والتي تجاهلت الحدود الجغرافية والتاريخية للمجتمعات العرقية المحلية، ولاسيما الأرمن والأذريين، عاملاً أساسياً في المواجهات العرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(٢).

أدت معاهدة تركمانجاي دوراً مأساوياً في تاريخ الشعب الأذري وأدت إلى تقسيم إذربيجان، إذ أخذت روسيا الجزء الشمالي بينما بقي الجزء الجنوبي ضمن بلاد فارس، وأدى هذا الانقسام إلى فصل الأمة الأذرية، وشكلت المقاطعات الجنوبية أي إذربيجان الإيرانية، حوالي ٣٠ % من الأراضي الفارسية، ومع ذلك، أدعت إذربيجان أن الجزء الجنوبي منها جزء لا يتجزأ من

^(١)، وصل القاجاريون في نهاية القرن الثامن عشر، وهم سلالة أذربيجانية تركية (١٧٩٦-١٩٢٥)، إلى السلطة في إيران وبدأوا سياسة إعادة إخضاع جميع الأراضي الخاضعة للحكم الصفوي، بما في ذلك الخانات والسلطنات الأذرية، للحكومة المركزية، وهكذا بدأت فترة من الحرب بين القاجاريين والإمبراطورية الروسية، التي كانت تحاول احتلال جنوب القوقاز، بما في ذلك أذربيجان، ونتيجة لذلك، تم توقيع اتفاقية تركمانشاي في ٢٢ شباط ١٨٢٨ بالقرب من قرية تركمانجاي وبموجبها انتهت وجود الدول الأذرية المستقلة الخانات والسلطنات، وتم تقسيم البلاد بين الإمبراطوريتين وانضمت أذربيجان الشمالية إلى روسيا، وانضمت أذربيجان الجنوبية إلى المملكة الإيرانية التي تحكمها سلالة القاجاريين ذات الأصول الأذرية التركية، للمزيد ينظر:

Brenda Shaffer, Borders and brethren : Iran and the challenge of Azerbaijani identity, Publisher, Cambridge, Mass : MIT Press, 2002, p.46 .

^(٢) Mahir Khalifa- zadeh, History of Azerbaijan Timeline and facts, published by analysis and media center, Canada, 2017, p.53 .

الفصل الأول

جمهورية إنريجان التي يبلغ إجمالي عدد سكانها ٣٠ مليون نسمة. لوقف تكوين أقاليم متجانسة عرقياً قد تشكل خطراً على حكمها^(١).

شكلت مقاطعة يريفان من خلال الانضمام إلى خانات يريفان وناخيتشيفان في عامي ١٨٢٨ و ١٨٤٩م، وأصبحت كاراباخ جزءاً من إقليم قزوین في عام ١٨٤٠م، وجزءاً من مقاطعة شيماني في عام ١٨٤٦م، وفي النهاية في عام ١٨٦٧م جزءاً من مقاطعة إيزافيتبول مع مقاطعات كوتايسي وتيفليس ويريفان وباكو، وقد تمتعت مقاطعة إيزافيتبول التي ضمت إليها كاراباخ، بأغلبية إنريية، وعلى الرغم من أن هذا الارتباط كان له تأثير كبير على الأذريين، إلا أنه أدى أيضاً إلى فصل أرمن شمال - كارا عن مجتمعهم العرقي^(٢).

وقد تجاهلت التقسيمات الإدارية التي أنشأها القانون الإمبراطوري الروسي الحدود والتركيبية العرقية للسكان ورغباتهم، فضلاً عن ذلك، صممت الإدارة الاستعمارية الروسية الوحدات الإدارية بشكل متعمد بشكل لا يتوافق مع المستوطنات العرقية الإقليمية^(٣)، وكان يُعتقد أنه إذا تم إنشاء وحدات إدارية من عرقيات مختلطة، فلن تتطور القوميات المحلية، ومن خلال إنشاء مقاطعة إيزافيتبول الجديدة، وربط الروس منطقة كاراباخ الجبلية بالسهول الشرقية اذ يشكل الأذريين أغلبية، كان هذا الارتباط مفيداً للأذريين، الذين كان معظمهم من الرعاة شبه الرحل، وترك هذا الترتيب الإداري نتيجتين مهمتين لارتباط الأذريين بإقليم ناغورني كاراباخ، هما^(٤):

أولاً: من خلال ربط منطقة كاراباخ الجبلية بالسهول الشرقية، أصبحت الاقتصادات وشبكات النقل في كلا المنطقتين أقرب، مع مرور الوقت، أصبحت ناغورني - كاراباخ مندمجة بشكل أفضل في النظام الاقتصادي لشرق القوقاز. في العشرينيات من القرن العشرين، تم استخدام هذا

(١) Ibid, p.55 .

(٢) Neil wilson, Georgia, Armenia & Azerbaijan. Publisher. Hawthorn, Vic. Lonely Planet, London, 2000, p.31.

(٣) سليم حداد، منطقة بحر قزوین وأهميتها الاستراتيجية في العلاقات الدولية، دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٩١.

(٤) Michael Croissant, The Armenia-Azerbaijan Conflict: Causes and Implications. Westport, CT; Praeger ,1998, pp.79-80.

الارتباط الاقتصادي لتبرير اعتماد كاراباخ الاقتصادي على إذربيجان، وبالتالي ضم ناغورني - كاراباخ إلى إذربيجان^(١).

ثانيًا: تطورت العلاقات الاقتصادية الأذرية مع كاراباخ إذ نشأ تقارب عاطفي وقومي تجاه المنطقة، وكان الأذريون فخورين بأن العديد من شعرائهم وملحنينهم وكتابهم ينحدرون من كاراباخ^(٢)، كما جرى إنشاء أرستقراطية ملاك الأراضي شبه إقطاعية هناك ولعبت لاحقًا دورًا رئيسيًا في تطوير القومية الأذرية، ولاسيما بعد العنف العرقي الديني بين الأرمن والأذريين (١٩٠٥ - ١٩٠٦م)، وسلطت كلتا النتيجتين الضوء على أهمية الأرض بوصفها المعيار الأكثر أهمية، الهوية الوطنية الأذرية. ولأسباب اقتصادية وقومية، أصبح الأذريون أكثر تعلقًا بناغورني كاراباخ وهو ما تم الكشف عنه في مقابلة شخصية مع الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية بالمجلس الأعلى لجمهورية كاراباخ الجبلية، ليفون مليك - شاهنازاريان (Levon MelikShahnazaryan)^(٣)، سليل عائلة شاهنازاريان الأميرية، وفي معرض شرح طبيعة الصراع، أكد شاهنازاريان: "إن أراضي كاراباخ حيوية بالنسبة للأذريين الذين كانوا يراعون مواشيهم وأغنامهم في مراعيها ولاسيما في فصل الصيف إذ كان معظم الأذريين في كاراباخ يعملون في تربية الماشية، ومن أجل العيش والبقاء على قيد الحياة كانوا في أمس الحاجة

(١) Ibid, p.81 .

(٢) Michael Croissant, Op.Cit, p.83 .

(٣) ليفون مليك شاهنازاريان (١٩٥٨-٢٠١٥): هو سياسي ومسؤول أمني أرمني بارز، لعب دورًا مهمًا في سياق النزاع المسلح بين أرمينيا وإذربيجان حول إقليم ناغورني - كاراباخ خلال أوائل التسعينيات، شغل منصبًا مهمًا في وزارة الدفاع الأرمينية، كما عُرف بارتباطه بجهاز الأمن القومي الأرمني في فترة حرجة من تاريخ الجمهورية الجديدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، خلال حرب ناغورني - كاراباخ الأولى (١٩٨٨-١٩٩٤)، برز شاهنازاريان كأحد المسؤولين عن التنسيق بين القوات المسلحة الأرمينية ومقاتلي الأرمن المحليين في كاراباخ، حيث ساهم في تنظيم الدفاعات العسكرية والاستخباراتية، بحسب ما ورد في تصريحات رسمية أرمينية لاحقة، للمزيد ينظر:

Emil Sanamyan, Armenia's Security Apparatus in the 1990, Caucasus Analytical Digest, No. 23, 2010, p.217.

إلى مراعيها الشاسعة. لقد ميز هذا الواقع الخمسمائة عام الأخيرة من تاريخ كاراباخ وأثر على الوجود الأرمني هناك^(١).

أدت التقسيمات الإدارية الروسية إلى حل الحكم شبه الذاتي الأرمني التقليدي في ناغورني - كاراباخ، والذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ولم يتخلل الأرمن عن مطالباتهم بناغورني كاراباخ، ونتيجة لذلك، تطورت التوترات العرقية، وأصبحت المنطقة نقطة محورية لتطور القومية الأرمنية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولذلك، ساهمت أراضي ناغورني - كاراباخ في تنمية الوعي الوطني الأرمني والأذري من خلال الذكريات التاريخية والتجارب الماضية التي تركتها بين أعضاء كلا البلدين^(٢).

كان للغزو الروسي لمنطقة القوقاز أيضًا تأثير كبير على التغيرات الديموغرافية في المقاطعات المنشأة حديثًا، فبعد عام ١٨٢٨م، هاجر حوالي ٥٧.٠٠٠ أرمني، بتشجيع من المناشدات الروسية، إلى مقاطعتي كاراباخ ويريغان، بينما غادر المنطقة حوالي ٣٥.٠٠٠ مسلم، بما في ذلك الأذريين والقبائل البدوية^(٣)، ومع ذلك، حدثت أكبر الهجرات بعدما تنازلت بلاد فارس عن مقاطعة يريفان لروسيا، و وفقًا للمصادر الروسية في عام ١٨٢٣م، لم يتجاوز عدد السكان الأرمن في كاراباخ ٨.٤% من المجموع، في حين كان المسلمون يشكلون ٩١%، ولم يختلف هذا الرقم في يريفان، إذ يشكل الأرمن ٢٠% فقط من السكان بينما شكل المسلمون حوالي ٨٠% من عدد السكان الأرمن في كاراباخ ويريغان، ومن ثم، وفي ظل الحكم الروسي، أصبحت كاراباخ، وخاصة شوشي، ثالث مدينة مهمة للأرمن بعد باكو وتبليسي، إذ ازدهرت البرجوازية الأرمنية، وعد الأذريين أن حكومة القيصر قد أنشأت إقليمًا أرمنيًا (منطقة)

^(١)Quoted in : Liudmila Gatagova, The Russian Empire and the Caucasus, The Genesis of Ethnic Conflicts ,London: Macmillan, 2000,p.61.

^(٢)Nadia Diuk, and Adrian Karatnycky,New Nations Rising: The Fall of the Soviets and the Challenge of Independence,New York: John Wiley & Sons, 1993,p.120 .

^(٣)Thomas De Waal, Black Garden: Armenia and Azerbaijan through Peace and War, : New York University Press, New York: 2003,p.201 .

على الأراضي الأذرية سابقاً في يريفان وناخيتشيفان، وحاولت زيادة عدد سكانها الأرمن من خلال تشجيع الهجرة^(١).

وزعم الأذريين أن كاراباخ كانت تحت السيطرة التركية والمسلمة طوال الثلاثة عشر قرناً الماضية، وبعد عام ١٨٢٨م دخل الأرمن إلى كاراباخ بأعداد كبيرة واستقروا هناك، فقد أعطاهم الروس الأراضي على حساب السكان الأصليين، فعلى على سبيل المثال، أظهر مسح روسي في عام ١٨٣٢م أن الأرمن في كاراباخ شكلوا ٣٤.٨ %، في حين أن الأتراك الأذريين يشكلون ٦٤.٨ % ومن شأن هذا الوضع أن يولد الكراهية والتوترات العرقية في المستقبل بين الطائفتين^(٢).

خلال السنوات الأولى من الحكم الروسي، كانت الهجرة إلى كاراباخ ويريفان مقتصرة على الآشوريين والأرمن القادمين من بلاد فارس، تأثرت مناطق كاراباخ وكنجه وشيماخي ويريفان بالهجرات الأرمنية^(٣)، بعد تعزيز الوجود الروسي في منطقة ما وراء القوقاز، هاجر آلاف الأرمن إلى الأراضي التي تسيطر عليها روسيا من الجانبين التركي والفارسي من الحدود الجديدة، وذلك لأسباب اقتصادية في المقام الأول، وتزامنت هذه التحركات مع رحيل المسلمين إلى الدولة العثمانية وبلاد فارس، وبعد الهجرات ارتفع عدد الأرمن إلى ٦٥ ألفاً، بينما كان قبل عام ١٨٢٨م (٢٠) ألفاً، وانخفض عدد المسلمين إلى (٥٠) ألفاً، بينما كان قبل عام ١٨٢٨م (٧٨) ألفاً^(٤).

على الرغم من هذه التغيرات الديموغرافية، لم يشكل الأرمن الأغلبية في مدينة يريفان، إذ من بين مواطنيها البالغ عددهم ١١٤٠٠، كان هناك أكثر من ٧٠٠٠ مسلم وأقل من ٤٠٠٠ أرمني، ومع ذلك، بعد الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨م)، أصبح الأرمن يشكلون

(1) Ibid, p.203 .

(2) Tamara Dragadze, Azerbaijan ,London,Melisende, 2000,p.151 .

(3) Ibid,p.153 .

(4) Haig Ghazarian, The Treaties of Moscow and Kars in 1921 and their Tragic Role in Armenians' Fate, Yerevan: Edit Press, 2010,p.48 .

الأغلبية في يريفان. وقد أدى إنشاء مقاطعة يريفان ذات الأغلبية الأرمنية إلى توليد الرغبة بين الأرمن في إنشاء منطقة أرمنية تتمتع بالحكم الذاتي. كما نشأت رغبة مماثلة بين الأرمن بعد عام ١٨٢٨م، عندما أنشأت الحكومة الإمبراطورية الروسية مقاطعة أرمنية وظلت موجودة حتى عام ١٨٤٠م^(١).

تأثرت العلاقات المجتمعية للقوميات المختلفة في المقاطعات الروسية في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر بسبب تخلفها الاقتصادي فضلاً عن التعيينات في المناصب الإدارية في كل مقاطعة، واحتلال الوظائف في مختلف الصناعات، الإصلاحات الاقتصادية التي روج لها القيصر ألكسندر الثاني في منطقة القوقاز عام ١٨٧٠م لم تحسن العلاقات الزراعية في المناطق الإسلامية وخلقت سبباً خطيراً للتوتر بين أصحاب الأراضي المسلمين والفلاحين الأرمن. فضلاً عن ذلك، أصبحت الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية تدريجياً أساساً للاضطرابات الطائفية والحسد والتوترات العرقية^(٢) على سبيل المثال، شارك عدد قليل من الأذريين في باكو إذ عاشت حوالي ٢٠ جنسية مختلفة في الإدارة أو القضاء أو التعليم، على الرغم من أن هذا الوضع تغير بعد عام ١٩٠٥م، وبالمقارنة مع الأذريين، الذين هيمنوا على صناعات أخرى غير النفط والنبذ، سيطر الأرمن على البلاد، وكانت صناعة النفط وتجارها من بين الأثرياء ونتيجة لرأس المال الروسي والأرمني، أصبحت باكو أكبر منتج للنفط في العالم بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠١م، ووفقاً للأرشيف السوفييتي، كان للأرمن أيضاً تأثير كبير في سلك القضاء^(٣).

مهد الإصلاح البلدي في مناطق ما وراء القوقاز من قبل الحكومة الإمبراطورية الروسية الطريق لانتخاب المجالس البلدية أو المجالس على أساس "الثروة والملكية"، وخلق هذا الإصلاح فرصة للبرجوازية الأرمنية لتعزيز موقفها السياسي في منطقة

(1) James R. Russell, Armenian and Iranian Studies. Publisher.Belmont, MA : Armenian ,Heritage Press,2004,p.60

(2) Thomas De Waal, Op.Cit,p.209

(3) Herzig Edmund, The New Caucasus: Armenia, Azerbaijan and Georgia, London, Royal Institute of International Affairs, 1999,pp.87-88 .

القوقاز، وعلى هذا النحو، كان الأرمن الأثرياء الذين سيطروا على مجلس الدوما في تبليسي في جورجيا موضع حسد النبلاء الجورجيين، ومن ناحية أخرى، كان تمثيل المسلمين ضعيفا في المجلس البلدي، إذ لم يتجاوز عددهم نصف عدد المسيحيين، مما أدى إلى مطالبة الأتراك الأذريين في حزيران ١٩٠٥م نائب الملك الروسي على القوقاز، الكونت فورونتسوف-داشكوف (Vorontsov-Dashkov) ^(١) بإنهاء التمييز ضد المسلمين في المجالات المدنية والثقافية والمهنية، ومن المهم ملاحظة أن المصالح الاقتصادية للبرجوازية الأرمنية في باكو Baku وتبليسي تقاربت مع "تطور الرأسمالية والصناعة الروسية" ^(٢).

واجهت البرجوازية الأذرية، المكونة من مالكي السفن في بحر قزوين، وصناعي النسيج والبترو، منافسة شديدة من البرجوازية الأرمنية، عزز الروس الذين كانوا مهيمنين ثقافياً أيضاً، الاختلافات القومية بين شعوب منطقة ما وراء القوقاز، على سبيل المثال، من خلال دعم البرجوازية الأرمنية على حساب البرجوازية التتارية أو الأذرية من أجل الحفاظ على موقعهم المتميز والمهيمن، وفي باكو، كان المزاج السائد هو عدم الثقة، إن لم يكن الكراهية بين الأرمن والأذريين والروس، وأصبحت الاختلافات الدينية والعرقية واللغوية حواجز عرقية تعوق التسامح والتعايش السلمي، ولضمان الحفاظ عليها وتحويل هويتها إلى الأجيال الجديدة، قطعت المجموعات المهددة روابطها مع الآخرين وأصبحت أكثر تصميماً ووعياً بحدودها وهكذا، ما أصبح مهماً هو استمرار الهوية العرقية التي تم تعبئتها كمورد عرقي بمجرد تحديد الحدود بين الأرمن والأذريين بشكل حاد، وفي الواقع، انتهت مثل هذه الاختلافات العرقية إلى العنف العرقي في (١٩٠٥-١٩٠٦م) ^(٣).

(1) Ibid, p.89 .

(2) Vladimir Harutiunian, Events in the Nagorno-Karabakh, Yerevan, Armenian SSR Academy of Sciences, 1990, p.60.

(3) Vladimir Harutiunian, Op. Cit, p.61 .

ثانياً: التوترات العرقية الأرمنية - الأذرية في (١٩٠٥-١٩٠٦م)

لم تقتصر التوترات الأرمنية الأذرية على خلفيات سياسية وإقليمية فحسب، بل كانت أيضاً ذات طبيعة عرقية واقتصادية، إذ أثبت رد الفعل الأذري المناهض للأرمن والذي نتج عن الهجرات إلى باكو والهيمنة الأرمنية على الاقتصاد المحلي حافزاً رئيسياً في الاشتباكات العرقية الأرمنية الأذرية في (١٩٠٥-١٩٠٦م)، فقد كانت الوظائف العليا في باكو مطلع القرن العشرين يشغلها الأرمن الذين امتلكوا ٢٩ % من الصناعات و ٢٥ إلى ٢٩ % من الأيدي العاملة وكانوا في المرتبة الثانية بعد العمال الروس من اذ المهارات وحجم الأجور، وقد أدت الطفرة النفطية في باكو بعد عام ١٨٧٠م إلى تحسين الظروف الاقتصادية في إذربيجان، الامر الذي أدى إلى انتقال الأرمن من جبال كاراباخ الجبلية وزنجيزور والمقاطعات الشرقية للإمبراطورية العثمانية إلى باكو لشغل وظائف الصناعات النفطية والنسيج والتبغ التي سيطر عليها الأرمن^(١)، في حين أن الأذريين والأقليات المسلمة الأخرى جرى توظيفهم في قسم العمالة المتدنية ذات الأجور المنخفضة، وكشفت الأرشيفات السوفيتية أن مثل هذه الاختلافات بين العرقيات الروسية والأرمنية والمسلمة، المدعومة بالمظالم الاقتصادية وظروف المعيشة السيئة قد غذت التوترات المستقبلية، وأفضل مثال لتوضيح المظالم الاقتصادية في إذربيجان كانت صناعة النفط، إذ تم هيكلية التسلسل الهرمي الوظيفي في حقول النفط على أسس عرقية^(٢).

شهدت منطقة القوقاز اضطرابات عرقية واسعة النطاق في عام ١٩٠٥م، وكان لها تداعيات وآثار جذرية، إذ أدت العداوات القديمة بين الأرمن والأذريين لأسباب دينية واقتصادية وعرقية وعنصرية وسياسية إلى اندلاع اشتباكات عنيفة في باكو، واعتبر الإضراب العام الشهير الذي أصاب باكو بالشلل في كانون الاول ١٩٠٤م بمثابة العامل المحفز لثورة ١٩٠٥م في منطقة القوقاز، والسبب الحقيقي للإضراب كان اقتصادياً وسياسياً إذ مهدت الإضرابات الأقل أهمية التي وقعت في تبليسي عام ١٩٠١م وباتوم عام ١٩٠٢م، إلى جانب الكساد الاقتصادي في عامي ١٩٠١ و ١٩٠٣م، الطريق للاضطرابات الشعبية في المنطقة، وقد جرى تسييس هذه

(1) M.Chahin, The kingdom of Armenia, Publisher, New York : Dorset. 1991, p.167.

(2) Haig Ghazarian, Op.Cit, p.51.

الاضطرابات من قبل الديمقراطيين الاشتراكيين الروس والجورجيين والأرمن والذين تعاونوا مع لجان حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (RSDWP) في تبليسي وباكو وباتوم^(١).

احرق الأذريين الأجزاء الأرمنية من باكو في ظل اللامبالاة الروسية، ووقعت اشتباكات مماثلة في كاراباخ ويريفان وشوشي، وتبليسي، وناخيتشيفان وغانجا، وكان الاشتباك الأكثر مرارة في باكو، اذ دمرت المتاجر المملوكة للأرمن وأضرمت النيران في حقول النفط المملوكة للأرمن. وقدرت الوفيات بالآلاف، ونتيجة للاضطرابات، ظهرت مجموعة متطرفة تسمى ديفاي (الدفاع) في كنجة والتي مثلت هوية إسلامية إذرية متطرفة مدعومه من قبل الأصوليين الشيعة، وقد عرفت الاشتباكات العرقية التي وقعت في المدة ما بين (١٩٠٥ - ١٩٠٦م) باسم الحرب الأرمنية- التتارية ، وكان من الصعب إلقاء اللوم على أي من الجانبين في أعمال العنف المرتكبة ، إذ أنه في بعض المقاطعات، مثل باكو وإيزافيتبول، بدأ الأذريون الأعمال العدائية أولاً، بينما في مقاطعات أخرى، مثل تبليسي وشوشي، كان الأرمن هم المحرضون^(٢).

شكّلت لجان سلمية في تموز شملت التيار الديني والعلماني من كلا الطائفتين في باكو لتهدئة الوضع وإحلال السلام، وحاولت اللجان تحديد أسباب العنف العرقي للحد من الاضطرابات، وكما أشير أعلاه، كان المصدر الرئيسي للصراع هو المنافسة الاقتصادية والسياسية بين برجوازيات المجموعتين، وتحملت قيادات البلدين المسؤولية المالية الكاملة عن الأضرار والإصابات الناجمة عن الأحداث الدموية، وألقت كلتا الطائفتين اللوم على السلطات الروسية والشرطة بتهمة التحريض والإذعان للذين لولاهما لكان من الممكن أن يكون العنف محدوداً إلى حد كبير، ولم يكن هذا اللوم بلا أساس، إذ ان السياسات الاستعمارية الروسية

(1) Simon Gerhard, Nationalism and Policy Toward the Nationalities in the Soviet Union from Totalitarian Dictatorship to Post-Stalinist Society, Boulder, Westview Press, 1991, p.118.

(2) Mikhailovich Igor Diakonoff, The Pre-History of the Armenian People ,New York: Caravan Books, 1984, p.211.

تلاعبت بخطوط الصراع بين الطائفتين وحرصت على العنف لتعزيز الصراع و تقسيم المنطقة والسيطرة عليها^(١).

اضحى العنف العنصري مؤشراً واضحاً على العنصرية في المنطقة وأن المنطقة قد أصبحت محور خلاف بين الأرمن والأذريين، وقد أرسى أحداث (١٩٠٥-١٩٠٦ م) إحدى أسس الوعي الوطني لكلا الطائفتين اللتين كانتا مرتبطتين بشكل أوثق بالهوية الدينية، ارتبطت الهوية الدينية والثقافية الأرمنية لقرون عدة. مع الهوية الوطنية، تم التعبير عن الوعي القومي الأرمني بشكل عميق في الدفاع عن الكنيسة الأرمنية ضد التتار والروس، وكان التأثير الأكثر أهمية لعنف عام ١٩٠٥ م على القوميات هو تنظيم الأرمن والأذريين والجورجيين أنفسهم في وحدات وطنية منفصلة^(٢).

برزت الأهمية العرقية للأذريين، إذ تم استخدامها كأستراتيجية مع المفاهيم الأخرى للقومية التركية والوحدة الإسلامية سعياً للاستقلال عن الهيمنة الروسية^(٣)، وقد عبر الوعي الوطني الأذري الذي كان أبطاً في الظهور من هويتهم الدينية الإسلامية عن نفسه في الارتباط العاطفي العميق بين الأذريين وأراضي إذربيجان، ومن التطورات المهمة الأخرى التي ظهرت هو الوعي الوطني المتزايد في إذربيجان والذي تزامن مع الشعور بالعداء ضد الأجانب، وهي ظاهرة لا تقتصر على إذربيجان وحدها، لذا كان هذا النوع من "القومية الأصلية" في جنوب القوقاز هو رأس الحربة ضد الأرمن في إذربيجان والأترك في أرمينيا^(٤).

يبدو ان المجازر التي ارتكبت بين الأرمن والأذريين كانت بمثابة إحدى المراحل المهمة في وعيهم الوطني، إذ إن التعايش غير المستقر بين الطائفتين في إذربيجان، والذي اتسم بالفعل بـماضي مضطرب مع الاختلافات العرقية والدينية والثقافية، والمنافسة الاقتصادية والارتباك الإداري الذي نتج عن الانقسامات والسياسات الإقليمية الاستعمارية الروسية قد أشعل فتيل

(1) Ibid,p.216

(2)Igor Diakonoff,Op.Cit,p.220

(3)Eric hobsbawm,Nations and Nationalism since 1780, Programme, Myth,Reality, second edition New York: Cambridge University Press,1992,p.36.

(4) Igor,Diakonoff,Op.Cit.p,241

المجزرة . وأسهمت المذابح التي ارتكبها كلا البلدين في إثارة الكراهية الجديدة وتعزيز النعرات الطائفية والعرقية بينهما .

ثالثاً: ناغورني كاراباخ إبان الحرب العالمية الأولى

بعد ان أطاحت جماعة الاتحاد والترقي بالسلطان عبد الحميد الثاني^(١) في عام ١٩٠٨م، أقامت نظاماً دستورياً مع ايدولوجية موجهة نحو تعزيز الحقوق والمساواة بين المواطنين العثمانيين، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت لحزب الطاشناق^(٢) من قبل الأحزاب الأخرى، إلا أنه تعاون مع جمعية الاتحاد والترقي حتى عام ١٩١٢ لمتابعة الإصلاحات، ومع ذلك، تراجع الاتحاد والترقي عن المبادئ الدستورية وفشل في تحقيق الإصلاح الزراعي وتوفير الأمن للسكان الأرمن، الأمر الذي أدى لوقف تعاون الطاشناق مع الأخير، وعلى هذا النحو، قررت الانضمام إلى جماعات المعارضة ما لم تغير جمعية الاتحاد والترقي^(٣)

(١) السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨): هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، تولى العرش عام ١٨٧٦ بعد عزل أخيه مراد الخامس، شهدت فترة حكمه إصلاحات إدارية وعمرانية واسعة، أهمها إنشاء شبكة السكك الحديدية، وتوسيع التعليم، وتنظيم الإدارات الحكومية، عُرف بدوره في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية لمواجهة التحديات الغربية، اتصف حكمه بالاستبداد بعد تعطيل العمل بالدستور عام ١٨٧٨، خُلع من الحكم عام ١٩٠٩ على يد جمعية الاتحاد والترقي، وتوفي في منفاه بإسطنبول عام ١٩١٨، للمزيد ينظر: نقلاً عن: نور ابراهيم نجم ووسام علي ثابت، دوافع السلطان عبد الحميد الثاني لتطويع الاستخبارات (١٨٧٦-١٩٠٩) مجلة الباحث، ج١، المجلد ٤٤، العدد ٣، جامعة كربلاء، ٢٠٢٥، ص ٢١٩؛ محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني شخصية فذة في تاريخ الإسلام، ط ٧، دار القلم، بيروت، ٢٠١٠، ص ص ١٥-١٨.

(٢) حزب الطاشناق، أو حزب الاتحاد الثوري الأرمني: هو حزب قومي اشتراكي أرمني تأسس عام ١٨٩٠م في تبليسي (جورجيا حالياً)، ويُعد من أقدم الأحزاب الأرمنية، لعب دوراً مهماً في النضال من أجل استقلال أرمينيا، وكان نشطاً في الإمبراطورية العثمانية، وشارك لاحقاً في الحياة السياسية في جمهورية أرمينيا الأولى (١٩١٨-١٩٢٠)، بعد سقوط الجمهورية، واصل الحزب نشاطه في المنفى، ولا يزال فاعلاً حتى اليوم، ولاسيما في الشتات الأرمني وداخل أرمينيا ولبنان، للمزيد ينظر:

Razmik Panossian, The Armenians: From Kings and Priests to Merchants and Commissars, : Columbia University Press, New York: 2006, pp. 256-261.

(3) E. F. Knight, The awakening of Turkey : a history of the Turkish revolution. Publisher.London : J. Milne,1925,p.44.

الفصل الأول

من سياستها، مما أدى إلى خلق انقسامات سياسية بين قيادات الحزب التي رأت ان جمعية الاتحاد والترقي تحتاج مزيداً من الوقت لتعزيز سلطتها والقدرة على إقناع الجماعات التركية المتطرفة بقبول الإصلاحات الزراعية، وبحلول عام ١٩١٢م، حث الأرمن الأوروبيين على التدخل من أجل ممارسة الضغط على جمعية الاتحاد والترقي، وأعرب القيصر الروسي نيكولاس الثاني (Nicholas II) ^(١) عن رغبته العميقة في مساعدة الأرمن الأتراك في الأناضول، إذ من شأن هذا ان يعيد ولاء الأرمن الذين كانوا يعيشون في الإمبراطورية الروسية، وبدأ أيضًا أنه من خلال تجاهل قضية الأرمن الأتراك، يمكن للتمرد ان ينتشر بسهولة إلى منطقة القوقاز، وعلى هذا النحو، "خففت الحكومة الروسية الرقابة على الصحافة الأرمنية وشجعت في الواقع الأرمن الشرقيين على الانخراط في المشكلة الأرمنية الغربية وتنظيم لجان لحشد دعم الرأي الأوروبي الرسمي ^(٢).

اجتمعت ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا وروسيا في القسطنطينية وأصدرت خطة إصلاحية لتنفيذها في الإمبراطورية العثمانية، وبعد العديد من التعديلات وبتسوية روسية ألمانية، قبلت الحكومة العثمانية "تحت الإكراه" خطة الإصلاح التي سُميت بقانون الإصلاح الصادر في ٨ شباط ١٩١٤ م والذي نص على إنشاء مقاطعتين أرمنيتين في شرق الأناضول وتعيين مفتش أجنبي يعين من هيئة مدنية عامة وعليها لكل محافظة، وعلى الرغم من فشل قانون الإصلاح في تلبية جميع التوقعات الأرمنية، إلا أنه كان يمثل الإصلاح الأكثر قابلية للتطبيق

(١) نيكولاس الثاني (١٨ آيار ١٨٦٨ - ١٧ تموز ١٩١٨): آخر قياصرة الإمبراطورية الروسية، حكم من عام ١٨٩٤ حتى ١٩١٧. عُرف بلقبه "القيصر الشهيد" بعد إعدامه من قبل البلاشفة مع أفراد عائلته في أثناء الثورة البلشفية. خلال فترة حكمه، واجه نيكولاس تحديات كبيرة مثل ثورة ١٩٠٥، الحرب الروسية اليابانية، والحرب العالمية الأولى، التي ساهمت في تدهور الوضع =الداخلي، وانتهى الأمر بتنزله عن العرش عام ١٩١٧ خلال الثورة الروسية، أُعدم مع عائلته عام ١٩١٨ في مدينة يكاترينبورغ، للمزيد ينظر :

Nicholas V. Riasanovsky , A History of Russia. New York: Oxford University Press, 2005, p. 457.

(2) Thomas Goltz, Azerbaijan Diary: A Rogue Reporter's Adventures in an Oil-Rich, War-Torn, Post-Soviet Republic, London: ME Sharpe, 1998, p. 215.

الفصل الأول

منذ تدويل المسألة الأرمنية في عام ١٨٧٨، ومع ذلك، لم يطبق قانون الإصلاح نهائياً^(١)، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، ومع إظهار الأرمن تعاطفاً قوياً في عام ١٩١٥ مع الجيش الروسي في شرق الأناضول، لجأت جمعية الاتحاد والترقي إلى ترحيل الأرمن من المقاطعات الستة كإجراء جذري للقضاء على التهديد الداخلي، وبذلك كان عام ١٩١٥ هو العام الذي وقعت فيه الأحداث الأكثر مأساوية وكارثية في تاريخ الشعب الأرمني^(٢).

ولإثبات ادعاءات الأرمن بشأن ما تعرضوا له من إبادة جماعية، وبعد الاطلاع على الكثير من المصادر، تبين أن قتل الأرمن في شرق الأناضول حدث عندما انحاز بعضهم إلى الروس الغزاة وثاروا ضد القوات العثمانية، وقد أسفرت عمليات نقل الأرمن اللاحقة عن سقوط العديد من الضحايا لا ترقى لمستوى الإبادة الجماعية، بل كانت مأساة بين الجانبين تعرض كلاهما إلى خسائر بشرية ومادية^(٣).

كانت كاراباخ خلال الحرب العالمية الأولى منطقة متنازع عليها من قبل العثمانيين والأرمن والأذربيجانيين والبريطانيين، وكانت اطماع العثمانيين في إذربيجان تتمثل بإنشاء دولة تورانية عظيمة من خلال توحيد الأتراك العثمانيين مع الشعوب ذات الأصل التركي في القوقاز وحوض الفولغا وآسيا الوسطى، وبالنسبة للإذريين، كان إنشاء جمهورية إذرية مستقلة في جنوب القوقاز على رأس أجندتهم السياسية، ومع ذلك، لم يعده الأتراك ضرورياً، وكان أفضل تلخيص للأهداف

^(١)Karl W. Deutsch, Nationalism and Social Communication: An Inquiry into the Foundations of Nationality Cambridge and London: MIT Press,1996,p.301.

^(٢)Mamed Iskenderov,Azerbaijan: A Land in Bloom, Publisher,London,Soviet Booklets,1959,p.49.

^(٣)Mamed Iskenderov,Op.Cit,p.51.

الفصل الأول

التركية القومية كان على لسان وهيب باشا^(١)، قائد الجيوش العثمانية على الجبهة الشرقية في عام ١٩١٨م، الذي أعلن "لقد غادرنا البلقان وكنا نغادر أفريقيا أيضًا ولكن من واجبنا الانتشار إلى الشرق، إذ دماءنا وإيماننا ولغتنا"^(٢).

نظر قادة حزب المساواة القومي الأذري^(٣) إلى الدولة العثمانية وبقية العالم الإسلامي كحلفاء أقوياء في كفاحها من أجل فرض الهيمنة الأذرية على المناطق التي يسكنها خليط من السكان الأرمن والمسلمين في كاراباخ وزنجيزور وشارور ناخيتشيفان، ولذلك فإن القوميين الأذريين سعوا للحصول على دعم القومية التركية والإسلامية مثل لجنة الاتحاد والتقدم (Committee of Union and Progress) بهدف تأمين الوصول المباشر إلى الأناضول عبر ممر كاراباخ-ناخيتشيفان، وأظهر هذا الهدف النفوذ التركي المتجذر بين الشعب الأذري، الذي كرم الجنرالات الأتراك واعتبر حريهم الحزبية في القوقاز ضد الأرمن والروس أمرًا حيويًا في نشر الوحدة الإسلامية^(٤).

^(١) محمد وهيب باشا (١٨٧٧-١٩٤٠): هو أحد كبار الضباط في الجيش العثماني خلال أواخر العهد العثماني، تخرج في الكلية الحربية العثمانية، وتدرج في الرتب حتى أصبح قائدًا عامًا على الحجاز عام ١٩١٤، عُرف بعلاقته الوثيقة بحزب الاتحاد والترقي، وساهم في تنفيذ سياسات الدولة المركزية في الحجاز، مما أثار خلافًا كبيرًا مع الشريف حسين بن علي، أُقيل من منصبه بعد تصاعد التوتر السياسي والعسكري، وتقلد لاحقًا مناصب عسكرية واستشارية، منها مشاركته كمستشار عسكري في إثيوبيا، توفي في إسطنبول سنة ١٩٤٠، للمزيد ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٩، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٢١.

^(٢) Quoted in : Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia (1918-1919), Vol. I University of California Press, Berkeley: 1971, p.69.

^(٣) حزب المساواة القومي الأذري: هو حزب سياسي بارز في أذربيجان، تأسس عام ١٩١١ في باكو على يد محمد أمين رسول زاده وآخرين يُعتبر الحزب من أقدم الأحزاب السياسية في البلاد، ولعب دورًا محوريًا في تاريخ أذربيجان السياسي، للمزيد ينظر:

Nasiman yaqublu, Müsavat Partiyasının tarixi: Müsavat Partiyasının 100 illiyin², (Adiloğlu) 2012, pp7-9.

^(٤) Martin McCauley, Three Treaties, Alexandropol, Moscow and Kars (1920-1921), Beirut: Technopress Modern, 1Thr, pp.19-20.

الفصل الأول

إن أهمية ممر كاراباخ-ناخيتشيفان تقابلها في الاستراتيجية الأرمنية أهمية منع الوصول المباشر بين تركيا وإذربيجان وسقوط هذا الممر يعني تطويق أرمينيا ومنع وصولها إلى بلاد فارس، وكانت النافذتان المطلتان على العالم الخارجي عبر الحدود الفارسية وعبر جورجيا، وخلال الحرب العالمية الأولى، كانت السيطرة على كاراباخ وزنجيزور (المنطقة الجبلية الجنوبية من أرمينيا التي تفصل إذربيجان عن ناخيتشيفان) وناخيتشيفان حاسمة بالنسبة للأرمن لأسباب استراتيجية واقتصادية وإثنوغرافية^(١).

انفجرت التوترات الوطنية المتزايدة نتيجة لثورة تشرين الأول ١٩١٧م وتفكك الإمبراطورية الروسية، وفي ربيع عام ١٩١٨م، عبر الجيش التركي حدود ما وراء القوقاز وأخذ زمام المبادرة لإنشاء دولة إذرية في منطقة إيلزافيتبول (Elizavetpol)، وعدّ مثل هذا العمل عدواناً على الأقليات العرقية في باكو، ومن بينهم الأرمن، الذين كانوا المدافعين الرئيسيين عن العاصمة، وبعد ذبح ٣٠ ألف أرمني في منتصف أيلول ١٩١٨م، وضع الأتراك حزب المساواة في السلطة في باكو، وأطاحوا بسوفييات باكو برئاسة البلشفي الأرمني ستيفان شاهوميان (Stepan.Shahumyan)^(٢)، وجرى عزل كاراباخ الجبلية عن بقية إذربيجان لإجبار الأرمن على الرحيل^(٣)، والاعتراف بسلطة حزب موسافات (Musavat Party)^(٤).

(١) Caroline cox and john Eibner, Ethnic Cleansing in Progress: War in Nagorno-Karabakh (London: Institute for Religious Minorities in the Islamic World, 1993,p.71.

(٢) ستيفان شاهوميان (١٨٧٨-١٩١٨): سياسي ورجل ثوري أرمني، ينحدر شاهوميان من العاصمة الجورجية تبليسي، وقد صاغ إرثه الثوري في باكو، بصفته زعيماً لكونمونة باكو أثناء الثورة الروسية والحرب الأهلية، ولعب أيضاً دوراً فعالاً في تطوير السياسة البلشفية والسوفييتية لاحقاً، أعدم من قبل الثوار الاشتراكيون المتحالفون مع بريطانيا في الصحراء التركمانية، للمزيد ينظر:

Ronald Suny, Grigor.The Baku Commune(1917-1918), class and nationality in the Russian Revolution, Publisher.Princeton, N.J. Princeton University Press,1972 ,p.31.

(٣) David lang ,Armenia: Cradle of Civilization ,London: George Allen and Unwin Ltd. 1970,p.55.

(٤) موسافات أو حزب الموسافات: هو حزب قومي أذربيجاني تأسس عام ١٩١١، وكان الحزب السياسي الرئيسي الذي نادى باستقلال أذربيجان عن الإمبراطورية الروسية، لعب دوراً بارزاً في تأسيس جمهورية أذربيجان الديمقراطية في ١٩١٨، وكان معارضاً للحكم السوفييتي، وللمزيد ينظر:

Tadeusz Swietochowski,Russian Azerbaijan(1905-1920), The Shaping of a National Identity in a Muslim Community. Cambridge University Press, 1985, pp. 250-260.

الفصل الأول

واصل العثمانيون تقدمهم في منطقة ما وراء القوقاز واستولوا على ميناء باتوم على البحر الأسود، و التقوا وفد من منطقة ما وراء القوقاز للتفاوض على تسوية سياسية انتهت بالتوقيع على ثلاث معاهدات منفصلة مع الأرمن والأذريين والجورجيين وتعهد الأتراك باستعادة النظام في منطقة ما وراء القوقاز وتحرير باكو من السيطرة الشيوعية، وقمع العصابات الأرمنية النشطة في منطقة كاراباخ الجبلية، وعلى الرغم من الصداقة التركية الأذرية، لم تعترف الدولة العثمانية باستقلال إذربيجان إذ ان الأتراك اعتبروا شرق القوقاز جزءًا من الإمبراطورية الطورانية، التي كان من المفترض أن تشمل شمال القوقاز وشمال بلاد فارس وتركستان، أي آسيا الوسطى، وكانت معاهدة السلام والصداقة بين أرمينيا والدولة العثمانية الموقعة في باتوم^(١) تركت لأرمينيا منطقة نوفو بايزيد والنصفين الشرقيين من غرب الكسندروبول (Alexander, Pol) وإيتشميادزين (Etchmiadzin) ويريفان وشارور (Sharur) دارغلياز (Daraghlyaz)، وهناك بنود مهمة أخرى تلزم أرمينيا بمنح الحريات الدينية والثقافية الكاملة للسكان المسلمين، وتقليص حجم الجيش بشكل كبير، وطرد جميع ممثلي الدول المعادية للقوى المركزية، وضمان عبور القوات والإمدادات العثمانية دون عوائق عبر أراضي البلاد^(٢).

أعلن الموسافيون جمهورية إذربيجان الديمقراطية في ٢٧ أيار ١٩١٨، وفي اليوم التالي ٢٨ أيار، أجبرت التطورات السياسية الأرمن على إعلان جمهورية مستقلة مكونة من الأراضي التي يسكنونها في شرق القوقاز، وتضمنت هذه الأراضي منطقة نوفو بايزيد والنصف الشرقي من مقاطعة ألكسندروبول، وإيتشميادزين، ويريفان وشارور، دارغلياز، وما نتج عن إعلان الاستقلال

^(١) في الرابع من حزيران، وقع الوفد العثماني معاهدات سلام وصداقة مع أرمينيا وجورجيا، ومعاهدة صداقة مع أذربيجان ووقع معاهدة مماثلة مع وفد شمال القوقاز في الثامن من حزيران، سمحت المعاهدات التكميلية مع جميع الموقعين للجيش العثماني باستخدام البنية التحتية لهذه البلدان، سمحت المعاهدات بين الإمبراطورية العثمانية وأرمينيا وأذربيجان وشمال القوقاز للإمبراطورية بإرسال مساعدات عسكرية بناءً على طلب الموقعين القوقازيين وتعهدت بعلاقات طيبة وحددت حدودًا عثمانية جديدة، كان من المقرر أن تنزع جورجيا سلاح أسطولها في البحر الأسود، في حين ألزمت جورجيا وأرمينيا بالإضافة إلى ذلك بتسريح جيوشهما لبقية الحرب العالمية الأولى، للمزيد ينظر :

Richard Hovannisian, Armenia on the road to independence 1918, Publisher. Berkeley, University of California Press ,1967 ,p.33.

⁽²⁾ Otto Luchterhandt, Nagorno-Karabakh's Right to State Independence According to International Law Boston: Armenian Rights Council, 1993, pp.51-52.

الفصل الأول

الأذري والأرمني هو أن نوعاً من الوضع غير الواضح ساد في شمال - كارا، وناخيتشيفان وزانجيزور، اذ تواجد سكان أرمن وإذريون مختلطون، وقد اشار الفحص الدقيق للتطورات السياسية الدقيقة للغاية التي كانت تحدث إلى أن ناغورني - كاراباخ كانت مستقلة بحكم الأمر الواقع في صيف عام ١٩١٨. وهذا يعني أن إعلانات الاستقلال الأرمنية والأذرية في جنوب وشرق القوقاز لم تكن واضحة فيما يتعلق بوضع كاراباخ وغيرها من المناطق، اذ طالبت كلتا الجمهوريتين "بالجزء الغربي من كاراباخ وزنجيزور إلى الجنوب الغربي وناخيتشيفان غرب زانجيزور على الحدود مع تركيا وبلاد فارس ، ولذلك، كان ترسيم الحدود النهائية مسألة متضاربة وحساسة لكلا الجمهوريتين^(١).

في أعقاب الوضع السياسي والسلام غير المستقر عام ١٩١٨م، استغل أرمن كاراباخ الاضطرابات السياسية في باكو، التي كانت لا تزال تحت سيطرة تحالف من الأرمن والبلاشفة، واعتمدوا موقفاً تحدياً ضد الحكومة التي تم إنشاؤها حديثاً وعاصمتها المؤقتة غانجا، وفي ٥/ اب ١٩١٨م، جرى عقد مؤتمر للأرمن في ناغورني - كاراباخ في العاصمة شوشي، إلا إن الأوضاع تغيرت مع اقتراب القوات التركية من شمال - خراسان مطالبة أرمن كاراباخ بالاستسلام للحكم الأذري، وفي تشرين الأول، اضطرت كاراباخ إلى الخضوع للقوى الإسلامية مقابل السلام، ومع ذلك، لم يتم احترام الوعد وتم شن حملة عسكرية ضد الأرمن، الذين انتقموا بتمرد مسلح، واستمر هذا الوضع حتى الانسحاب النهائي للعثمانيين من منطقة القوقاز في تشرين الثاني ١٩١٨م^(٢).

أدى الوجود العسكري البريطاني في القوقاز عام ١٩١٩ م فضلاً عن روسيا وتركيا، وتدخلهم في الصراعات الإقليمية إلى تفاقم الوضع^(٣)، ومن الواضح أن الأحداث السياسية في

(1) Ibid,p.56.

(2)DavidBrown, Contemporary Nationalism: Civic, Ethnocultural and Multicultural Politics ,London and New York: Routledge, 2000.p.164.

(3) Ibid.p.166.

الفصل الأول

القوقاز قد تأثرت بأهداف السياسة الخارجية للقوى الكبرى المشاركة في المنطقة، ويمكن تلخيص أهداف التدخل البريطاني واحتلال المواقع الإستراتيجية في منطقة ما وراء القوقاز في نقطتين^(١):

١- حماية حدود الهند.

٢- السيطرة على النتيجة المحتملة للحرب الأهلية الروسية.

إذ لم تكن بريطانيا مهتمة بمنح الاعتراف بالجمهوريات المستقلة حديثاً ولم تلتزم بحل نزاعاتها اعتمد البريطانيون سياسة مؤيدة لإذربيجان مدفوعة بمخاوف استراتيجية واقتصادية تمثلت في احتياطات النفط الهائلة بالقرب من باكو، فضلاً عن ذلك، اعتقدوا أن إذربيجان القوية والمستقلة المتحالفة مع بريطانيا ستشكل حاجزاً ضد الوحدة الإسلامية والتحديات السوفيتية المستقبلية على المصالح البريطانية، وخاصة الطريق إلى الهند والانتداب البريطاني في الشرق الأوسط، ووفقاً لسياستهم، وعد البريطانيون حزب موسافات بضم قره باغ الجبلية وزنجيزور إلى الجمهورية الأذرية، إلا أن القرار أُجلّ لحين صدور قرار مؤتمر باريس للسلام، ورفضت حكومة أرمينيا وأرمن كاراباخ الانصياع واحتجوا بشدة، على الرغم من عدم وجود أي تأثير، واصل البريطانيون إجراءاتهم وفي ١٥/ كانون الثاني ١٩١٩ أيدوا وضع منطقة كاراباخ الجبلية مؤقتاً تحت الحكم الأذري بموجب المادة رقم (١) من المنشور الصادر في كانون الثاني ١٩١٩م من قبل القيادة البريطانية و الذي نص على " أن حكومة إذربيجان، بموجب قرارها الصادر في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩م، عينت سلطانوف^(٢)، حاكماً عاماً والذي حظي بثقه القيادة

^(١)Bpaul R. Brass, Ethnicity and Nationalism: Theory and Comparison ,London: SAGE, 1991,p.28.

^(٢)خوسروف بيك سلطانوف (١٨٧٩-١٩٤٣): سياسي أذري وُلد في منطقة زنجيزور، تلقى تعليمه في موسكو، وكان من مؤسسي حزب المساواة و عُيّن حاكماً عاماً لمنطقة قره باغ الجبلية في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ بدعم من القيادة البريطانية العسكرية في باكو، أثار تعيينه احتجاجاً واسعاً من الأرمن، إذ اعتبر الأرمن أن وجوده في شوشا محاولة لفرض السيطرة الأذرية على إقليم متنازع عليه، اتهم سلطانوف لاحقاً بالتواطؤ في مجازر ضد السكان الأرمن في شوشا عام ١٩٢٠، للمزيد ينظر:

Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: Vol. I (1918-1919), University of California Press, Berkeley, 1971, pp. 208-215.

الإنجليزية^(١) وقد نددت حكومة أرمينيا بنوايا إذربيجان إنشاء منصب حاكم عام في مناطق جيفانشير وجبرائيل وشوشي وزنجيزور، وعدت ذلك انتهاكًا لحقوقها الإقليمية، وردا على ذلك، أكدت إذربيجان حقها غير القابل للجدل في المنطقة وعدت إدانة أرمينيا انتهاكا لسيادتها ومحاولة للتدخل في شؤونها الداخلية^(٢).

يمكن القول بأن الدبلوماسية البريطانية في القوقاز عام ١٩١٩ ساهمت إلى حد كبير في صراع كاراباخ، الذي ظل دون حل حتى يومنا هذا، منعت بريطانيا توحيد كاراباخ مع أرمينيا، وفي الواقع، فإن كلمات العقيد جي سي بلودن^(٣)، الممثل العسكري البريطاني في يريفان، عبرت بشكل أفضل عن قرار حكومته غير المناسب: "أعتقد أن تسليم كاراباخ إلى إذربيجان كان بمثابة الضربة الأشد مرارة على الإطلاق كونها مهد عرقهم وآخر ملاذ تقليدي لهم، وملجأهم الأخير عندما تعرضت بلادهم للغزو، لقد كانت أرمينية بكل الطرق، وكانت الجزء الأقوى من أرمينيا، ماليًا وعسكريًا واجتماعيًا"^(٤).

في ٥ حزيران ١٩١٩م، وبعد انسحاب القوات البريطانية من كاراباخ، اندلعت اشتباكات عرقية بين الأرمن والأذريين، وكرد فعل على خطورة الوضع، اجتمع المؤتمر السادس لأرمن كاراباخ في ٢٨/ حزيران ١٩١٩م، في قرية شوش، غرب شوشي، وبعد مناقشات مكثفة، اتفقوا على التوصل إلى اتفاق مؤقت مع سلطات مساواة، وتم إرسال وفد أرمني إلى باكو بصلاحيات كاملة للتفاوض. واعتمد أرمن كاراباخ بعض المبادئ التوجيهية الأساسية للتسوية، الذين أبدوا استعدادًا للتوصل إلى تسوية، على الرغم من إصرارهم

(1)Quoted in: Paul J. Leaderach, Building Peace: Sustainable Reconciliation in Divided Societies, US Institute of Peace Press, ,Washington, 1997,p.213.

(2) Ibid,p.214.

(3) David Brown,Op Cit,p.169.

(4)Quoted in: David M. Kotz, and Wier, Fred (eds), Revolution from Above: The Demise of the Soviet System ,London: Routledge, 1997.

الفصل الأول

على الاعتراف بهم من قبل الحكومة الأذرية كطرف متساوٍ في أي مفاوضات مقبلة. ستخضع قره باغ للولاية القضائية المؤقتة لإذربيجان بالشروط الآتية^(١):

١. تمنح كاراباخ إلى إذربيجان تحت حكم إداري كامل.
٢. تتلزم إذربيجان بالتوقف عن تعيين مسؤولين مسلمين في كاراباخ.
٣. تتلزم إذربيجان بالتخلي عن سيطرتها الدائمة على كاراباخ.
٤. على إذربيجان التوقف عن مطالبتها بمنطقة بزانجيزور.
٥. على إذربيجان أن تتوقف عن نزع سلاح السكان الأرمن.

قامت الحكومة الأذرية بتعديل المقترحات الأرمنية الجذرية وأظهر استعدادها لقبول التسوية. لكن المبعوثين الأرمن امتنعوا عن التوقيع، ومع تأخر الرد الأرمني دفع القادة الأذريين إلى إعادة النظر في شروط الاتفاقية، ويبدو أن أيًا من الطرفين لم يكن مستعدًا للتوصل إلى حل وسط^(٢).

مع انسحاب القوات البريطانية من القوقاز وفي غياب أي مساعدة من يريفان، وافق المؤتمر الوطني في الجمعية السابعة على الولاية القضائية الأذرية المؤقتة في انتظار قرار مؤتمر باريس للسلام^(٣)، بشرط ضمان حقوق أرمن كاراباخ، وبعد أن صرح وجهاء أرمينيا وإذربيجان بأن أي خلاف سيكون له عواقب وخيمة على المنطقة وتأكيدهم على أن الأرمن والمسلمين سيستمرون في العيش معًا في كاراباخ، اقترحوا إبرام الاتفاقية في ٢٢ آب ١٩١٩م، توقيع ممثلي الأرمن وأكدت الوثيقة تقديم كاراباخ إلى إذربيجان، وأصبح هذا الاتفاق مهمًا في التاريخ اللاحق للعلاقات الأرمنية الأذرية، ومن الجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بحقوق أرمن كاراباخ، فإن اتفاقية ٢٢ آب نصت على ما يلي^(٤): تعيين مساعد أرمني للحاكم العام فضلاً عن مجلس إداري أرمني-مسلم مكون من ستة أعضاء، اذ يقوم الأعضاء الأرمن بترشيح

^(١)Stephen Cornell, and Douglas Hartmann, Ethnicity and Race: Making Identities in a Changing World, London and New Delhi: Pine Forges Press, 1998, p.58.

^(٢)Ibid, p.60.

^(٣) ينظر الملحق رقم (٢).

^(٤)David M. Kotz, and Wier, Ibid, p.62.

الفصل الأول

المسؤولين المدنيين في منطقة كاراباخ الجبلية. كان من المقرر أن يتمتع الأرمن بالحرية الكاملة للتجمع والتعبير والصحافة، وستساعد الحكومة الأذرية ماليًا في ترميم القرى المتضررة وفي المساعي التعليمية والثقافية. لن يتم نزع سلاح السكان، وستقتصر الحاميات العسكرية الأذرية على خانكيند (ستيباناكيرت) وشوشي في وقت السلم. وأي تحرك للقوات الأذرية في منطقة كاراباخ الجبلية سيتطلب موافقة ثلثي مجلس الحاكم العام. ويمكن للأرمن الذين تم نفيهم لأسباب سياسية العودة، ولن يتعرض أحد للاضطهاد على أساس وجهات النظر السياسية^(١).

ساد الانقسام بين أرمن كاراباخ حول هذه القضية، إذ رأى المتقنون إمكانية وجود أرمني-إذري دون اللجوء إلى وسائل قسرية وعنف بالاضافة الى العامل الأيديولوجي الذي يقوض التضامن بين الأرمن، كان حزب الطاشناق القومي ومعظم الديمقراطيين غير البلاشفة ضد المصالحة والتسوية، وطالبوا بدلاً من ذلك بالوحدة النهائي لكاراباخ مع الجمهورية الأرمنية إذ فضلوا إجراءات الدفاع عن النفس ونادوا بالكفاح المسلح لتحقيق هدفهم، على العكس من ذلك، اعترف البلاشفة والثوريين الاشتراكيين بأن كاراباخ مرتبطة اقتصاديًا بشرق القوقاز وسعوا إلى التسوية مع الحكومة الأذرية بوصفها الطريقة الوحيدة لتجنيد كاراباخ الجبلية من الخراب^(٢).

تدهورت العلاقات الأرمنية-الأذرية بشكل أكبر وبدا حل النزاع بالوسائل السلمية صعباً، وبدأ الخيار العسكري يؤكد نفسه أكثر فأكثر، وقد منع سلطانوف الأرمن من مغادرة شوشي ونظم خطة لمراقبة القرى الأرمنية التي يمكن أن تدعم قره باغ وزنجيزور، ويمكن أن تُعزى إجراءات سلطانوف إلى سلسلة من الهجمات الإرهابية التي شنها القوميون الأرمن في كاراباخ والتي تسببت في قتال واسع النطاق بين الطائفتين، واضطرت قواته في كثير من الأحيان إلى التدخل إلى جانب السكان الأذريين في كاراباخ، وهو تطور أعاد إلى الإذهان ذكريات الاشتباكات العرقية

(1) Quoted in: Jeff Chinn, and Kaiser Robert, Russians as the New Minority: Ethnicity and Nationalism in the Soviet Successor States ,Boulder: Westview Press, 1996.p.77.

(2)Shireen T. Hunter, The Transcaucasus in Transition: Nation-Building and Conflict,washington DC: Centre for Strategic and International Studies, 1994,p.147.

الفصل الأول

التي وقعت في كاراباخ في عامي ١٩٠٥ و ١٩٢٠^(١)، ولوقف العنف بين الطائفتين، نقلت إذربيجان الجزء الأكبر من قواتها العسكرية إلى كاراباخ ونجحت في النهاية في تحقيق هدفها، لكن حجم الدمار والخسائر في الأرواح كان هائلاً على كلا المجتمعين، فعلى سبيل المثال، تعرضت مدينة شوشي، إذ كان هناك مزيج من السكان الأرمن والأذربيجانيين، للدمار الكامل، وألقى بعض الوجهاء الأرمن في شوشي اللوم على الطاشناق وحملوها مسؤولية الاستفزاز من خلال عملياتها السرية^(٢).

تجلى رد الفعل الرسمي الأذري على الانتفاضة الأرمنية في استياء سلطانوف الشديد، وقد أدان الأذربيجانيين التمرد داعين إلى الحرب المقدسة، إذ عدوه هجوماً على الجمهورية الأذرية وفضلوا اتخاذ إجراءات مضادة قوية ضد أرمن كاراباخ، وقد أخذ رسول زاده^(٣)، رئيس اللجنة المركزية زمام المبادرة لحشد الدعم السياسي المحلي وتأجيج المشاعر القومية، وبناء على ذلك، جاء في القرار الأذري ما يأتي: بعد الاستماع إلى تفسير الحكومة للهجوم الغادر على جنودنا في كاراباخ والاضطرابات التي تهدد حريتنا واستقلالنا، يطالب البرلمان الحكومة بالقمع الفوري والحاسم للتمرد واتخاذ الإجراءات الفعالة لمنع أي نوع من التمرد، النشاط الإجرامي من قبل القوات المرتبطة بالفوضى^(٤).

⁽¹⁾Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: From London to Sevres, February–August 1920, vol. III, Berkeley: University of California Press, 1996.p.389

⁽²⁾Shireen Hunter, Op. Cit,p.391–392.

^(٣)رسول زاده(١٨٨٤-١٩٥٥): واسمه الكامل محمد أمين رسول زاده، سياسي واعيادي أذربيجاني، أحد مؤسسي جمهورية أذربيجان الديمقراطية (١٩١٨-١٩٢٠)، وأحد قادة الهجرة السياسية الأذرية، و في خريف عام ١٩١٧، انتخب رسول زاده نائباً عن أذربيجان وتركستان في البرلمان الروسي، وفي ٢٦ ايار ١٩١٨، تم حل مجلس ما وراء القوقاز نتيجة للنزاعات الفصائلية الداخلية. وفي ٢٧ من الشهر نفسه، تم تأسيس المجلس الوطني لأذربيجان، الذي يتألف من أعضاء من أحزاب مختلفة من ضمن الفصيل الإسلامي. وانتخب رسول زاده رئيساً للمجلس الوطني بأغلبية الأصوات وفي ٢٨ ايار ١٩١٨، أعلنت محطات الإذاعة والصحف في جميع البلدان استقلال أذربيجان للعالم، وهذا يعني أن شعب أذربيجان أبلغ البشرية جمعاء بوجوده ووجوده كأمة وأعلن بشكل كامل أنه أقام دولته الوطنية، وتشكلت حكومة جمهورية أذربيجان الديمقراطية بقيادة فتالي خان خويسكي، وهكذا أسس شعب أذربيجان جمهورية ليس فقط بين الشعوب التركية ولكن أيضاً لأول مرة في الشرق بأكمله، للمزيد ينظر:

Thomas Goltz, Azerbaijan diary : a rogue reporter's adventures in an oil-rich, war-torn, post-Soviet republic. Publisher.Armonk, N.Y. : M.E. Sharpe,1998,p.11.

⁽⁴⁾ Quieted in, Audrey L.Altstadt , The Azerbaijani Turks: Power and Identity Under Russian Rule ,Stanford: Hoover Institution Press, 1992,p.88.

في السياق ذاته، صرحت حكومة أرمينيا ان تلك التطورات هي نتيجة "للعود والاتفاقيات الأذرية المستمرة، وأن العنف الذي ارتكبه الأذريين غير مقبول بسبب طابعه غير المتحضر، وحملت الحكومة الأذرية مسؤولية استفزازاتها المستمرة ونواياها للسيطرة على ممر كاراباخ- زانجيزور، من أجل الانضمام إلى الدولة العثمانية وسحق الجمهورية الأرمنية، ورداً على الاتهامات الارمنية ، نفى الأذريين ذلك مبررين ما حدث في كاراباخ ناتج عن مؤامرات أرمنية نفذت ضد الأذريين، كتبت صحيفة إذربيجان الرسمية: يبدو انه وعلى الرغم من تعهدات المسؤولين الحكوميين الأرمينيين والأذريين، الا ان الجهود المبذولة قد فشلت في تحقيق السلام^(١).

رابعاً: المؤتمر الثلاثي عبر القوقاز (١٩٢٠م).

تم التوصل لوقف إطلاق النار الأول بين الأرمن والأذريين في ٩ نيسان ١٩٢٠م^(٢)، إلا ان التوترات على طول الشريط الحدودي لم تتوقف إلا في الثامن عشر من نيسان بناءً على اتفاق وقف إطلاق النار المكون من ١١ نقطة والذي وقعه المسؤولون الأرمينيون والأذريين في أوزونتالا، ومن المهم الإشارة إلى أنه تم إرسال وفد خاص يضم ساركيس ماناسيان (Sarkis.Minassian) مساعد وزير الداخلية الأرميني، وخان خويسكي^(٣) (Khan.Khoyski) حاكم مقاطعة قازاخستان الأذرية، من تبليسي ليشهدوا الاتفاق، كانت التوترات العرقية الأرمنية الأذرية من بين الاهتمامات الرئيسية للمؤتمر الثلاثي عبر القوقاز الذي انعقد في ٩ نيسان في تبليسي قبل انعقاد المؤتمر، وقد طالب المفاوضون البريطانيون

(1) Audrey L. Altstadt , Op. Cit,p.90.

(٢) ينظر الملحق رقم (٣).

(٣) خان خويسكي (١٨٧٥-١٩٢٠) : سياسي أذربيجاني، احد مؤسسي أذربيجان المستقلة وأول رئيس وزراء لها، انتخب نائباً في مجلس الدوما الثاني عن مقاطعة إليزابيثبول. وكان عضواً في برلمان ما وراء القوقاز الذي تأسس في كانون الأول ١٩١٧، وكان وزيراً للعدل في حكومة جمهورية ما وراء القوقاز الاتحادية المستقلة التي أعلنت استقلالها في نيسان ١٩١٨ و تم تعيين ف. خويسكي كأول رئيس وزراء . ووزير داخلية لمجلس وزراء جمهورية أذربيجان الديمقراطية في ١٧ حزيران ١٩١٨، ويتوجيه من المجلس الوطني الأذري تم تشكيل حكومة ثانية برئاسة خويسكي، كما شغل منصب رئيس الوزراء ووزير العدل في الحكومة الثانية، للمزيد ينظر :

Norman Davies, Beneath another sky : a global journey into history, Publisher London Allen Lane, an imprint of Penguin Books, 2016, p.21.

الفصل الأول

والإيطاليون والفرنسيون في القوقاز بأن وتسعى السلطات الأذرية إلى إيجاد حل سلمي للنزاعات^(١).

ألقى يفيغيني جيجتشكوري^(٢) (Evgeni.Gegechkori) وفي الجلسة الأولى للمؤتمر، كلمة حث فيها الأطراف على تحقيق تقدم في حل الصراع، واقترح الوفد الجورجي وقف جميع الأنشطة العسكرية على الفور لإعطاء فرصة للمفاوضات، لأنه كان من المستحيل استئناف المحادثات مع استمرار إطلاق النار، إلا أن المقترح قوبل بالرفض، إذ إن الوفد الأذري غير مخول بالبت في هذا الأمر^(٣).

^(١)Gerard J. Libaridian, The Karabagh File: Documents and Facts on the Region of Mountainous Karabagh(1918-1988),Cambridge: Zoryan Institute, 1988,p.211.

^(٢) يفيغيني جيجتشكوري (١٨٨١-١٩٥٤) : سياسي وثوري جورجي، شارك في ثورة ١٩٠٥ في جورجيا وانتخب عضواً في مجلس الدوما الثالث لمحافظة كوتايسي من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٢. أثناء ثورة شباط عام ١٩١٧، أصبح جيجتشكوري مفوضاً للحكومة المؤقتة الروسية في غرب جورجيا. من ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٧ إلى ٢٦ نيسان ١٩١٨، ترأس مفوضية ما وراء القوقاز وشغل منصب وزير العمل قبل أن يقود مجلس النواب ما وراء القوقاز ويصبح وزيراً للحرب، بعد تأسيس جمهورية جورجيا الديمقراطية في أيار ١٩١٨، أصبح وزيراً للخارجية. في عام ١٩٢١، وشغل لفترة وجيزة منصب وزير العدل، بعد غزو الجيش الأحمر لجورجيا، غادر جيجتشكوري إلى فرنسا في نيسان ١٩٢١، من عام ١٩٥٣ حتى وفاته، ترأس الحكومة الجورجية في المنفى، للمزيد ينظر:

Donald Rayfield,Edge of empires : a history of Georgia, Publisher.London : Reaktion Books,2012,p.78.

^(٣)Gerard J. Libaridian, Op.Cit,p.214.

الفصل الأول

وافق رئيس الوفد الأذري في الجلسة الرابعة على إدراج بند وقف إراقة الدماء في جدول الأعمال، وحتى ذلك الحين، خلال الدورتين الثانية والثالثة، اتهم هامازاب أوهانجانيان^(١) (Hamazasp Ohandjanian) وزير الخارجية الأرميني، الممثلين الأذريين بالسعي إلى إبادة أرمن كاراباخ قبل وقف الأعمال العدائية، ولم يكن من الحكمة تأخير مثل هذه القضية بينما كان الطرفان يجريان المفاوضات. فضلاً عن ذلك، اتهم الحلفاء أيضاً بالقول إنهم بينما كانوا يقترحون إنهاء الصراع سلمياً، إلا أنهم لم يفعلوا شيئاً ملموساً لتحقيق هذا الهدف، وبعد مناقشات مطولة، تم اعتماد جدول الأعمال التالي^(٢):

١. وقف الأعمال العدائية.

٢. تشكيل جهاز دائم للجمهوريات الثلاث.

٣. حل النزاعات الإقليمية.

٤. رابعاً، تنسيق السياسات الخارجية.

٥. تحقيق الكونفدرالية .

٦. القضايا الاقتصادية^(٣).

^(١) هامازاسب أوهانجانيان (١٨٧٣ - ١٩٤٧): سياسي أرميني شارك في الأنشطة الثورية، وأصبح عضواً في المكتب الشرقي لداشنا كستسوتيون عام ١٩٠٥، نسق العلاقات مع الثوار الروس والجورجيين أثناء الصراع الأرميني التركي، وعين وزيراً للخارجية في حكومة خاتيسيان كانون الثاني ١٩٢٠ وتولى رئاسة الوزراء بعد انتفاضة أيار ١٩٢٠ الشيوعية شهدت إدارته صراعات شرسة مع الشيوعيين، استقال بعد سقوط قارص شجن بعد دخول أرمينيا إلى الاتحاد السوفييتي، وأطلق سراحه بعد ثورة فبراير انتقل إلى بلاد فارس بعد عودة الشيوعيين، ومن ثم إلى مصر، وكان عضواً بارزاً في مكتب طاشناق حتى وفاته، وقد عارض أنشطة الجنرال درو أثناء الحرب العالمية الثانية، للمزيد ينظر:

richard g. Hovannisian, armenia on the road to independence, Publisher. university of california press, 1969, p. 101.

^(٢) Masih R. Joseph and Krikorian, Robert O. Armenia at the Crossroads, Amsterdam : Harwood Academic Publishers, 1999, p. 55.

^(٣) Masih R. Joseph and Krikorian, Op. Cit, p. 56.

الفصل الأول

وكانت أعمال المؤتمر بطيئة للغاية إذ إن معظم المناقشات خصصت للبند الأول ومع ذلك، نظرت الجلسة الخامسة اقتراح جورجيا بشأن استعادة الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب في كاراباخ. أصر الأرمن على أن الوضع الراهن يجب أن يستند إلى اتفاقية ٢٢/ آب ١٩١٩م، في حين حاول الأذريين التخلص من بعض القيود المنصوص عليها في تلك الاتفاقية، أصر الأذريين أيضاً على أن جميع الاتفاقيات السابقة قد تمت مراجعتها وإدراجها في انفراج تشرين الثاني ١٩١٩م بين خاتيسيان وأوسوبيكوف، فضلاً عن ذلك، أكدوا أن اتفاق آب هو شأن داخلي إنري، في حين ينبغي اعتبار اتفاق تشرين الثاني كأساس للحل النهائي^(١).

اقترح الممثلون الجورجيون ومن أجل إيجاد أرضية مشتركة بين الموقفين الأرمني والأذري، النظر في اتفاقي آب/ وتشرين الثاني عند اتخاذ قرار بشأن نزاع كاراباخ، وأخيراً، تقرر إنشاء لجنة مختلطة وإرسالها إلى كاراباخ وقازاخستان لتأكيد استعادة الوضع الراهن، وجاء في القرار المعتمد ما يلي^(٢): قام المؤتمر بتعيين لجنة مكونة من ستة أشخاص تقوم أولاً بتطبيق قرارات المؤتمر المتعلقة بوقف الأعمال العدائية وإعادة الوضع الراهن والمراقبة على أرض الواقع، ثانياً: التحقيق في أسباب ومسار الأحداث التي جرت^(٣).

أدخل الأذريين تعديلات على القرار المعتمد في ١٤ نيسان لتعزيز إرادة حكومتهم بشأن كاراباخ، وأكدوا أن المؤتمر الوطني في كاراباخ، بحكم قبوله للحكم الأذري المؤقت، قد أنهى بالفعل سيادته على كاراباخ. من وجهة نظر قضائية، لا يمكن وضع كاراباخ تحت سيادتين^(٤).

لم يتقدم المؤتمر الثلاثي عبر القوقاز إلى ما بعد هذه النقطة، وكانت الخطوة الوحيدة المعتمدة هي الإعلان عن ثلاث لجان كان من المفترض إرسالها إلى كاراباخ وقازاخستان

(1) Firuz Kazemzadeh, The Struggle for Transcaucasia (1917-1921) Birmingham: Templar Press, 1951, P.157.

(2) Yeghishe Ishkhanian, Lernayin Gharabagh (1917-1920), Mountainous Karabakh (1917-1920), Yerevan: Armad Press, 1999, p 63.

(3) Quoted in :Ibid ,p.64.

(4) Boris Kagarlitsky, Farewell Perestroika, Asoviat Chronical .London: Verso, 1990, p.103.

الفصل الأول

وناخيتشيفان لمحاولة وقف الأعمال العدائية، فقط تمكنت اللجنة القازاخستانية تمكنت من تحقيق نجاح بسيط. ولم يتمكن الاثنان الآخران من إنجاز مهمتهما لأن التطورات السياسية في القوقاز بدأت مرحلة جديدة مع دخول الجيش الأحمر إلى إذربيجان في نيسان ١٩٢٠م، وفي ٢٨ نيسان ١٩٢٠، أعلنت اللجنة الثورية العسكرية الأذرية إنشاء الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الأذرية^(١).

أظهر هذا المبحث أن جذور النزاع بين الأرمن والأذريين بدأت بالتبلور منذ العهد القيصري، من خلال الصدامات العرقية والتدخلات الإدارية الروسية، إضافة إلى المؤتمرات التي سعت لترتيب الأوضاع بعد الحرب العالمية الأولى، هذه المعطيات شكّلت الأساس الذي بُني عليه الموقف السوفييتي لاحقاً، وهو ما سيتم تناوله في المبحث التالي.

^(١)Boris Kagarlitsky, Op.Cit, p.104.

المبحث الثالث

التدخل السوفيتي في كاراباخ

(١٩٢٠-١٩٢٣م)

أولاً : التأثير السوفيتي على صراع كاراباخ

أرتأى هذا المبحث دراسة السياسة السوفيتية تجاه منطقة القوقاز في ظل الحكومات الشيوعية المتعاقبة، والموقف الرسمي السوفيتي تجاه الإعراف والإقليات، مما يطرح التساؤلات التالية، هل نجحت الحكومات السوفيتية في إذابه الفوارق العرقية في منطقته القوقاز؟ ما هو الهدف الحقيقي من سياسة الاندماج التي حاولت حكومه السوفيت اتباعها، ما هي السياسة التي اتبعها الاتحاد السوفيتي من أجل استقرار المنطقة ؟

بعد أن انضمت أرمينيا إلى روسيا في ١ كانون الاول عام ١٩٢٠م ، تحول الصراع في كاراباخ شأنًا داخليًا سوفيتيًا وتأثر هذا الاقليم بتوطيد الحكم السوفيتي في جنوب القوقاز مع التقارب السوفيتي التركي ، وفي هذا السياق، صار الاعتقاد بأن روسيا نظرت إلى القوميين الأتراك بقيادة مصطفى كمال اتاتورك ^(١)، كحليف قوي في النضال ضد الإمبريالية، وقد نظر الروس والكماليون إلى حزب الطاشناق الحاكم في أرمينيا بوصفه "عميلًا للإمبريالية الغربية"

(١) مصطفى كمال اتاتورك (١٨٨٠-١٩٣٨) : ولد في سالونيك ودرس في مدارسها ثم انتقل للدراسة في المدرسة العسكرية بأستنبول اتت خطوته العسكرية الأولى عام ١٩٠٩م، عندما شارك في أحماد الثورة المضادة ثم تصدى للقوات الإيطالية في طبرق بليبيا عام ١٩١١ عين ملحقا عسكريا في صوفيا عام ١٩١٣ لمع أسمه عند طرفي القتال بعد معركة غاليبولي ١٩١٥، إحدى أشهر المعارك في الحرب العالمية الأولى عين قائدا للجيش السابع في سيناء ثم في سورية تسلم عام ١٩١٨ قيادة مجموعة الفيالق السريعة ، خلف القائد الألماني ليمان فون سلدس طبقا لبنود الهدنة محارب الجيوش الغازية وأطاح بالخلافة العثمانية ، أنتخبه المجلس الوطني عام ١٩٢٣ أول رئيس للجمهورية التركية لم يترك بعده مؤلفات توضح افكاره، توفي عام ١٩٣٨ ،للمزيد ينظر : ستيفان لورانت، اتاتورك الذئب الأشهب، ترجمة: فيصل عبد الله، مجلة المناهل العدد الثالث السنة الأولى، بغداد، ٣ تشرين الثاني، ١٩٣٧، ص ١٧؛ مصطفى الزين، أتاتورك أمة في رجل، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٥.

ساعين للاطاحه به قريباً، وقد أدى الاحتلال السوفييتي لكاراباخ إلى دمجها إدارياً في جمهورية إذربيجان الاشتراكية السوفياتية، وإن كان ذلك قد جرى ببطء^(١).

في خضم السياسات السوفييتية وتوطيد سلطتها في عشرينيات القرن العشرين، تردد البلاشفة فيما يتعلق بالوضع النهائي لكاراباخ ولم يقرروا ما إذا كانوا سيعرضونها إلى أرمينيا أو إذربيجان، كان هذا الجدل حساساً للغاية، لأن كلا الطائفتين شهدتا تاريخاً عدائياً في محاولة تبرير سيطرتهما على كاراباخ، اعتقد البلاشفة أنه من الصواب إبقاء المناطق المتنازع عليها تحت احتلالهم حتى يتمكنوا من خلق الظروف المواتية للتوصل إلى حل عادل وعدم الاضرار بسياساتهم السلمية^(٢) المتمثلة في إدخال مبدأ ((الإخوة)) بين شعوب جنوب القوقاز^(٣).

وكان الانقلاب غير الدموي الذي أعقب دخول الجيش الأحمر اواخر نيسان ١٩٢٠ إلى إذربيجان سبباً في تعزيز التطورات الدراماتيكية في كاراباخ، فقد أعلن سلطانوف نفسه رئيساً للجنة الثورية في كاراباخ، ونقل ولائه من حزب مساواة إلى اللجنة الثورية الأذرية، وأعلن أن البروليتاريا^(٣) الأذرية انتظرت هذه اللحظة منذ مدة طويلة لتحرير نفسها من "الاستغلال الرأسمالي"، وأضاف أيضاً أن كاراباخ ترغب في الانضمام إلى إذربيجان السوفيتية لتحرير شعبها من النفوذ الإمبريالي للغرب من خلال تحالف روسيا السوفيتية وإذربيجان السوفيتية وتركيا الثورية، فضلاً عن ذلك، خاطب

(1) Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: Between Crescent and Sickel: Partition and Sovietization, vol. IV, Berkeley: University of California Press, 1996, p.177.

(2) Elizabeth Fuller, Azerbaijan at the Crossroads, London: Royal Institute of International Affairs, 1994, p.88.

(3) البروليتاريا Proletariat أو كما تعرف باللاتينية بلفظ proletarius: وتعرف بأنها طبقة العمال الاجراء الذين لا يملكون أي وسيلة إنتاج فيضطرون إلى بيع قوة عملهم لكي تستمر حياتهم، للمزيد ينظر: زاهر الخطيب، الفهم الثوري للدين والماركسية، ط ٤، دار الفارابي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٥، ص ٦٤.

الفصل الأول

سلطانوف أرمن كاراباخ، طالباً منهم وقف إراقة الدماء والعيش في سلام مع جيرانهم الأذريين^(١).

احتل الجيش الأحمر في ١١ أيار عام ١٩٢٠، منطقة شوشي - ناخيتشيفان - أوردوباد، وفي الثاني عشر من أيار، دخل الفوج (٢٨١) إلى شوشي لإنهاء الحرب العرقية بين البلدين حتى يتم التوصل إلى حل نهائي للنزاع الإقليمي في كاراباخ، وبعد بضعة أيام، قام ناريمان ناريمانوف^(٢) (Nariman.Narimanov)، رئيس اللجنة الثورية الأذرية، بتصفية اللجنة الثورية التي أسسها سلطانوف وعين داداش بونيازاد (Dadash.Buniatzade)^(٣)، مفوضاً استثنائياً لكاراباخ^(١).

(١) Ibid,p.90.

(٢) ناريمان ناريمانوف (١٨٧٠-١٩٢٥): سياسي و رجل دولة أذربيجاني، رئيس دولة أذربيجان السوفيتية ١٩٢١-١٩٢٢، لعب ناريمانوف دوراً فعالاً في إعداد وعقد المؤتمر الأول لشعوب الشرق، الذي انعقد في باكو في سبتمبر ١٩٢٠. وفي مايو ١٩٢١، في المؤتمر الأول للسوفييتات لعموم أذربيجان وفي الاجتماع الأول للجنة التنفيذية المركزية لأذربيجان برئاسة ناريمانوف، تم تشكيل حكومة جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية وفي عام ١٩٢١، بموجب اتفاقية قارص التي تم توقيعها بجهود ناريمانوف، تم رفع الضغط بضمن تركي من مصطفى كمال أتاتورك، في آذار ١٩٢٢، تم انتخاب ناريمانوف كأحد رؤساء مجلس الاتحاد في جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية في منطقة القوقاز، للمزيد ينظر:

Audre Altstadt, The Azerbaijani Turks : power and identity under Russian rule, Publisher.Stanford, Calif : Hoover Institution Press, Stanford University, 1992, p.34.

(٣) داداش بونيازاد (١٨٨٨ - ١٩٣٨): شخصية حكومية وحزبية سوفيتية، عضو في الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٠٨، في عام ١٩٢٠ كان عضواً في اللجنة الثورية، وأحد المنظمين للنضال من أجل إقامة السلطة السوفيتية في أذربيجان، وكان مفوض الشعب للتعليم ومفوض الشعب لتفتيش العمال والفلاحين في جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية في الوقت نفسه، لاحقاً، كان مفوض الشعب للغذاء ومفوض الشعب للزراعة ورئيساً للجنة التخطيط الحكومية ونائباً لرئيس مجلس مفوضي الشعب ورئيساً لمجلس مفوضي الشعب في جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية ومفوض الشعب للزراعة في اتحاد ما وراء القوقاز (زاكافازيا) في الجمهورية السوفيتية، انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأذري، كان عضواً في هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية لجمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية واللجنة التنفيذية لاتحاد ما وراء القوقاز في الجمهورية السوفيتية واللجنة التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وتم إعدامه بتهمة الخيانة، للمزيد ينظر:

أعلن سيرجو أوردزونيكيدزه (Sergo Ordzonikidze) ^(٢)، رئيس المجلس العسكري الثوري الروسي أن أراضي كاراباخ الجبلية حتى نهر هاكارو تابعة لإذربيجان، وقد أدانها مجلس الأمن الدولي، ووزارة الخارجية في أرمينيا، وأعلنت حكومة أرمينيا دعمها للحل السلمي للنزاع، ولهذا الغرض أرسلت أرمينيا وفداً إلى موسكو برئاسة الكاتب ليفون شانت (Levon Shant)، كما أعلنت استعدادها لتسوية وضع كاراباخ بناء على الإرادة الشعبية التي يمكن إجراؤها من خلال الاستفتاء، ومن الجدير بالذكر أن وفد شانت، كما أطلق عليه الأرمن، قد حاول الحصول على الدعم السوفييتي لاستقلال أرمينيا ومطالباتها بأرمينيا التركية ^(٣).

حاولت إذربيجان السوفييتية في ٢٦ آيار / ١٩٢٠ م الاستيلاء على مناطق كاراباخ وناخيتشيفان وزانجيزور من خلال إقناع القادة البلاشفة، ومن بينهم فلاديمير لينين ^(٤) في موسكو

İlhan Tekeli, Bir Cumhuriyet öyküsü : Kadrocuları ve Kadro'yu anlamak. Publisher.Nisantasi, İstanbul : Türkiye Ekonomik ve Toplumsal Tarih Vakfı,2003 p.44.

⁽¹⁾Richard G. Hovannisian, Op.Cit,p.183 .

^(٢)سيرجو أوردزونيكيدزه (١٨٨٦-١٩٣٧) : سياسي روسي عضو المكتب السياسي السوفييتي ومنسق سياسات السوفيت في منطقة القوقاز ، كان أوردزونيكيدزه متردداً في المشاركة في الحملات ضد ما يسمى بالمخربين والمخربين والتي بدأت في أوائل الثلاثينيات، مما تسبب في حدوث احتكاك بينه وبين صديقه جوزيف ستالين ، الذي ساعده أثناء صعوده إلى السلطة وإدراكا للحاجة إلى أشخاص ذوي خبرة في مجالاتهم، رفض أوردزونيكيدزه تطهير العمال الأكبر سناً أو فصل نفسه عن الأفراد الذين اعتبروا مناهضين للبلاشفة، ووفقاً لبعض النظريات تدهورت علاقته بـستالين، وفي عشية اجتماع عام ١٩٣٧ حيث كان من المتوقع أن يندد بالعمال، أطلق أوردزونيكيدزه النار على نفسه ومات في منزله، إلا أن مسألة انتحاره كانت محل نزاع بين المؤرخين ، حيث لاقت نظرية اغتياله من قبل ستالين قبولا بين المؤرخين، للمزيد ينظر :

Oleg Khlevniuk, Vital'evich.In Stalin's shadow : the career of Sergo Ordzhonikidze, Publisher.Armonk, N.Y. : M.E. Sharpe.1995,p.37.

⁽³⁾Rafayel Ishkhanyan, Nash 'at Al Arman Wa-Tarikhuhum Al-Qadim [The Origins of the Armenians and their Early History.(Beirut: The Armenian Catholicosate of the House of Cilicia, 1986,p.177 .

^(٤) فلاديمير لينين (١٨٧٠-١٩٢٤) : أول رئيس للاتحاد السوفييتي ١٩١٧ حتى وفاته، كان ينتمي لحزب الشيوعي وأول ما يوصف به لينين، أنه متحدث خطيب ماهر مثير للقلق، هو المحرك الأول للثورة الروسية ومنشئ الحزب الشيوعي الروسي ، وتأثيره المباشر وغير المباشر عميق الجذور وبعيد المدى على العالم في

الفصل الأول

بقبول ضمها، وفي محاولة لتسوية النزاع الإقليمي، سأل جورجي تشيشيرين^(١)، عن إمكانية التوصل إلى حل وسط مع ناريمانوف، وأجاب شيشيرين: "كانت كاراباخ أرضاً أرمنية أصيلة، ومع ذلك، كان الموقف الحقيقي لشيشيرين فيما يتعلق بالمناطق المتنازع عليها مختلفاً، فبينما كان يعرض آرائه على الوفد الأرمني في موسكو، كتب في (١٩ / حزيران ١٩٢٠م) إلى أوردزونيكيدزه، موضحاً أن: "هذه الأراضي لا ينبغي أن تكون مرتبطة بإذربيجان ولا بأرمينيا، بل يجب وضعها تحت سلطة قوات الاحتلال الروسية"، وينبغي إنشاء السوفييتات المحلية^(٢).

انتقد ناريمانوف، الذي لم يكن راضياً عن الاحتلال السوفيتي لكاراباخ، موقف شيشيرين، توسيع حدود إذربيجان من خلال ضم كاراباخ إلى إذربيجان، وفي الوقت نفسه، أدى إضفاء الطابع السوفيتي على أرمينيا في (١ كانون أول / ١٩٢٠م) إلى تحول غير مسبوق في الموقف الأذري. إذ كشف الأرشيف المركزي للدولة في أرمينيا أن ناريمانوف قد أبدى ترحيبه للحكومة الأرمنية الجديدة^(٣).

جرى اعلان انتصار النظام السوفيتي في أرمينيا، وأعلن عن عدم وجود حدود بين أرمينيا السوفيتية وإذربيجان السوفيتية، وأصدر مرسوماً يمنح الجزء الجبلي من كاراباخ حق تقرير المصير، اذ اعتبر سوفيت أرمينيا نهاية للعلاقات العدائية بين البلدين وأدى إلى تحالف لا ينفصم بين الحكومتين. وجاء في المرسوم السوفييتي الأذري ما يلي: تم منح الفلاحين الكادحين في

القرن العشرين، للمزيد ينظر: فؤاد شاكر، حصاد القرن العشرين، ج١، دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١، ص ٩٢.

^(١) جورجي تشيشيرين (١٨٧٢-١٩٣٦: دبلوماسياً ومفكراً ماركسياً روسياً، وأول وزير خارجية للحكومة السوفيتية بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧. كان مسؤولاً عن إدارة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية خلال فترة نشوء الاتحاد السوفيتي، ولعب دوراً حاسماً في تطوير السياسة الخارجية السوفيتية تجاه الغرب، ولاسيما خلال الحرب الأهلية الروسية وعقود العشرينات، للمزيد ينظر:

John W. Wheeler, Bennett The Soviet Union and the Diplomacy of Chicherin, Oxford University Press, 1949, pp. 19-24

⁽²⁾ Quoted in: Human Rights Watch/Helsinki, Azerbaijan, Seven Years of Conflict in Nagorno- Karabakh ,New York: Human Rights Watch, 1994, p.90.

⁽³⁾ Ernest Gellner , Nations and Nationalism , Oxford: Blackwell, 1983, p.45.

الفصل الأول

منطقة كاراباخ الجبلية الحق في تقرير المصير، ويجب أن تتوقف جميع الأنشطة العسكرية ضمن حدود زانجيزور التي كانت قوات إذربيجان السوفيتية تتسحب منها^(١).

جعل المرسوم الثاني، الذي وقعه أيضًا ناريمانوف وميرزا داود حسينوف، مفوض الشؤون الخارجية، في ٣٠/كانون أول ١٩٢٠م، التنازل عن الأراضي المتنازع عليها لأرمينيا أكثر وضوحًا: إذ جاء في المرسوم: **اعتبارًا من اليوم تم الإعلان عن حل النزاعات الحدودية بين أرمينيا وإذربيجان**^(٢) أو عدت مناطق كاراباخ الجبلية وزانجيزور وناخيتشيفان جزءًا من جمهورية أرمينيا السوفيتية. واعتبر الأرمن هذه المراسيم بمثابة تعبير عن الموقف الرسمي لإذربيجان السوفيتية، ومع ذلك، فإن التطورات المستقبلية تشير إلى أن المراسيم كانت بمثابة دليل على الأخوة السوفيتية بين الدول إذ من المفترض أن الحدود الجغرافية تفقد أهميتها بين الشعوب السوفيتية بدلاً من التنازل عنها حقًا لأرمينيا، كان الأرمن ساذجين للغاية باذ لم يعتقدوا أن النزاع الإقليمي مع إذربيجان السوفيتية قد تم حله^(٣).

كان تنازل باكو من وجهة نظر إذرية، عن الأراضي المتنازع عليها لأرمينيا محل نزاع، ولم يدخل المرسوم الصادر في ٣٠ تشرين الثاني حيز التنفيذ مطلقًا، ومن هنا، أصبح ادعاء **"الظلم التاريخي"** الذي تعرض له الأرمن لا أساس له من الصحة، فضلاً عن ذلك، تم تسمية المناطق المتنازع عليها على أنها أماكن صراع، إذ تم استسلام زانجيزور ومنح ناغورني-كاراباخ حق تقرير المصير^(٤).

عد أوردزونيكيدزه ومن وجهة النظر الروسية، أن الأراضي المقدمة لأرمينيا لا تحوي قيمة كبيرة، إذ كانت جبالاً قاحلة ومستنقعات موبوءة بالأمراض، فضلاً عن ذلك، تجاوز خلال خطابه جميع الإجراءات الدبلوماسية وأعلن أن هذه الأراضي كانت تشكل عبئًا على إذربيجان

(1) Nahaylo, Bohdan and Swoboda, Victor ,Soviet Disunion: A History of the Nationalities Problem in the USSR ,New York: Hamish Hamilton Ltd., 1990.pp.60-61.

(2) Quoted in : Nahaylo, Bohdan and Swoboda, Op. Cit,p.64.

(3) Nahaylo, Bohdan and Swoboda, Op Cit,p.66.

(4) Kirakos Gandzakets'i. Patmutyun hayots.History of Armenia, Critical edition by K. Melik'-Ohanjanyan), Erevan, 1961,p.122.

السوفيتية، يرمز العلم الأحمر إلى وحدة جميع الشعوب السوفيتية، (في ٢/ كانون الاول ١٩٢٠ م) أبلغ أوردزونيكيدزه لينين وستالين أن إذربيجان ضمت قره باغ وزانجيزور وناخيتشيفان إلى أرمينيا السوفيتية، وفي عمل مماثل، أكد ستالين نفسه رسميًا في صحيفه برافدا في ٤ كانون الأول تخلي إذربيجان عن الأراضي المتنازع عليها، وجاء في إعلانه ما يلي: "لقد تخلت إذربيجان السوفيتية رسميًا عن المقاطعات المتنازع عليها، وقد تم حل الصراع القديم بين أرمينيا وجارتها المسلمة بضربة واحدة^(١)."

على الرغم من اعتراف إذربيجان السوفيتية بالأراضي المتنازع عليها كجزء من أرمينيا السوفيتية، ظل التناقض دون حل، ومن المحتمل جدًا أن يكون موقف ستالين فيما يتعلق بالأراضي المتنازع عليها يهدف إلى رفع مكانة البلاشفة في أرمينيا ومنح الأرمن الأمل في أن روسيا ستجبر الأتراك أيضًا على الانسحاب من الأراضي الأرمنية، لكن في شباط ١٩٢١، عندما بدأت المفاوضات السوفيتية التركية ومن أجل تجنب المواجهة المحتملة بين البلاشفة والكماليين حول الأراضي في القوقاز وأرمينيا الروسية، رفض ستالين طلب تشيشيرين بأن تضمن روسيا عودة مقاطعات فان (Fan) الأرمنية، وبيتليس (Bitlis) من تركيا وكذلك كل أرمينيا الروسية لأرمينيا السوفيتية، واعترف بمنطقه ناخيتشيفان كمنطقة تتمتع بحكم ذاتي، وقد كشفت الأرشيفات المركزية للدولة في أرمينيا أن إنشاء منطقة ناخيتشيفان ذات الحكم الذاتي جاء نتيجة للضغوط التي مارستها أنقرة على موسكو، إذ تخلى ستالين عن المطالبات الإقليمية الأرمنية دون أن يتمكن من سحب تركيا إلى الحوض السوفيتي^(٢).

ثانياً: الوضع السياسي لناغورني - كاراباخ (١٩٢١-١٩٢٣)

في أعقاب قرار إنشاء منطقة ناخيتشيفان المتمتعة بالحكم الذاتي، والتي كانت في صالح إذربيجان، رفض المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأذري الاعتراف بالقرار السابق الذي اتخذته اللجنة الثورية الأذرية، والذي تنازل عن قره باغ وزانجيزور لأرمينيا، أشار رفض المكتب السياسي إلى أن المرسوم الصادر في ٣٠ تشرين الثاني والذي يقضي بالتنازل عن الأراضي الأذرية

(1) Quoted in: Ibid,p.124.

(2)Jemal Jevanshir, Karabagh Tarikhi (Azeri version), Baku, 1959,p.104 .

لأرمينيا كان بمثابة حيلة دعائية لتشجيع الدعم البلشفي في أرمينيا، أعادت إذربيجان تأكيد حقوقها الإقليمية في قره باغ وزنجيزور^(١).

أدت سلسلة من الأحداث السياسية والتصريحات المتناقضة للسلطات الأذرية بشأن الأراضي المتنازع عليها إلى تعقيد التوازن السياسي الهش في جنوب القوقاز، وفي حزيران ١٩٢١، أصرت جمهورية إذربيجان الاشتراكية السوفياتية على أن يتم النظر في قضية كاراباخ في الجلسة العامة لكافبورو (Kavburo)، "المكتب القوقازي للحزب الشيوعي الروسي" تأسس في الثامن من نيسان عام ١٩٢٠ والذي كان من المفترض أن يحكم ويحدد الوضع النهائي للأراضي المتنازع عليها^(٢).

على الرغم من التطورات السياسية الجديدة، تم تعيين لجنة مكونة من اثنين من الأذريين واثنين من جورجيا وأرميني واحد لتسوية الحدود النهائية بين جمهوريات ما وراء القوقاز. وطالب الممثل الأرميني بأن تصبح ناغورني-كاراباخ وأخالكالكي (Akhalkalaki) ومنطقة لوري (Lori) المحايدة جزءًا من أرمينيا، لكن الجانب الأذري الجورجي لن يقدم تنازلات مع عدم وجود توافق في الآراء بين الممثلين، قرر الكافبورو الاجتماع في تبليسي في بداية (تموز/١٩٢١م) لتسوية النزاعات الإقليمية في جنوب القوقاز، تم تحديد الوضع المستقبلي لقره باغ في اجتماعين غربيين، في الاجتماع الأول، الذي عقد في ٤ تموز، قرر كافبورو بأغلبية أربعة مقابل ثلاثة ضم كاراباخ إلى أرمينيا مرة أخرى وتنظيم استفتاء يقتصر على كاراباخ^(٣).

هدد ناريمانوف بإحالة مسألة كاراباخ إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وقبلت الجلسة العامة لمجلس النواب اعتراض ناريمانوف

(1) National Identity in a Muslim Community ,Cambridge: Cambridge University Press, 1985,p.68.

(2) Van der Leeuw, Charles, Azerbaijan: A Quest for Identity ,London: Curzon Press.2000,p.267.

(3) Justin McCarthy, Death and Exile: The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims, 1821-1922, Toronto: Federation of Canadian Turkish Associations.1995,p.89.

الفصل الأول

واجتمعت مرة أخرى في الخامس تموز وتحت ضغط ناريمانوف وستالين اللذين حضرا الاجتماع، ودون مداولة تصويت رسمي، اتخذت القرار التالي^(١): فيما يتعلق بضرورة الوئام الوطني بين المسلمين والأرمن، والروابط الاقتصادية بين كاراباخ الجبلية وكاراباخ السفلى، وعلاقاتهم الدائمة مع إذربيجان، ينبغي ترك منطقة كاراباخ الجبلية داخل حدود الجمهورية السوفيتية الأذرية، مع إعلانها منطقة تتمتع بالحكم الذاتي وتكون شوشي مركزها الإداري^(٢).

وما ينبغي ملاحظته بشكل خاص في هذا القرار هو الضغط الشيوعي، إذ لم يكن كافبورو ينوي إعطاء كاراباخ لإذربيجان بل تركها داخل حدودها، وكان القرار مهماً بشكل خاص إذ ترك كاراباخ داخل حدود إذربيجان قد يعني منطقياً أن المنطقة تابعة لها بالفعل، وكان هذا التفسير نموذجياً للموقف الأذري بشأن وضع كاراباخ، ومع ذلك، ينبغي أيضاً التأكيد على أن كاراباخ تمتعت بوضع حر ولكن غير واضح خلال الحياة القصيرة (١٩١٨-١٩٢٠م) لجمهورية إذربيجان الديمقراطية^(٣).

رفض ناريمانوف اتخاذ التدابير المناسبة لحماية الحكم الذاتي الأرمني في ناغورني-كاراباخ، إذ إن إنشاء وحدة إدارية منفصلة من شأنه أن يقلل من سيطرة باكو هناك، فضلاً عن ذلك، لم يتم رسم حدود منطقة الحكم الذاتي كوحدة إدارية منفصلة مباشرة بعد قرار كافبورو، لم يتم إنشاء منطقة ناغورني - كاراباخ المتمتعة بالحكم الذاتي إلا في عام ١٩٢٣^(٤)، وتحت ضغط من أوردزونيكيدزه والاحتجاجات الأرمنية^(٥).

تراجع مجلس كافبورو عن قراره السابق دون أن يشرح خط تفكيره، وجعلت ناغورني-كاراباخ جزءاً من إذربيجان السوفيتية، الأمر الذي أدى إلى احتجاج اللجنة المركزية للحزب

^(١) ينظر الملحق رقم (٤).

^(٢) Audrey L. Altstadt, Op. Cit, p.90.

^(٣) Orel Şinasi and Süreyya Yuca, The Talat Pasha Telegrams: Historical Fact or Armenian Fiction? K. Rustem, Nicosia: Oxford University Press.1996,p.167.

^(٤) ينظر الملحق رقم (٥).

^(٥) Orel, Şinasi and Süreyya Yuca, Op Cit, p.170.

الشيوعي الأرمني، لكن موسكو تجاهلت احتجاجها، وأبقت ناغورني - كاراباخ في طي النسيان من خلال تجاهل خصوصيات الأغلبية العرقية في المنطقة، وربما لم يكن من المقنع أن يتم تحديد وضع المنطقة المتنازع عليها دون نقاش ومع ذلك، كما كان واضحاً من قرار كافبورو، كان الارتباط الاقتصادي هو المبرر لإنشاء منطقة ناغورني - كاراباخ المتمتعة بالحكم الذاتي داخل إذربيجان السوفيتية، مع الأخذ في الاعتبار أن باكو هي المركز الصناعي الوحيد في المنطقة، وقد جادل المؤرخون بأن هذا النوع من التسوية خدم الاحتياجات الاستراتيجية الروسية، وكان من المفترض أن دمج ناغورني - كاراباخ في إذربيجان السوفيتية يمكن أن يجعل السلام العرقي ممكن التحقيق بين البلدين، فضلاً عن ذلك، فإن هذا النوع من التسوية من شأنه أن يهدئ المطالب الانفصالية ويؤدي إلى الإقامة التدريجية للعرق الأرمني داخل إذربيجان السوفيتية⁽¹⁾.

ويبدو إن الطريقة التي قام بها القادة السوفييت، ولا سيما ستالين، بتقسيم الأراضي كشفت عن سياساتهم طويلة المدى، ومن الواضح أنهم أنشأوا جيوباً داخل أرمينيا وإذربيجان قادرة على توليد صراع عرقي في المستقبل إذا كان أي توتر عرقي محتمل ناجماً عن الحرمان الاقتصادي والثقافي من قبل القومية المهيمنة. ربما كان ستالين يهدف إلى ترك أرمينيا وإذربيجان في وضع مضطرب من أجل إحباط تحدياتهما المحتملة للسلطة السوفيتية.

على الرغم من حقيقة أن السيطرة السوفيتية حدت مؤقتاً من التوترات العرقية في ناغورني - كاراباخ، حاول الأرمن باستمرار عكس الوضع لأنهم اعتبروا قرار عام ١٩٢٣م جائراً، ومن ناحية أخرى، اعتبر الأذريين القرار نفسه بمثابة انتصار؛ لأنه أكد مطالباتهم التاريخية بالمنطقة لكن هدف الوحدة مع الوطن الأم أرمينيا، بقي قائماً، وسعى الأرمن في ناغورني - كاراباخ إلى تحقيق هذا الهدف كلما سمح لهم ذوبان الجليد في سياسة القوميات السوفيتية بالقيام بذلك، واعتبر أرمن كاراباخ السلطات الأذرية في شمال - كاراباخ مسؤولة عن ممارسة التمييز ضدهم، بعد ضم ناغورني - كاراباخ إلى إذربيجان، عانت المنطقة من التخلف الاقتصادي

⁽¹⁾Quted in: tMirza Dzhemal Dzhevanshir Karabagskii, Istoriia Karabaga. Baku, 1959,p.144.

والتمييز السياسي والعرقي والثقافي، كان الحكم الذاتي الموعود مقيداً للغاية وتم تفضيل الأذريين في مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية^(١).

استمر الجدل بين البلدين حول وضع ناخيتشيفان، إذ رأى الأرمن أن إذربيجان اكتسبت أراضي من خلال تخصيص أراضي ناخيتشيفان داخل حدودها وإنشاء جمهورية ناخيتشيفان المتمتعة بالحكم الذاتي (منطقة تتمتع بالحكم الذاتي سابقاً) وإخضاعها لإذربيجان السوفيتية، على العكس من ذلك، ظل الأذريين مستائين من تقسيم كاراباخ من خلال منح الجزء الجبلي منها حكماً ذاتياً، ومن حقيقة أنه على الرغم من أن ناخيتشيفان أصبحت تابعة لإذربيجان، إلا أنها معزولة عن البر الرئيسي من خلال إقليم زانجيزور الأرمني، الذي تم تخصيصه لأرمينيا^(٢).

ولهذا يبدو أن الطريقة التي تعاملت بها موسكو مع النزاعات الإقليمية بين البلدين في العشرينيات من القرن الماضي عن توازن سياسي دقيق، أصبحت منطقة زانجيزور حاجزاً جغرافياً بين منطقه ناخيتشيفان إذ كان يوجد سكان أرمن وإذربيجان مختلطون، وقد حصلت إذربيجان على السيادة على كاراباخ السفلى وناخيتشيفان، لكن الجزء الجبلي من كاراباخ أصبح يتمتع بالحكم الذاتي، وإن كان تحت السيطرة الإدارية الأذرية المباشرة، وربما كان تلاعب موسكو المتزامن بالمنطقتين المتنازعتين عليهما مقصوداً، مما خلق أدوات للتدخل والهيمنة في المستقبل. اكتسبت إذربيجان سياسياً في كلا المنطقتين، لكن تم منح الأرمن في ناغورني- كاراباخ حقوقاً ثقافية، وكانت هذه الحقوق بمثابة ذريعة وتجدد المطالب السياسية الأرمنية لاحقاً.

ثالثاً: ناغورني- كاراباخ والقوقاز تحت الحكم السوفيتي (١٩٢٣-١٩٨٨م)

عارض فلاديمير لينين في البداية إنشاء الفيدرالية العرقية الإقليمية، إلا أنه استخدمها في أعقاب استيلاء البلاشفة على السلطة في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٧، إذ اعتقد أنها ستكون وسيلة فعالة لإعادة بناء سلطة الدولة المتضررة وكسب الولاء السياسي في البلاد وتحديدًا في المناطق الحدودية العرقية في روسيا، وفي أوائل عشرينيات القرن العشرين، ومن أجل كسب دعم الشعوب غير الروسية وجذبها نحو الانضمام إلى الاتحاد، وعد هذه المناطق بالحقوق في تقرير المصير،

(1) Suny G. Ronald, Looking Toward Ararat: Armenia in Modern History, Bloomington :Indiana University Press, 1993, p.26.

(2) Francine Hirsch, Empire of Nations: Ethnographic Knowledge and the Making of the Soviet Union, New York: Cornell University Press, 2005, PP. 88-89.

الفصل الأول

وأدان "الشوفينية الروسية الكبرى" التي سيطر عليها غير الروس خلال الإمبراطورية القيصرية. وقد أُعتبر هذا تنازلاً سياسياً لغير الروس، ومن الجدير بالذكر أنه في حين وعد لينين غير الروس بالحق في تقرير المصير، فإنه دافع عن وحدة الطبقة العاملة لجميع القوميات، إذ إن الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية ^(١) أدى في نهاية المطاف إلى تقسيم الأمم، كما أصر على ضرورة إعطاء الأولوية للعمال الذين يمثلهم الحزب الشيوعي ^(٢).

فضلاً عن هذا الامتياز السياسي، ومن أجل تبديد عدم الثقة لدى غير الروس، قدم لينين في عام ١٩٢١ السياسة الاقتصادية الجديدة (NEP)، والتي هدفت إلى كسب تأييد الفلاحين، وخاصة في آسيا الوسطى، ومن المؤكد أن إطلاق السياسة الاقتصادية الجديدة «كان له آثار على سياسة القوميات السوفييتية»، لأن غالبية غير الروس كانوا من الفلاحين. وسعى لينين إلى جذب الفلاحين غير الروس من خلال لغاتهم وثقافتهم الأصلية ^(٣)، لقد كانت السياسة الاقتصادية الجديدة عبارة عن امتياز اقتصادي سمح بعودة التجارة الخاصة ووضع حد لعمليات الاستيلاء القسري على الغذاء والقطن التي لعبت دوراً كبيراً في إثارة السخط الشعبي ضد الشيوعيين، ومنحت السياسة الاقتصادية الجديدة فرصة لغير الروس الذين عانوا من القمع في ظل النظام القيصري للعودة إلى أساليب حياتهم الخاصة وتحسين ظروفهم المادية، وهكذا، ساعدت السياسة الاقتصادية الجديدة في تعزيز الهويات الوطنية وأثرت على التعبيرات الوطنية لغير الروس، وفي الوقت نفسه مواجهة "الشوفينية الروسية" التي سيطرت

^(١) البرجوازية : هي الطبقة الاجتماعية التي تمتلك وسائل الإنتاج من مصانع وأراضٍ ورأسمال، وتعتمد على استغلال الطبقة العاملة (البروليتاريا) لتحقيق الأرباح في النظام الرأسمالي، ظهرت البرجوازية مع تحولات المجتمع من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالي، وكانت القوة الدافعة وراء الثورة الصناعية والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى في أوروبا، للمزيد ينظر: عبد الكريم بكار، مقدمة في علم الاجتماع السياسي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠١٠، ص ٨٧.

^(٢) Kirakos Gandzakets'i.Op.Cit,p.140.

^(٣) Atabaki Touraj & John O. Kane , Post-Soviet Central Asia, New York: Taurus Academic StudiesK1998,p.66.

عليهم خلال النظام القيصري. لذلك، أصبح هذا النهج في المجالين الاقتصادي والثقافي عنصراً ومبدأً لسياسة القوميات في الاتحاد السوفيتي^(١).

اتسمت السياسة السوفييتية تجاه المثقفين والباحثين غير الروس في أوائل عشرينيات القرن العشرين بدرجة كبيرة من التسامح والحرية، إذ اعتقد لينين أن "المثقفين البرجوازيين" في جمهوريات الاتحاد السوفيتي يجب "استمالتهم وإعادة تشكيلهم واستيعابهم"، وإعادة تعليمهم، ورأى أنه من غير الحكمة السيطرة على جميع المؤلفات العلمية في غياب سياسة حزبية مصاغة بشكل واضح، لكن هذا النهج لم يمنع السيطرة المنشورة على الأدبيات العلمية التي يمارسها أعضاء الحزب^(٢).

بعد تشكيل الاتحاد السوفييتي في ٣١ كانون الأول ١٩٢٢م، ومن أجل كسب دعم غير الروس، ولاسيما في آسيا الوسطى إذ لم تكن القوة السوفييتية قد تأسست بعد، شرع البلاشفة في انتهاج سياسة سوفييتية لبناء الأمة، إذ قاموا بتغيير عبارة ما قبل الثورة الخاصة بحق الشعب في تقرير المصير، والتي كانت وهمية، إلى مفهوم السياسة السوفييتية لبناء الأمة التي تم تطبيقها على غير الروس في عشرينيات وأوائل ثلاثينيات القرن العشرين، وفي هذا السياق، لم تكن الفيدرالية العرقية السوفييتية تنوي إنشاء دول قومية ذات سيادة موحدة تحت هيكل الدولة الفيدرالية في الاتحاد السوفييتي^(٣)، فضلاً عن ذلك، لم تصبح الدولة سمة مميزة للأمة، ولذلك، اتسمت السياسة السوفييتية لبناء الأمة بخاصيتين: أولاً، كان من المتوقع من الدول غير الروسية أن تؤسس حكم الحزب الشيوعي، وفي هذا الصدد، كان بناء الأمة أداة للسوفييت، وثانياً، كان الهدف النهائي لسياسة بناء الأمة هو استنزاف الجنسية من محتواها حتى مع إضفاء الشرعية عليها كشكل، وبالتالي تعزيز اضمحلال الجنسية على المدى الطويل بوصفها عنصراً حيوياً في

(1) Atabaki Touraj & John O. Kane, Op.Cit, p.69.

(2) Suzanne Goldenberg, Pride of Small Nations: The Caucasus and Post-Soviet Disorder, London: Zed Books Ltd, 1994, p.100.

(3) Karen Dawish, & Bruce Parrott, Conflict, Cleavage and Change in Central Asia and the Caucasus, Glasgow: Cambridge University Press, 1997, p.49.

الحياة الاجتماعية، وباختصار، كان الهدف من بناء الأمة السوفيتية على المدى الطويل هو خلق هوية سوفيتية وفرضها على الدول غير الروسية^(١).

وعلى الرغم من أن موسكو عرفت أن منطقة ما وراء القوقاز كانت غير متجانسة عرقياً وتضم ثقافات وأدياناً وطنية منفصلة، إلا أنها حاولت عمداً تجاوز هذا التنوع من خلال التعامل معها كمناطق استراتيجية اقتصادية تفصلها عن روسيا جبال القوقاز ويحدها من كل جانب البحر الأسود وبحر قزوين. البحار، كان يسكنها الأرمن والأذريين والجورجيين، وكان الأرمن والجورجيون مسيحيين، بينما كان الأذريين مسلمين شيعة يتحدثون اللغة التركية. ولذلك، كان لكل دولة سماتها وهويتها الفريدة. وحاولت موسكو، دون تجاهل الاختلافات العرقية والثقافية بين هذه الدول الثلاث، تجاوز هذه الاختلافات في هيكل سياسي جديد من أجل تقليل الصراعات الحدودية بينها^(٢).

أنشأت موسكو جمهورية القوقاز الاشتراكية السوفياتية الاتحادية في ١٣ كانون أول ١٩٢٢م، بين دول جنوب القوقاز الثلاث^(٣)، واقترح أن الاتحاد القسري لهذه الدول من شأنه أن يقلل من المنافسات الوطنية القديمة، وهكذا، ومن أجل تعزيز سياسته، ذكر أنه خلال مدة دعم الحكم الشيوعي في عام ١٩١٨م، "أثارت الأحزاب اليمينية البرجوازية في أرمينيا وإذربيجان وجورجيا الكراهية الوطنية والخلاف بين الشعوب، لذلك، وبعد إنشاء الاتحاد السوفيتي، نُسب الفضل إلى السوفييت لجهودهم في إدخال السلام والوجود الأخوي إلى المنطقة، ومع ذلك، حاول ستالين تجاهل الاختلافات العرقية بين دول ما وراء القوقاز والنزاعات الإقليمية التي لم يتم حلها^(٤).

تم تفسير هدف ستالين من إنشاء اتحاد ما وراء القوقاز الثاني في عام ١٩٢٤م على أنه يلبي الحاجة إلى إرساء الوفاق والتخطيط لاستعادة الاقتصاد والدفاع ضد الأعداء الخارجيين

(1) Karen Dawish, & Bruce parrott ,Op.Cit,p.51.

(2) Dale Eikelman, Russia's Muslim Frontiers: New Directions in Cross-Cultural Analysis, Indiana: Indiana University PRussi 1993,p.81.

(3) <https://www.mountainous-karabakh.org/document.html>

(4) Henri J. Barkey, Turkey and the New Middle East: A Geopolitical Exploration, NY: Hammond Press,1996,p.178.

الفصل الأول

والداخليين، فضلاً عن ذلك، في البنية الدستورية كان على الدول الثلاث المتميزة أن تحتفظ بهوياتها الوطنية في ثلاث جمهوريات مستقلة هيكلياً ولكن في إطار اتحاد فيدرالي، اعتقد ستالين أن نجاح هذا النموذج السياسي كان حاسماً حتى يتمكن من المضي قدماً نحو "خطة أوسع" وجمع جميع شعوب البلاد تحت الإمبراطورية الروسية، وعلى ما يبدو، حاول ستالين بناء الاشتراكية من خلال الترويج لمفهوم وحدة الطبقة العاملة بين الأمم المختلفة عرقياً وثقافياً وجعلهم يعتقدون أنهم في نهاية المطاف سوف ينتمون إلى شعب سوفياتي واحد⁽¹⁾.

وبالتوازي مع سياسة توطين الكوادر في الجمهوريات الاسمية، بدأت عمليات التطهير منذ النصف الأول من عشرينيات القرن الماضي ضد النخب الوطنية التي "بدأت كبلشفية ولكنها أولت اهتماماً كبيراً لمصالح أممها. تطورت عمليات التطهير، التي حرض عليها ستالين، تدريجياً إلى إرهاب منهجي، بدءاً من (١٩٢٧-١٩٢٨م)، ضد قوميات الاتحاد السوفياتي بحجة التنمية الاقتصادية ومعاداة القومية وسياسة التجميع القسري التي أعلن عنها في (٢٧ كانون الأول ١٩٢٩م)، وكان هذا انتهاكاً مشؤوماً لسياسة توطين الكوادر الوطنية في الجمهوريات الاسمية. وقد فشلت سياسات الاندماج في حل المشكلات الوطنية لأنها وفرت تطوراً اجتماعياً وثقافياً غير متساوٍ ومتناقضاً بين الروس وغير الروس من ناحية، وبين الأمم الاسمية ومجموعات الأقليات العرقية في جمهوريات الاتحاد من ناحية أخرى، أثبتت الهيمنة السياسية والثقافية على المستويين الفيدرالي والجمهوري من قبل القومية المهيمنة أنها العامل المحفز في تشكيل القومية، غالباً ما استمرت مشاعر التمييز وعدم المساواة لدى الأقلية القومية⁽²⁾.

تم تعزيز الحكم السوفياتي، بحلول نهاية عشرينيات القرن العشرين، ومع اكتساب المزيد من السلطة، وبدأ ستالين في التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة وإلغاء سياسة القوميات التي كانت تهدف إلى تطوير لغاتهم وثقافتهم الأصلية، وبدأ الإرهاب الستاليني على نطاق واسع في (١٩٢٨-١٩٢٩م) ضد المثقفين الوطنيين غير الحزبيين، كان هذا انتهاكاً كبيراً للسياسة اللينينية، التي كانت تهدف إلى ضمان "حرية التنمية الوطنية للشعوب"، فضلاً عن ذلك، ضرب

(1) Dale Eikelman, Op.Cit,p.86.

(2) Edgar O. Ballance, Wars in the Caucasus, London: Macmillan Press Ltd,1997,p.54.

الفصل الأول

الإرهاب المناطق الريفية التي كان ينظر إليها على أنها "العدو الرئيسي والتي حملت الوعي الوطني وكانوا "عقبة محتملة أمام سلطة ستالين المطلقة"، ومن ثم، كان لا بد من تصفيتهم منا أدى إلى انخفاض حاد في معدلات الإنتاج والمجاعة في الاتحاد السوفييتي، والتي قوبلت بمعارضة وتمرد واسع النطاق في كازاخستان وأوكرانيا وما وراء القوقاز على وجه الخصوص، إلا أنه تم سحقها جميعاً^(١).

سقط الاتحاد القوقازي في عام ١٩٣٦م على عكس توقعات ستالين، سقط الاتحاد القوقازي في عام ١٩٣٦م، ويرجع ذلك أساساً إلى الاختلافات العرقية والدينية وتصورات المجتمعات المتشابكة حول المساحة السيادية التي لا تتوافق على الإطلاق مع الجغرافيا العرقية لمنطقة ما وراء القوقاز^(٢)، كان لكل من الأمم الثلاث مفاهيم مختلفة عن وطنها والتي كانت تتعارض دائماً مع مفاهيم الدول الأخرى. فضلاً عن ذلك، لم يتمكنوا من الاندماج في هيكل سياسي هش واحد فرضته عليهم موسكو، خاصة في الوقت الذي تم فيه إضفاء الطابع المؤسسي على القومية الإقليمية والجنسية العرقية في الاتحاد السوفييتي. لذلك، مع فشل الاتحاد كنموذج ومع ظهور الدستور السوفييتي عام ١٩٣٦، أصبحت الدول الثلاث جمهوريات اتحادية منفصلة في الهيكل الفيدرالي العرقي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية^(٣).

تغيرت سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه القوميات الأخرى في عام ١٩٣٧م فقد طرح الحزب الشيوعي نظرية "أهون الشرين" لمراجعة سياسته تجاه غير الروس، وألقت السياسة الجديدة باللوم على القياصرة في أعمال القمع التي ارتكبتها ضد غير الروس، أوضحت النظرية الجديدة أن "ضم الشعوب غير الروسية إلى روسيا كان شراً، لكنه كان أهون الشر مقارنة بما كان من الوقع أن يكون قد نتج عن ضمهم إلى دولة أخرى أكبر، ومن ثم، تم التعامل مع الضم الروسي على أنه تقديمي وجيد، كما تم التعامل مع مقاومة غير الروس للغزو الروسي وحركات التحرر الوطني الخاصة بهم على أنها

(1) Ernest Gellner, Nationalism ,London: Phoenix, 1997,p.94.

(2) Anita Singh, The Diaspora networks of ethnic lobbying in Canada Canadian Foreign Policy Journal, Vol. 18, No.3, Frances and Taylor, New York, 1992, p.86.

(3) Anita Singh, Op.Cit, p.88-89.

رجعية. ومن خلال هذه النظرية، تم تقديم الشعب الروسي على أنه "الأخ الأكبر" الذي يحاول توفير الحماية والقيادة لغير الروس^(١).

وعليه، وجد الأكاديميون الأرمن والأذريين أنفسهم في موقف صعب في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، إذ كان مطلوباً منهم كتابة نسخ مختلفة من التاريخ الواقعي ومحو الحقائق المتعلقة بنضال التحرير الوطني لغير الروس ضد روسيا، وباختصار من أجل إبراز التفوق الروسي في الماضي والتقليل من شأن الهويات الوطنية لغير الروس، كان من المتوقع أن تخدم الأدبيات العلمية السوفيتية الأهداف السياسية المنقحة للحزب الشيوعي الحاكم، وكل من انحرف عن خط الحزب اتهم بـ "الانحراف القومي" أو "القومية البرجوازية"، فلم يتم تطبيق تنقيح التاريخ على التاريخ الأكاديمي فحسب، بل تعداه إلى التاريخ القديم المرتبط بالهويات والمحفوظ في الذاكرة الجماعية لشعوبها، بما في ذلك الملاحم والأساطير الوطنية. إذ جرى انتقاد وإدانة تمجيد الأبطال القوميين والاحتفال بهم، وباختصار، كان من المتوقع من المؤرخين أن يكونوا "حراس بوابة" أمهم، على الرغم من أن هذا النوع من التحريفية لم يكن مرتبطاً فقط بـ هذه المدة، وكان من المفترض أن يستبعد تاريخهم المكتوب المواضيع القومية وأن يتماشى مع متطلبات الاشتراكية^(٢).

بعد وفاة ستالين في ٥/ آذار ١٩٥٣، هيمنت مسألة القوميات على المجتمع السوفييتي مرة أخرى وأصبحت واحدة من المجالات الرئيسية التي يدور فيها الصراع على السلطة وتم التأكيد على أهمية حماية اللغة الروسية والاعتماد على الكوادر الروسية في الجمهوريات غير الروسية، وبعد وصول نيكيتا خروتشوف Nikita.Khrushchev^(٣)، إلى السلطة في آيار

(1) Donald L. Horowitz, Ethnic Groups in Conflict ,Berkeley: University of California Press, 1985,p.99

(2) Donald L. Horowitz, Op. Cit, p.100.

(3) نيكيتا خروشوف (١٨٩٤-١٩٧١): زعيماً للاتحاد السوفييتي أثناء ذروة الحرب الباردة، حيث شغل منصب رئيس الوزراء من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٤. ورغم أنه انتهج إلى حد كبير سياسة التعايش السلمي مع الغرب، فإن أزمة الصواريخ الكوبية بدأت بعد أن وضع الأسلحة النووية على بعد ٩٠ ميلاً من فلوريدا، وفي الداخل، بدأ عملية "تزع الستالينية" التي جعلت المجتمع السوفييتي

الفصل الأول

١٩٥٣م، كشف عن المسار الجديد لسياسة القوميات في خطابه أمام المؤتمر العشرين للحزب في شباط ١٩٥٦، عندما أدان سياسات ستالين واعتمد موقفاً أكثر مرونة تجاه غير الروس. وأعلن أنه "بعيداً عن تخفيف الاختلافات والخصوصيات القومية، فإن الاشتراكية، على العكس من ذلك، ضمنت ازدهار ثقافات الشعوب غير الروسية" وأنه "يجب الاستفادة بشكل أفضل من الكوادر الوطنية"^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الاندماج عاد في عهد خروتشوف، كما دعا إلى مراجعة جوهريّة وأساليب جديدة لإدارة الاقتصاد، وبناءً على ذلك، قال إن "الوصاية الدقيقة على الجمهوريات الاتحادية أمر غير مسموح به" وأنه «في إطار الخطط الاقتصادية الثابتة لعموم الاتحاد، يجب على الجمهوريات أن تقرر بنفسها المسائل الملموسة المتعلقة بتنمية فروع معينة من الاقتصاد»^(٢) وكانت هذه السياسات من السمات المميزة الرئيسية المرتبطة بسياسة القوميات التي انتهجها خروتشوف. وقد سعت القوميات في عهد الأخير إلى استعادة لغاتهم الأصلية في مجالات التعليم والحياة العامة في جمهورياتهم، فعلى سبيل المثال، في أوكرانيا كانت هناك حملات للدفاع عن اللغة الأوكرانية، وفي إنريجان في عام ١٩٥٦، تم إعلان الأذرية لغة رسمية للجمهورية. ومع ذلك، فإن هذه الحريات لم تعني إهمال الترويج للغة الروسية، فقد تمت متابعة الترويس بعناد كما كان من قبل. وجرى إيلاء اهتمام خاص لتحسين جودة وفعالية تدريس اللغة الروسية^(٣).

أما فيما يتعلق بالتاريخ، فمقارنة بمدة ستالين، طالبت الشعوب غير الروسية باسترجاع تاريخها الوطني من تشويهات الستالينية. وكان هدفهم هو تقديم وصف للتوسع الإمبراطوري

أقل قمعاً ومع ذلك، كان خروشوف استبدادياً في حد ذاته، فسحق ثورة في المجر ووافق على بناء جدار برلين، للمزيد ينظر:

William Taubman, Khrushchev, the man and his era, Publisher. New York : Norton, 2003, p.16.

⁽¹⁾William Pfaff, The Wrath of Nations: Civilizations and the Furies of Nationalism, London and New York: Simon & Schuster, 1993, p.88.

⁽²⁾Quoted in: Justin McCarthy, 2006, The Armenian Rebellion at Van, Salt Lake City: University of Utah. McQuaig, Linda, 2019, p.111.

⁽³⁾Kari Levitt, Silent Surrender: The Multinational Corporation in Canada, Montreal: McGill-Queens University Press, 1970, P.45.

الفصل الأول

الروسي وقمع الهويات الوطنية من قبل القياصرة وكتابه التاريخ الحقيقي للمنطقة ، وبعد عام ١٩٥٦، مُنح المؤرخون الأذربيجان والارمن المزيد من حرية كتابه التاريخ بشكل موضوعي، وإن كان ذلك لا يزال ضمن المتطلبات الماركسية واتباع المبادئ التوجيهية لأكاديمية العلوم وقرارات الحزب الشيوعي كما ان الأرمن انتقدوا سياسة موسكو فيما يتعلق بالحدود المفروضة والسياسات الاقتصادية والثقافية، لكن مثل هذه المحاولات لم تترك دون رد من قبل موسكو^(١).

جرى نشر مسودة قانون جديد مقترح للتعليم في تشرين الاول ١٩٥٨ ومنح هذا القانون خيارا للآباء لإرسال أطفالهم "إلى مدارس تدرس اللغة الأم أو اللغة الروسية، وإلغاء الدراسة الإجبارية للغة الأم في المدارس الروسية في الجمهوريات غير الروسية"، إلا إن الفكرة فسرت أنها تشجع على ثنائية اللغة، وبعد مناقشة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية قانون التعليم الجديد المقترح في ٢٢-٢٥ كانون الاول ١٩٥٨، عارضه نواب أرمينيا وإذربيجان وجورجيا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وقرغيزستان وأوكرانيا وتم إسقاطه^(٢).

أظهرت موسكو في نهاية عام ١٩٥٨م وأوائل عام ١٩٥٩م، علامات على رغبتها في إحكام سيطرتها على الجمهوريات القوقازية ١٩٥٩م، وأطلقت حملة ضد "القومية المحلية" في تلك الجمهوريات التي عارضت أحكام قانون التعليم الجديد ولم تدرجه في تشريعاتها. ومن ثم، تم تطهير القيادات الأذرية واللاتفية، وأعقب هذه التدابير نشر مقال في مجلة الشيوعية تم التركيز فيه بشكل أكبر على حتمية اندماج الأمم^(٣).

تمت مراجعة سياسة القوميات السوفييتية في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في تشرين الاول ١٩٦١م، وتخلّى الأيديولوجيون السوفييت عن النهج الذي كان سائداً في أوائل الثلاثينيات. ولم يُظهر مؤتمر الحزب أي علامة على التسوية مع غير الروس وقررت على مخطط بوتقة الانصهار، إذ أعلن الحزب أن: «البناء الشيوعي على نطاق واسع يمثل مرحلة

(1) Ibid, pp.47-48.

(2) Michael E. Brown, R. Owen Jr. Cote, Lynn-Jones, Sean M. and Miller, Steven E. (eds), Nationalism and Ethnic Conflict, Cambridge, MA: MIT Press, 1996, p.50.

(3) Gerhard Simon, Nationalism and Policy Toward the Nationalities in the Soviet Union from Totalitarian Dictatorship to Post-Stalinist Society, Boulder: Westview Press, p.242.

جديدة في تطور العلاقات القومية في الاتحاد السوفييتي اذ ستتقارب الأمم أكثر معاً حتى يتم تحقيق وحدتها الكاملة^(١).

بحلول عام ١٩٦٢م، تم الترويج لعقيدة "الشعب السوفييتي والتي تعني المجتمع التاريخي الجديد، وكانت السياسة الجديدة تهدف إلى التأكيد على المساواة ووحدة الطبقة العاملة بين جميع المواطنين السوفييت دون أي اختلافات في الجنسية، ومن الواضح أن عقيدة الشعب السوفييتي كانت تهدف إلى إضفاء الشرعية على الفيدرالية العرقية السوفييتية، إذ جرى تصويرها على أنها فوق وطنية وليست فوق وطنية، وبناءً على ذلك، تم تمييز الشعب السوفييتي فوق الوطني باستمرار عن الدول السوفييتية الفردية، وعلى هذا النحو، استمرت القومية في البقاء امتيازاً للمجموعات العرقية القومية لأنها لم تُنسب أبداً إلى القومية، المواطنة على مستوى الولاية^(٢).

لقد ركزت السياسة الجديدة على جمع الأمم معاً و التركيز على الاندماج، كما شددت على أن الحدود بين الجمهوريات الاتحادية أصبحت أقل أهمية وحذرت من "ضيق الأفق الوطني"، فضلاً عن ذلك، دعت إلى التبادل المستمر للكوادر بين الروس والشعوب القوقازية وحذرت من التسامح مع أي مظاهر للعزلة الوطنية في البلاد مع التشديد على توظيف العمال من جنسيات مختلفة في الجمهوريات فضلاً عن ذلك، قال خروتشوف، في تقريره إلى المؤتمر الثاني والعشرين للحزب، إن الحزب سوف يستمر في تشجيع تطوير اللغات الوطنية الام للشعوب القوقازية . وشدد على أن "تطور اللغات الوطنية ليس من أجل تعزيز الحواجز بين الشعوب ولكن لجمع الدول معاً. وأخيراً الملح، أنه سيتم وضع المزيد من الضوابط الاقتصادية على الجمهوريات الاتحادية ، إذ دعت الحاجة إلى إنشاء العديد من المناطق الاقتصادية المشتركة بين الجمهوريات من أجل التنسيق بين الجمهوريات لبناء الشيوعية^(٣).

(1)Robert Strayer, Why Did the Soviet Union Collapse: Understanding Historical,Change London: ME Sharpe, 1998,p.110.

(2)Gerhard Simon,Op.Cit ,p.251.

(3)Gürün Kamuran, The Armenian File: The Myth of Innocence Exposed, K. Rustem, Nicosia: Oxford University Press,1985,p.331.

تغيرت سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه غير القوميات غير الروسية مع وصول ليونيد بريجنيف إلى سدة الحكم ، والذي اتبع نظاما اشد صرامة من سياسات خروتشوف، فقد عقد مؤتمر الحزب الثالث والعشرون في ٢٩ / آذار ١٩٦٦ وناقش الاوضاع الداخلية في القوقاز إلا إنه تجاهل التوترات في أرمينيا وأوكرانيا، وفي تقريره إلى الكرملين، أكد بريجنيف، على الحاجة إلى التكامل والتجانس لغير الروس، على أن الحزب سيستمر في إظهار الاهتمام بالمصالح والخصائص الوطنية لكل شعب، وقد تجنب بريجنيف، مثل خروتشوف، استخدام مصطلح "الاندماج" وشدد بدلاً من ذلك على "جمع الأمم معاً، وفي الوقت نفسه، سلطت النخب الوطنية خاصة في أوكرانيا وجمهوريات آسيا الوسطى الضوء على ازدهار وسيادة جمهورياتها الرسمية^(١).

وفي السياق ذاته ، بقيت النزاعات الأذرية الارمنية قائمه في عقد الستينيات، فقد أكد المؤرخون الأرمن في الموسوعة الأرمنية على الأسطورة الأرمنية فيما يتعلق بالأراضي المتنازع عليها في ناغورني- كاراباخ وناخيتشيفان، ومن ناحية أخرى، قدم المؤرخون الأذريين في الموسوعة السوفييتية الكبرى نسخة مختلفة تمامًا عن الماضي الوطني للأراضي المتنازع عليها، وشددوا على الرواية التاريخية الأذرية دون الاعتراف بالوجود الأرمني هناك الإشارة الوحيدة إلى الأرمن في كاراباخ كانت ضمن التركيبة الديموغرافية للمنطقة باسم الأمم الأخرى^(٢).

من الجدير بالذكر أن بريجنيف تخلى في أواخر الستينيات عن ادعاءات خروشوف الإيديولوجية بأن الشيوعية يمكن تحقيقها بحلول الثمانينيات لصالح سياسة "فرق تسد" الأكثر واقعية والتي من شأنها أن تحافظ على توطين النخب المحلية. وقدم سياسة القوميات الجديدة في مؤتمر الحزب الرابع والعشرين في آذار ١٩٧١، عندما أعلن أنه بعد ٥٠ عامًا من الحكم السوفييتي، جرى تشكيل "مجتمع تاريخي جديد تميز بالتجانس والتضامن من خلال الأيديولوجية والتجربة المشتركة، وعلى الرغم من أنه لم يؤكد صراحة على أن الحزب سيعارض جميع أشكال

(1)Anthony D.Smith,Nations and Nationalism in a Global Era,Cambridge: Polity.Press, 1995,p.189 .

(2) Brubaker Rogers, Nationalism Reframed: Nationhood and the National Question in the New Europe,Cambridge: Cambridge University Press, 1996,p.67.

القومية والشوفينية، الا انه أكد على تعزيز روح الاحترام العميق لجميع الأمم والقوميات، وشدد على أن الحزب سيواصل العمل على مزيد من التقارب بين الأمم^(١).

أصبحت القومية السياسية خلال المدة (١٩٧٣-١٩٧٥م)، مشكلة أكبر في أوكرانيا وجمهوريات البلطيق ومنطقة القوقاز، ولاسيما في أرمينيا وجورجيا، فعلى سبيل المثال، في أرمينيا خلال المدة (١٩٧٣-١٩٧٤م) كانت هناك تسع محاكمات سياسية أدت إلى سجن ١٨ من أعضاء حزب الوحدة الوطنية، وجرى انتقاد عملية الترويس في جورجيا، فضلاً عن ذلك، استمر الرسم التعسفي للحدود بين أرمينيا وجورجيا وإذربيجان بوصفه مصدراً للعداوات العرقية^(٢).

تميزت المدة (١٩٧٥-١٩٧٧ م) باستراتيجية جديدة في تطور القومية السياسية في الاتحاد السوفييتي، ففي عام ١٩٧٥، أتاح التوقيع في هلسنكي على "الوثيقة الختامية" لـ ٣٥ دولة المعروفة باسم مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي^(٣) فرصة للمنشقين الروس وغير الروس للنشاط المفتوح، وفي مايو ١٩٧٦ تم إنشاء مجموعة المراقبة موسكو هلسنكي والتي أصبحت تدريجياً "مركز حركة حقوق الإنسان السوفييتية"، وأنشأت أربع مجموعات مراقبة هلسنكي غير روسية أخرى في الجمهوريات الاسمية أوكرانيا وليتوانيا في عام ١٩٧٦، وجورجيا في أوائل عام ١٩٧٧، وأرمينيا في أبريل ١٩٧٧، ومن المهم التأكيد على أن مجموعة مراقبة هلسنكي-الأرمنية سعت في بيان مكون من ١٣ نقطة إلى مدنية والحقوق الدينية والثقافية لمواطنيهم،

(1) Ibid, p70.

(2) Richard Sakwa, Russian Politics and Society London: Routledge, 2002, p.111.

(3) مؤتمر الأمن والتعاون الاوربي (CSCE): كان منتدى متعدد الأطراف أنشئ خلال الحرب الباردة لتعزيز الحوار والتعاون بين الكتلتين الشرقية والغربية، بدأ في أوائل السبعينيات وتوج بتوقيع وثيقة هلسنكي الختامية عام ١٩٧٥ من قبل ٣٥ دولة، بما في ذلك الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفيتي ومعظم الدول الأوروبية، هدف المؤتمر إلى تحسين العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية وحقوق الإنسان في جميع أنحاء أوروبا، وفي عام ١٩٩٥، تطور ليصبح منظمة الأمن والتعاون الأوروبي (Organization for Security and Co-operation in Europe)، للمزيد ينظر :

Ian Q. R. Thomas , The Promise of Alliance:NATO and the Political Imagination. Rowman & Littlefield, Lanham, MD, 1997, pp. 108-110.

الفصل الأول

وانتقدوا الترويس في "حياة الدولة والاقتصادية والثقافية وطالبوا بإعادة توحيد منطقة ناغورني-كاراباخ مع أرمينيا^(١).

هدفت سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه القوميات في المدة (١٩٧٨-١٩٧٩م)، إلى زيادة تحسين مستوى تدريس اللغة الروسية في الجمهوريات، غطت أحكام المرسوم الجديد الصادر عن مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في ١٣/ تشرين الأول ١٩٧٨ م جميع مستويات النظام التعليمي السوفيتي ولأول مرة جعلت تدريس اللغة الروسية إلزامياً في كل روضة أطفال وحضانة غير روسية، وبحلول نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينيات، سبب الترويس مشاكل في جمهوريات البلطيق وأوكرانيا ومنطقة القوقاز. فقد انتقد المؤرخون الأرمن عام ١٩٨٠ سياسة الترويس، ودافعوا عن اللغة الأرمنية أمام مؤتمر اتحاد الكتاب، وفي جورجيا خلال عام ١٩٨١، حدث عدد من المظاهرات في تبليسي إذ أثارت المسألة الأبخازية إلى جانب قضايا حاسمة أخرى، مثل الدفاع عن اللغة والتاريخ والثقافة الجورجية^(٢).

مع وفاة بريجنيف في تشرين الثاني ١٩٨٢م، ظهر يوري أندروبوف (Yuri.Andropov)^(٣) كزعيم جديد، إلا أنه فيما يتعلق بمسألة القوميات، فقد تحدث بنفس الطريقة التي تحدث بها سلفه، ولم يحدث أي تغيير في سياسة الاثنيات خلال مدة حكمه التي استمرت ١٥ شهراً فقط إذ توفي في شباط ١٩٨٤م وخلفه كونستانتين تشيرنينكو

(1)Graham Smith, Law, Vivian, Wilson, Andrew, Bohr, Annette and Allworth, Edward ,Nation-Building in the Post-Soviet Borderlands ,Cambridge: Cambridge University Press, 1998,p.75

(2)Anthony Smith, D.The Ethnic Revival ,Cambridge: Cambridge University Press, 1981,p.119.

(٣) يوري أندروبوف (١٩١٤-١٩٨٤): أمين عام الحزب الشيوعي ورئيس الاتحاد السوفيتي (١٩٨٢-١٩٨٤) ومع ان حكمه كان قصير الأجل، لكنه كان مليئاً بالأحداث. ففي الداخل، حاول أندروبوف تنشيط الاقتصاد الروسي المتعثر وهاجم الفساد وإدمان الكحول المتزايد بين الشعب السوفيتي، وفي سياسته الخارجية، واجه أندروبوف الدبلوماسية المعادية للشيوعية التي تبناها الرئيس رونالد ريجان . وكانت العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي متوترة بشدة عندما أسقط الطيارون السوفييت طائرة ركاب كورية في أيلول ١٩٨٣ وفي وقت لاحق من ذلك العام، قطع الدبلوماسيون السوفييت المفاوضات المتعلقة بخفض القوات النووية متوسطة المدى ومحادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية (ستارت) وكان أندروبوف يعاني من أمراض مزمنة منذ أوائل عام ١٩٨٣، وتوفي في ٩ شباط ١٩٨٤. وخلفه في المنصب كونستانتين تشيرنينكو، للمزيد ينظر:

Samantha Smith,Journey to the Soviet Union. Publisher.Boston ، Little, Brown.1985 ,p.75.

الفصل الأول

(Konstantin Chernenko) ^(١) الذي لم يستمر حتى لمدة طويلة مثل أندروبوف اذ توفي في إذار ١٩٨٥ وتولى السطه الزعيم الإصلاحي ميخائيل غورباتشوف (Mikhail Gorbachev) ^(٢) .

تجدر الإشارة إلى أنه خلال عام ١٩٨٤، دعا الخبراء في مسألة القوميات إلى اتباع نهج أكثر انفتاحًا تجاه هذه القضية لأنه بدا أن سياسة القوميات المتناقضة التي اتبعتها القيادات السوفيتية (والتي تنوعت بين التحرير وقمع الثقافات القومية أو مزيج من الاثنين معًا) فضلاً عن الحفاظ على الهيكل الفيدرالي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، فقد أدى ذلك إلى الحفاظ

^(١) كونستانتين تشيرنينكو (١٩١١ - ١٩٨٥): رئيس الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٤، تميز حكم تشيرنينكو بالعودة إلى السياسات المتشددة التي انتهجها بريجنيف. فقد تراجع عن دعم الإصلاحات الاقتصادية والسياسية القليلة التي أقرها أندروبوف. واتخذت السياسة الخارجية الروسية لهجة أكثر صرامة، ورد السوفييت على مقاطعة الولايات المتحدة للألعاب الأولمبية التي أقيمت في موسكو عام ١٩٨٠ برفضهم حضور الألعاب الأولمبية الصيفية التي أقيمت في لوس أنجلوس عام ١٩٨٤، ولكن تدهور صحته خلال الأشهر القليلة الأخيرة من حكمه منع تشيرنينكو من إحداث أي انطباع يذكر سواء على المستوى المحلي أو الدولي، وعندما توفي في العاشر من آذار عام ١٩٨٥، تولى ميخائيل غورباتشوف السلطة وبدأ برنامجه للإصلاحات الاقتصادية الجذرية وجهوده الرامية إلى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى تفكك الاتحاد السوفيتي، للمزيد ينظر :

Dmitrii Volkogonov, Antonovich, The rise and fall of the Soviet empire , political leaders from Lenin to Gorbachev, Publisher. London : Harper Collins, 1999, p.98.

^(٢) ميخائيل غورباتشوف (١٩٣١ - ٢٠٢٢) : سياسي روسي و آخر زعيم للاتحاد السوفيتي ، تم انتخابه بالإجماع أمينًا عامًا للحزب في عام ١٩٨٥ عندما كان عمره ٥٤ عامًا فقط، وكان أول زعيم شاب وقوي لنظام حكمه لعقود من الزمن رجال كبار السن. خلال السنوات التي قضاها في الكرملين، من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٩١، أنهى =الحكم الشيوعي للحزب الواحد في الاتحاد السوفيتي، وأوقف سباق التسلح العالمي، وسمح بالتحرير السلمي لدول وسط وشرق أوروبا، حيث أنهت سياساته "ديكتاتورية البروليتاريا" وأنهت الحرب الباردة، لكنها أدت إلى انهيار الإمبراطورية السوفيتية في هذه العملية، شرع غورباتشوف في ما أسماه البيريسترويكا (إعادة الهيكلة)، تم اختيار شعار ليبودو غير مهدد وكان الهدف هو إصلاح النظام الشيوعي، لجعله أكثر كفاءة وإنسانية، لذا فقد حصل على جائزة نوبل للسلام، للمزيد ينظر:، سارة سهيل حسين، انهيار الاتحاد السوفيتي تطور العلاقات الروسية الأوروبية (١٩٩٠-١٩٩٩)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة سامراء ، ٢٠٢٤، ص ١٥١.

الفصل الأول

على المعارضة الوطنية وتكثيفها، تم قمع القومية، لكن الأمة والجنسية استمرت في البقاء على حالها في الاتحاد السوفيتي^(١).

يتضح من هذا المبحث أن السياسات السوفيتية لعبت دوراً حاسماً في تشكيل الوضع الإداري والسياسي لإقليم ناغورني -كاراباخ، من خلال إبقائه تحت السيادة الإذرية رغم أغليبيته الأرمنية، وقد ساهم هذا التوجه في خلق حالة من التوتر المكتوم الذي انفجر لاحقاً في أواخر الثمانينات، وهو ما سيمثل نقطة الانطلاق في الفصل الثاني عند تناول بداية الأزمة بشكل مباشر وسنلقي المزيد من الضوء على سياسة الحزب الشيوعي والرئيس غورياتشوف تجاه الاقليات بشكل عام الصراع الارميني -الأذري بشكل خاص.

⁽¹⁾ Levon Chorbajian, Patrick Donabedian, Claude Mutfian, The Caucasian Knot: The History and Geopolitics of Nagorno-Karabakh, London: Zed Books, 1994, pp. 93-94.

الفصل الثاني

موقف إدارة غورباتشوف من صراع

ناغورني - كاراباخ

المبحث الأول: ظهور حركة كاراباخ (١٩٨٥-١٩٩١م)

أولاً: وصول ميخائيل غورباتشوف الى السلطة وتطور الصراع (١٩٨٥ -

١٩٩١)

ثانياً: عملية التحول السياسي في ناغورني - كاراباخ

ثالثاً: التدخل الروسي في صراع ناغورني - كاراباخ ١٩٨٨م

المبحث الثاني: سياسة موسكو تجاه القومية الأرمنية والاذرية

أولاً: العجز السوفيتي في حل الصراع الارمني الأذري

ثانياً : ظهور الحركة القومية الأذرية والارمنية (١٩٨٨-١٩٨٩م)

المبحث الثالث: انفصال ناغورني - كاراباخ عن إذربيجان

أولاً: الحركات الانفصالية وانهيار الاتحاد السوفيتي

ثانياً: انتهاء الحكم السوفيتي على كاراباخ

المبحث الأول

ظهور حركة كاراباخ (١٩٨٥-١٩٩١م)

أولاً: وصول ميخائيل غورباتشوف الى السلطة وتطور الصراع (١٩٨٥-١٩٩١)

وصل ميخائيل غورباتشوف إلى منصب الأمين العام للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في عام ١٩٨٥، حاملاً معه أجندة إصلاحية تهدف إلى معالجة الركود السياسي والاقتصادي العميق في الاتحاد السوفيتي، كانت سياساته المتمثلة في الشفافية (glasnost)^(١) وإعادة البناء (بيريسسترويكيا) (perestroika)^(٢) وقد سعت هذه السياسات إلى تشجيع المزيد من الانفتاح والديمقراطية والإصلاح الاقتصادي.

^(١) غلاسنوست: هي كلمة روسية تعني "الانفتاح" أو "الشفافية" وهي سياسة أطلقها الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف في منتصف الثمانينيات. هدفت إلى زيادة الشفافية في المؤسسات الحكومية والسماح بمزيد من حرية المعلومات والتعبير. كانت جلاسنوست جزءاً من برنامج غورباتشوف للإصلاح الأوسع، إلى جانب "بيريسسترويكيا" (إعادة الهيكلة)، بهدف تحديث الاقتصاد السوفيتي وجعل المجتمع السوفيتي أكثر انفتاحاً واستجابة. وتحت مظلة جلاسنوست، تم تخفيف الرقابة، ما سمح للجمهور السوفيتي ووسائل الإعلام بمناقشة مواضيع كانت تعد محظورة سابقاً، بما في ذلك أحداث تاريخية، وقضايا الفساد الحكومي، والمشاكل الاجتماعية. وأدت هذه السياسة إلى زيادة وعي الجمهور وانتقاده لبعض أفعال الحكومة السوفيتية، بما في ذلك تطهير ستالين والكوارث الداخلية وقمع المعارضين، كانت جلاسنوست عاملاً رئيسياً في تحرير النظام السياسي السوفيتي تدريجياً وساهمت بشكل كبير في انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، إذ كشفت عن مشكلات نظامية داخل الحزب الشيوعي وعززت المطالب بالإصلاحات الديمقراطية، للمزيد ينظر:

John M. Battle, 'Uskorenije, Glasnost' and Perestroika: The Pattern of Reform under Gorbachev, Soviet Studies, Vol. 40, No. 3, Published By: Taylor & Francis, Ltd. Jul., 1988, p. 367.

^(٢) البريسسترويكيا : هي سياسة إصلاح اقتصادي واجتماعي أطلقها الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف في منتصف الثمانينيات، تحديداً في عام ١٩٨٥، بهدف تحديث الاقتصاد السوفيتي وإصلاح هيكل الدولة. كلمة "بريسسترويكيا" تعني "إعادة البناء" باللغة الروسية، وكانت تسعى إلى تحرير بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من النظام المركزي الصارم، وتحقيق نوع من الانفتاح. وقد ركزت البريسسترويكيا على مجالات عدة، من أهمها الإصلاح الاقتصادي من حيث تقليل سيطرة الدولة على الاقتصاد، وتشجيع القطاع الخاص، للمزيد ينظر :

Robert Service, History of Modern Russia: From Tsarism to the Twenty-First Century, London: Penguin Books, 2009, p. 447

ومع ذلك، أدت إصلاحاته أيضاً إلى تصاعد الحركات القومية داخل الجمهوريات السوفيتية، بما في ذلك النزاع بين الأرمن والأذريين حول إقليم ناغورني كاراباخ وتفاقم هذا الصراع ، مما شكل تحدياً لقدرة غورباتشوف على الحفاظ على السيطرة مع موازنة القضايا العرقية والإقليمية المعقدة للاتحاد السوفيتي^(١).

كانت الأغلبية الأرمنية في جمهورية ناغورتي كاراباخ تجدد مطالبها في الاتحاد مع أرمينيا كلما حدث تغيير سياسي في موسكو، فبعد نهاية عصر الركود الذي فرضه بريجنيف وصعود الزعيم الإصلاحي غورباتشوف عام ١٩٨٥، وفر التوسع التدريجي للتعبير السياسي للقوميين الأرمن فرصاً جديدة لإعادة توحيد جمهورية ناغورني- كاراباخ مع أرمينيا، ورغم تعاطف غورباتشوف أكثر من رؤساء الاتحاد السوفيتي السابقين مع تحسين وضع القوميات غير الروسية في الاتحاد السوفيتي، إلا إنه كرر خطأ أسلافه عندما اعتبر أن مسألة القوميات الموروثة من الماضي قد تم حلها بنجاح وبحلول عام ١٩٨٦، لم يطرأ أي تغيير في سياسة القوميات، وأكد غورباتشوف على العنصر الاقتصادي، إذ هدف إلى ضمان المصلحة الاقتصادية الوطنية فوق مصالح الجمهوريات الخاصة، كما قال إن الحزب الشيوعي يدرك الحاجة إلى المضي قدماً في سياسته القومية، ولكنه في الوقت نفسه سوف يواصل "نضالاً مبدئياً ضد كل مظاهر ضيق الأفق القومي والجهل والقومية والشوفينية"^(٢)، وبدأ الأمر وكأن موسكو تريد تعزيز سيطرتها على الجمهوريات غير الروسية بحجة مكافحة عدم الكفاءة الاقتصادية والفساد، ويبدو أن اهتمامات غورباتشوف بالكفاءة الاقتصادية كانت لها الأسبقية على الحساسيات الوطنية والصراعات القومية بين الإذر والأرمن، وقام بتعيين الروس في "مناصب استراتيجية" في الجمهوريات غير الروسية. وأصبحت زيادة أعداد الروس في الكوادر الوطنية تشكل مصدر قلق كبير في الجمهوريات غير الروسية، وقد بدأ غورباتشوف سياسات

(١)Graham Smith, Op,Cit,p.185.

(٢) الشوفينية : هي مصطلح يستخدم للإشارة إلى الإيمان المتعصب والمتطرف يتفوق مجموعة معينة على غيرها، سواء كانت هذه المجموعة على أساس قومي، عرقي، جنسي، أو حتى ديني. يُعزى أصل المصطلح إلى الجندي الفرنسي نيكولا شوفان الذي اشتهر بولائه المتطرف للنازيين بونابرت، ما جعله رمزاً للتعصب القومي الأعمى، للمزيد ينظر:

Hannah Arendt ,Imperialism, Nationalism, Chauvinism, The Review of Politics,Vol. 7, No.p. 4, Published By: Cambridge University Press, ,Oct. 1945, p.441.

الفصل الثاني

البيريسترويكا (إعادة الهيكلة الاقتصادية) والglasnost (الانفتاح)، وبالتالي مهد الطريق للتغيرات التي كانت كامنّة لمدة طويلة، ورافق ذلك المطالبات الثقافية والإقليمية وحتى الانفصالية من قبل الأرمن، إذ أن الأرمن في شمال إذربيجان بدأوا في أعقاب وصول غورباتشوف إلى سدة الحكم للاستفادة من سياسته الانفتاحية، والتغيرات بشكل عام في السياسة المركزية الشيوعية، وبدأ الأرمن في تنظيم أنفسهم من أجل السعي إلى الحرية الثقافية وتحقيق الاستقلال السياسي عن القومية الأذرية المهيمنة، وفي منطقة القوقاز وغيرها، تحولت سياسات غورباتشوف الإصلاحية إلى سياسات عرقية تقوم على "تقرير المصير الوطني والديمقراطية، وقد وفرت هذه السياسات فرصاً للتعبئة القومية بين المجتمعات الأرمنية والأذرية المتخاصمة بالفعل^(١).

زارت ثلاثة وفود أرمنية في المدة ما بين (تشرين الثاني ١٩٨٧ - شباط ١٩٨٨) موسكو للضغط من أجل نقل المنطقة من إذربيجان السوفييتية إلى أرمينيا السوفييتية^(٢) وقد أولت القيادة السوفييتية الاهتمام للوفود الثلاثة^(٣)، فضلاً عن ذلك، عندما زار وفد رابع موسكو في كانون الثاني ١٩٨٨،^(٤) والتقى الأخير ببيوتر ديميتشيف (Pyotr.Demichev) ^(١) المرشح لعضوية

(1) Tobias Schumacher, Armenia, Azerbaijan and the Nagorno-Karabakh conflict: why the 'black garden' will not blossom any time soon, published by Francis and Taylor, New York, 2016, p.43.

(2) Central Intelligence Agency. The Soviet Nationalities Problem and Gorbachev's Reform Agenda. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150002-0. Published September 15, 1988.

(3) CIA Directorate of Intelligence Senior Analysts -Unrest in the Caucasus and the Challenge of Nationalism - CIA-RDP91B00776R000600150001-9 - Aug 1988.

(4) Armenians Say Soviet Force Discourages Planned Protest: [FINAL Edition] Washington Post newspaper, 26 Mar 1988, P.20.

الفصل الثاني

المكتب السياسي الشيوعي^(٢)، وعاد الوفد إلى ناخيتشيفان مع وعود بالنظر إلى مسأله الأرمن بجدية، وقد أثار سورين آيفازيان (Suren Aivazian)^(٣) أحد أعضاء الحزب الشيوعي الأذري، حجة مماثلة، وفي رسالة موجهة إلى غورباتشوف دعا إلى ضم ناخيتشيفان إلى أرمينيا، وفي هذه المرحلة من تطور الصراع، كان من الممكن إدراك أن أرمينيا قد بدأت بالتعبئة العرقية التدريجية في سياق سياسات غورباتشوف الإصلاحية وإعادة التأهيل السياسي للمطالب العرقية الثقافية الأرمنية السابقة^(٤) وقد استمرت التحريضات الأرمنية لإعادة النظر في قضية ناغورني-كاراباخ طوال عام ١٩٨٧، ففي أرمينيا، وقع المثقفون القوميون والعلماء وكبار ضباط الجيش وكافة أطراف الشعب على عرائض، وجرى إرسال آلاف الرسائل الفردية إلى موسكو والسلطات الشيوعية، وتسارعت وتيرة التحريض عندما أضاف أربعون نائباً من مجلس ناغورني-كاراباخ الإقليمي توقيعاتهم على عريضة وقع عليها بالفعل ثمانين ألف أرميني، ودعم النواب الأرمن الجهود الرامية إلى حث الكرملين على عقد جلسة خاصة بشأن قضية ناغورني-كاراباخ^(٥).

في شمال الأقليم، (Krasnodar) برزت حملة مماثلة على المستوى الشعبي، فقد كتب المثقفون القوميون عرائض وجمعوا التوقيعات، في حين أقرت "الجماعات العمالية قرارات تدعو إلى الوحدة" مع أرمينيا، ولعبت هذه الإستراتيجية دوراً حاسماً في التعبئة القومية للأرمن من شمال الأقليم، فقد شجع القوميون في أرمينيا وشمال الأقليم الذين دعوا إلى عملية توحيد سلمية مئات الأشخاص وبعد بضعة أسابيع آلاف الأشخاص، على دعمهم، وفي أيلول ١٩٨٧ م أثار

(١)بيوتر ديميتشيف (١٩١٨-٢٠١٠): كان بيوتر ديميتشيف شخصية بارزة في الحزب الشيوعي السوفيتي، اشتهر بصلابته الإيديولوجية، شغل منصب وزير الثقافة من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨٦، ثم تولى منصب النائب الأول لرئيس هيئة رئاسة السوفييت الأعلى حتى تقاعده عام ١٩٨٨، كان يُنظر إليه كواحد من المحافظين داخل الحزب، وعُرف بمعارضته للمبادرات الإصلاحية، كان عضواً في المكتب السياسي للحزب منذ عام ١٩٦٤، للمزيد ينظر:

Michael Croissant, Op.Cit,p.46.

(2)Washington Post newspaper, Op,Cit, p. a20

(3)Maike Lehmann, Apricot Socialism: The National Past, the Soviet Project, and the Imagining of Community in Late Soviet Armenia, Slavic Review, Published By: Cambridge University Press, USA, 2015, P.79.

(4) Los Angeles Times newspaper, March 4, 1988.

(5)Maike Lehmann ,Op,Cit, p.81

زوري بالايان (Zori.Balayan) ^(١) مراسل صحيفة ليتراتورنايا جازيتا (LiteraturnayaGazeta) المرموقة، الناطقة الرسمية باسم اتحاد الكتاب السوفييت، المولود في كاراباخ أرمينيا، مسألة ناغورني - كاراباخ قائلاً: هل يجب علينا أن نلتزم الصمت؟". فضلاً عن ذلك، في تشرين الثاني ١٩٨٧م، أثناء زيارة إلى باريس، أعلن آبل أغانيبيان (Abel.Aghanbegian) ^(٢) المستشار الاقتصادي الشخصي لغورباتشوف: "أود أن أسمع أن كاراباخ عادت إلى أرمينيا، وبصفتي خبيراً اقتصادياً، أعتقد أن الروابط مع أرمينيا أكبر من تلك التي مع إنديجان، ولقد تقدمت باقتراح على هذا النحو، وآمل أن يتم حل المشاكل في سياق البيريسترويكا والديمقراطية"، ^(٣) وقد دفعت هذه التصريحات القوميين الأرمن إلى الاعتقاد بأن غورباتشوف كان متعاطفاً مع مطالبهم، ولا سيما عندما أقيل حيدر علييف (Heydar.Aliyev) ^(٤) العضو الأذري الوحيد في المكتب السياسي، من منصبه في عام

^(١) زوري بالايان (١٩٣٥-) : كاتب وصحفي أرمني ، معروف بأعماله حول الثقافة والتاريخ الأرمني وصراع ناغورني كاراباخ. غالباً ما تعكس كتاباته وجهات نظر وطنية أرمينية، وهو يدافع عن المصالح الأرمينية، سيما يتعلق بناغورني كاراباخ نشر بالايان كتب عدة ومقالات تركز على التراث الأرمني والتحديات التي يواجهها الأرمن في المنطقة، بما في ذلك وجهات نظره حول العلاقات الأرمينية التركية والسياسة الإقليمية، للمزيد ينظر : Rost Yuri,Armenian tragedy, Publisher . Weidenfeld and Nicolson, London,1990 ,p.132.

^(٢) آبل أغانيبيان أو أغنيبيان (1932): و اقتصادي سوفيتي أرمني بارز، اشتهر بدوره الكبير في تشكيل الإصلاحات الاقتصادية خلال الفترة المتأخرة من الاتحاد السوفيتي. ولد في تبليسي عاصمة جورجيا حالياً، وأصبح شخصية مهمة في التخطيط والسياسات الاقتصادية في الاتحاد السوفيتي سيما خلال الثمانينيات. وقد كان أغنيبيان مستشاراً رئيسياً لميخائيل غورباتشوف، وأحد المهندسين الرئيسيين وراء "البيريسترويكا وهي مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية التي هدفت إلى تحويل الاتحاد السوفيتي نحو اقتصاد أكثر اعتماداً على السوق. وكان يدعو إلى زيادة الكفاءة في النظام الاقتصادي السوفيتي، مركزاً على اللامركزية، وتحسين الإنتاجية والابتعاد عن التخطيط المركزي الصارم، كما شملت أفكاره تشجيع المشاريع الخاصة الصغيرة وتخفيف سيطرة الحكومة على بعض القطاعات الاقتصادية، للمزيد ينظر :

Erich Feigl, Un Mythe de la Terreur – Le Terrorisme Arménien, ses Origines et ses Causes (Salzburg: Druckhaus Nonntal, 1991,p.343.

^(٣)Quited in , Tobias Schumacher,Op,Cit,p.56.

^(٤) حيدر علييف (١٩٢٣-٢٠٠٣): رجل دولة بارز في أذربيجان والاتحاد السوفيتي، شغل منصب رئيس أذربيجان من عام ١٩٩٣ إلى ٢٠٠٣، ولد في عام ١٩٢٣ في ناخيتشيفان، وصعد في مراتب الحكومة السوفيتية ليصبح في النهاية السكرتير الأول للحزب الشيوعي الأذري، ولاحقاً عضواً في المكتب السياسي السوفيتي ونائب رئيس مجلس الوزراء، عرف بمهارته السياسية، وأصبح أحد أهم القادة نفوذاً في الاتحاد السوفيتي، حيث أشرف على تطوير صناعي واقتصادي كبير في أذربيجان، و قد شهدت مسيرته السياسية تحولاً مع انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١، حيث ترأس في البداية الحكم الذاتي في جمهورية

الفصل الثاني

١٩٨٧، وكان عليلف معارضاً قوياً للمطالبات الإقليمية الأرمنية، وفسر الأرمن إقالته على أنها إشارة إلى إمكانية حل النزاع بين في ناغورني كاراباخ لصالحهم^(١).

جرى حشد الأرمن في الشتات لدعم حملة توحيد ناخيتشيفان مع أرمينيا، وكان الفرع الأرمني لجهاز المخابرات السوفييتي يراقب عن كثب ليس فقط حملة الوحدة المحلية ولكن أيضاً ما كان يجري التخطيط له في الخارج^(٢)، وفي تقرير سري مؤرخ ٢٦/ كانون ١٩٨٨، أبلغ كارين يوزباشيان (Karen.Yuzbashian)^(٣) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي أن منظمة تسمى مجلس المثقفين الأرمن قد تأسست في لوس أنجلوس في ٢٥/ تشرين الثاني ١٩٨٧ وكانت تخطط لدعم "توحيد ناخيتشيفان وكاراباخ مع أرمينيا، ولقد جاءت الاستجابة الأذرية الأولى للمطالبات الثقافية والسياسية الأرمنية من جانب المثقفين الأذريين، فقد نشر الشاعر بختيار وهب زاده (Bahtiyar.Vahabzade)^(٤) رسالة مفتوحة في دورية اتحاد الكتاب

ناخيتشيفان واكتسب شعبية بسبب موقفه الوطني ودعمه لمصالح أذربيجان في عام ١٩٩٣، وفي ظل حالة عدم الاستقرار الداخلي والصراع المستمر في ناغورني-كاراباخ، دعي عليلف إلى باكوتولي دور قيادي وتم انتخابه رئيساً وركز على استقرار البلاد، وتعزيز الاستثمارات في صناعة النفط، وتعزيز سيادة أذربيجان. تميزت إدارته بتوقيع "عقد القرن" مع شركات النفط الغربية، مما ساهم بشكل كبير في اقتصاد أذربيجان، للمزيد ينظر:

Ceylan taklugul, Perceptions of State and Leadership in Post-Soviet Azerbaijan (1991-2009), Middle Eastern Studies, Vol. 48, No. 3, 2012, p.89.

(1) Markar Melkonian, My Brother's Road: An American's Fateful Journey to Armenia, I.B. Tauris, 2005, p.101.

(2) Armenian Area Remains Tense, Residents Claim; Soviet Officials Assert Calm Is Restored, Washington Post newspaper, 24 Sep 1988, p.13.

(3) كارين يوزباشيان (1927-2009): مؤرخاً و عالماً لغوي أرميني معروفاً بخبرته في الدراسات الأرمنية في العصور الوسطى والتاريخ البيزنطي والعلاقات الأرمنية البيزنطية. وقدم مساهمات كبيرة في دراسة التاريخ الأرمني والمخطوطات في العصور الوسطى، فضلاً عن العلاقات الثقافية والسياسية المعقدة بين الأرمن والبيزنطيين. وكان أستاذاً مرموقاً ونشر العديد من الأعمال حول النصوص التاريخية الأرمنية، مع التركيز غالباً على المؤرخين الأرمينيين في العصور الوسطى، ركز بحثه على تحليل المخطوطات والنصوص الأرمنية التي وثقت تفاعلات أرمينيا مع الإمبراطوريات والقوى المجاورة، وخاصة خلال فترات التعقيد الجيوسياسي في منطقة القوقاز وقد ساعد عمله في تسليط الضوء على تاريخ أرمينيا في العصور الوسطى وتفاعلاتها مع العالم، للمزيد ينظر:

Garnik Asatryan, Karen Yuzbashian Iran & the Caucasus, Vol. 13, No. 1, January 6, 1927 - March 5, 2009, pp.2-3.

(4) بختيار وهب زاده (١٩٢٥-٢٠٠٩): شاعراً وكاتباً مسرحياً واديباً أذربياً، معروفاً بإسهاماته في الأدب الأذري ودوره الفعال في تعزيز الهوية الوطنية واللغة والثقافة. تناولت أعماله موضوعات الحرية والوطنية والعدالة

الفصل الثاني

الأذريين ، وقام بضد المطالبات الأرمنية بإقليم ناغورني - كاراباخ. وأكد أن المنطقة كانت "أرضاً إذرية تاريخية" وأن سكانها هم "أسلاف الأتراك الأذريين، وقد انتقد المحاولات الأرمنية لتغيير ترتيبات الحدود لعام ١٩٢٣؛ لأن ذلك قد يعني إنشاء جمهورية ذات تركيبة وطنية خالصة، وهي الخطة التي زعم أنها تتناقض مع المبادئ الاشتراكية، كما تعرض الأرمن في شمال إنريجان لانتقادات بسبب تصورهم لحكم قومية أخرى بوصفه "قمعاً، واختتم فاهيزاده رسالته بالقول: " هل تشتت الأرمن حقاً وفقاً لرغباتنا؟ فليمنحهم الله القوة والمهارة حتى يتمكنوا من الذهاب وتوحيد أنفسهم"(١).

أولى غورباتشوف اهتماماً كبيراً لمشكلة القوميات في الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في كانون الثاني ١٩٨٧؛ بسبب اندلاع أعمال الشغب العرقية في ألما آتا قبل بضعة أسابيع ، واعترف غورباتشوف للمرة الأولى بحساسية قضية القوميات، فقد أعلن: "لم تكن هناك قضية أساسية واحدة يمكننا حلها، الآن أو في الماضي، دون أن نأخذ في الاعتبار أننا نعيش في بلد متعدد الأعراق". ومن الأهمية بمكان أن نؤكد أن الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي لم يكن ليعقد بشأن قضية القوميات قبل أيلول ١٩٨٩"، وبينما أعلن غورباتشوف أنه سوف يُسمح بمزيد من الغلاسنوست في مجال المشاكل القومية، ثم اشتكى قائلاً: ولا بد من الاعتراف بأن الأخطاء التي سُمح بوقوعها في مجال العلاقات الوطنية ومظاهرها ظلت في الظل ولم يكن من المقبول ذكرها. وقد أدى هذا إلى العواقب السلبية التي نتعامل معها الآن"(٢).

الاجتماعية، ما عكس نضالات وتطلعات الشعب الأذري. بالإضافة إلى إسهاماته الأدبية، وكان بختيار نشطاً في المجال السياسي والاجتماعي. وأدى دوراً مهماً في الدفاع عن الحقوق الوطنية للشعب الأذري ، وكان من بين الشخصيات التي قادت الجهود لتعزيز الوعي الوطني والقومي في أذربيجان خلال الحقبة السوفييتية. وقد ارتبط اسمه بالكفاح السياسي والثقافي من أجل حرية أذربيجان واستقلالها، للمزيد ينظر :

Pat Leonard The American bibliography of Slavic and East European studies , Publisher,M.E.Sharpe,USA,1996.P.45.

(1)Quited in, Dmitriř Volkogonov Antonovich,Op,Cit,p.109.

(2)Quited in, Richard Sakwa, Op.Cit,p.133.

أستغل الأرمن القضايا الداخلية من أجل إعادة إحياء المطالبة بكاراباخ، واندلعت المرحلة العنيفة من نزاع كاراباخ في شكل اشتباكات عرقية متفرقة ومعزولة في خريف عام ١٩٨٧ في قرية تشارداخلو (Chardakhlu) خارج حدود جمهورية ناغورني - كاراباخ، وتبع ذلك مظاهرات في جمهورية ناغورني - كاراباخ أولاً ثم في أرمينيا، وبحلول نهاية عام ١٩٨٧، لم تكن التعبئة القومية تحدث في أرمينيا وجمهورية ناغورني - كاراباخ فحسب، بل وأيضاً في أماكن أخرى من الاتحاد السوفيتي، وفي هذا السياق، بدأت "الجمعيات الوطنية غير الرسمية" والجبهات الشعبية في الظهور بنشاط في أوكرانيا وبيلاروسيا وجورجيا، وفي أوكرانيا، تشكلت منظمة تعرف باسم "روك (Rock) في عام ١٩٨٩م، كما أسس الجورجيون جمعية إيليا تشافشادزه (Ilia.Chavchavadze)^(١)، التي سميت على اسم البطل الوطني في القرن التاسع عشر، وأسس المنشقون الأرمن والجورجيون والأوكرانيون معاً لجنة دولية للدفاع عن السجناء السياسيين، والتي عقدت أول اجتماع لها في يريفان في كانون الثاني ١٩٨٨^(٢).

ثانياً: عملية التحول السياسي في ناغورني - كاراباخ

كان عام ١٩٨٨ حاسماً في صياغة مستقبل العلاقات الأرمنية الأذرية ففي شباط من العام نفسه، فسر الأرمن تصريحات غورباتشوف بشأن قضية ناغورني - كاراباخ بشكل إيجابي، إلا أن غورباتشوف قد أقر بأن العديد من أوجه القصور والصعوبات تراكمت في ناغورني -

^(١) إيليا تشافشادزه (١٨٣٧-١٩٠٧) :سياسي وكاتب وشاعر جورجي، يعد أحد الشخصيات الرئيسية في حركة النهضة الوطنية الجورجية في القرن التاسع عشر. كان تشافشادزه من المدافعين عن الاستقلال الثقافي والسياسي، وأدى دوراً كبيراً في تعزيز اللغة الجورجية والأدب والهوية الوطنية في ظل الحكم الإمبراطوري الروسي. وبصفته كاتباً، كان معروفاً بشعره الذي تناول مواضيع الوطنية والفخر القومي والقضايا الاجتماعية، كما عالجت أعماله ضرورة إصلاح التعليم وتحسين الظروف الاجتماعية والسياسية لشعب جورجيا، بالإضافة إلى مساهماته الأدبية كان ناشطاً في المجال السياسي، إذ عمل من أجل تحقيق قدر أكبر من الحكم الذاتي لجورجيا ضمن الإمبراطورية الروسية. وقد شملت جهوده لتحديث جورجيا الدعوة إلى إنشاء حركة وطنية جورجية، مع التأكيد على أهمية الوحدة الوطنية، وتعزيز فكرة الدولة الجورجية المستقلة، للمزيد ينظر :

David Lang and Marshall, A modern history of Soviet Georgia, Publisher, New York: Grove Press, 1962, p. 111.

⁽²⁾ Svante E. Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Routledge Curzon, London: 2001, pp. 67-69.

كاراباخ، واجتمعت قيادة الحزب الشيوعي في ناغورني- كاراباخ لمناقشة الكيفية التي يمكنها بها الحد من الاضطرابات والحفاظ على النظام في الشوارع، فضلاً عن ذلك، حاولت السلطات الشيوعية في باكو إعادة فرض الانضباط^(١)، ولهذا الغرض أرسلت الكسندر كونوفالوف (Aleksandr.konovalev) السكرتير الثاني للحزب الشيوعي الأذري، للقاء المتظاهرين وشرح موقف باكو لهم، إلا ان المتظاهرين تحدوا كونوفالوف في اجتماع منظم في ستيباناكيرت في الثاني عشر من شباط ١٩٨٨م، واستمرت المظاهرات التي طالبت باكو بإعلان رسمي عن سياستها تجاه ناغورني- كاراباخ^(٢)، في ميدان لينين في ستيباناكيرت^(٣).

وفي الرابع عشر من شباط، فشل بوريس كيفوركوف (Boris kivorkov)^(٤)، الذي كان من أتباع قيادة باكو وكان مكروهاً من قبل القوميين المحليين، في تفريق المظاهرات في ميدان لينين، وحثت الحشود التي تجمعت أمام المقر المحلي للحزب الشيوعي في المقاطعات الخمس في شمال الأقليم اللجان التنفيذية للمجالس المحلية المعنية على تمرير قرارات لتوحيد شمال الأقليم مع أرمينيا، وبحلول السادس عشر من فشباط، أيدت اللجان التنفيذية في أربع من المقاطعات الخمس قرارات بهذا المعنى وناشدت القيادة الشيوعية في شمال الأقليم حل مطالبها

(1) Audrey L. Altstadt, Op,Cit,P.156.

(2) Charles E. Allen (NIO for Warning) Intelligence Community – Highlights of MWR for March 1988, covering Karabakh tensions – CIA-RDP91B00776R000400020015-0 – 20 Apr 1988.

(3) Thomas Del wall,Black Garden: Armenia and Azerbaijan through Peace and War, Published by: NYU Press,2003,p.289

(٤) بوريس كيفوركوف (1936-2022) : سياسي و دبلوماسي سوفيتي ، شغل منصب امين أول للحزب الشيوعي في منطقة ناغورني- كاراباخ المتمتعة بالحكم الذاتي في السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وتزامنت فترة ولايته مع فترة من التوترات العرقية المتزايدة بين الأرمن والأذريين في المنطقة، وكثيراً ما تعرض كيفوركوف، الذي كان من أصل أذري لانتقادات من الناشطين الأرمن بسبب مزاعم تفضيله للمصالح =الأذرية، مما أدى إلى تفاقم الخلاف الإقليمي. ورأى البعض أن سياساته وقراراته ساهمت في الاضطرابات التي تطورت فيما بعد إلى صراع ناغورني- كاراباخ، و أصبح دور كيفوركوف مثيراً للجدل= بشكل خاص خلال عهد غورباتشوف عندما تعرضت السلطات السوفييتية لضغوط متزايدة لمعالجة القضايا الوطنية والعرقية، انتهت فترة ولايته حوالي عام ١٩٨٨ بإزالته من منصبه، للمزيد ينظر:

Audrey L.Altstadt, Op,Cit,p.158.

بشكل إيجابي، وكانت هذه التطورات السياسية التي حدثت في ناغورني - كاراباخ غير مسبوقة، إذ لم يسبق قط تغلب الضغط العام على الحزب الشيوعي^(١).

قدم يوزباشيان تقريراً سرياً إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرمني يؤكد أن المظاهرات كانت مخططة ومنظمة من قبل الزعيم القومي والاقتصادي إيغور موراديان (Igor.Muradyan)^(٢)، وكان موراديان يعتقد أن الطريقة الأكثر فعالية لحث موسكو على توحيد ناغورني - كاراباخ مع أرمينيا هي تمرير قرار من قبل لجنة المنطقة التابعة للحزب الشيوعي في ناغورني - كاراباخ لدعم الوحدة. وكان السبب الذي دفعه إلى الإصرار على هذا الخيار هو النتائج غير المرضية التي أسفرت عنها وفود كاراباخ التي زارت موسكو في المدة من ٨ إلى ١٧ / شباط ١٩٨٨م، لقد كان موراديان المحرض الرئيسي للحركة منتقلاً بين ستيباناكيرت ويريفان، وابدأ الدعم الكامل للأرمن ذوي المكانة الرفيعة في موسكو، ورتب للقاءات مع المسؤولين السوفييت، فضلاً عن ذلك، لم يتردد في عقد اجتماعات مع يوزباشيان، ولكن معرفته المحدودة باللغة الأرمنية لم تمنعه من أن يصبح زعيماً قومياً شعبياً وموثوقاً به^(٣).

(1) Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. New York: Verso, 1991,p.27.

(٢) إيغور موراديان(1947-2021) : ناشطٌ سياسيٍ أرمني وخبيراً اقتصاديً وأحد الشخصيات المهمة في حركة ناغورني - كاراباخ ، اشتهر بدوره المهم في الدعوة إلى توحيد إقليم ناغورني - كاراباخ مع أرمينيا خلال أواخر الثمانينيات، وهي الفترة التي اتسمت بتصاعد التوترات العرقية والحركات القومية في جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفياتية. و في عام ١٩٨٨، ساعد موراديان في تنظيم الاحتجاجات في بيريفان وستيباناكيرت، والتي دعت إلى نقل إقليم الإقليم المتمتع بالحكم الذاتي من جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية إلى جمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفيتية. و قد لفت عمله الانتباه إلى المطالبات التاريخية والثقافية والسياسية للأرمن في المنطقة، ووضع الحجج الأساسية التي غدت المزيد من النشاط، و على الرغم من أن الحركة بدأت كحملة شعبية، إلا أنها لم تنجح في تحقيق أهدافها، للمزيد ينظر :

Richard Giragosian, Secession and Security in the South Caucasus, published by Francis and Taylor, NY, 1999 ,p.97

St Antony's International Review, Published By: St. Antony's International Review, 2010,p.164

(3) Jürgen Arnold, Die Rechtsstellung der nationalen Gebietseinheiten der Sowjetunion, Köln 1993,p.67.

الفصل الثاني

طراً تطور لافت على الاوضاع بعد ان اصدر جهاز المخابرات الأرمني بتاريخ ٩ شباط ١٩٨٨م بياناً موجه إلى اللجنة المركزية لحزب المؤتمر الشعبي العام يحث الأرمن على عدم ارتكاب أعمال استفزازية أو شعارات معادية لإنريجان من شأنها أن تغذي القوميين الأذريين، وأكد البيان على أن المظاهرات يجب أن تكون سلمية وأخلاقية دون تهديد العلاقات الودية بين الأرمن والأذريين، إلا ان المثقفين الأرمن في إقليم ناغورني -كاراباخ حثوا المتظاهرين على تنظيم مظاهرات جديدة أقوى، وتشكيل شبكة من اللجان السرية في القرى لتعبئة المزيد من الناس^(١).

حاولت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التسامح مع الاضطرابات الوطنية التي انتشرت في الجمهوريات غير الروسية، وأعتقد الكرملين أنه ما دامت البيريسترويكا قيد التنفيذ، فمن الممكن أن تظل قضية القوميات طي الكتمان، الا أن الأحداث غير العادية التي وقعت في منطقة القوقاز دفعت الكرملين إلى معالجة مشكلة القوميات ومنحها الاهتمام اللازم الذي تستحقه، فقد حاولت إقناع القادة الارمن ان ١٠٠,٠٠٠، من المتعصبين الأذريين قد يدخلون شمال الأقليم رداً على إرهاب الأرمن في شمال الأقليم، وحاولت وسائل الإعلام الرسمية إحباط الآمال الأرمنية بالإعلان أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو لن تتولى قضية شمال الأقليم^(٢)، ومع ذلك، ظل الأرمن في شمال الأقليم متفائلين بأن غورباتشوف سوف يفي بتعهده ويعقد جلسة عامة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي لمناقشة مشكلة القوميات في الاتحاد السوفييتي، وفي نهاية المطاف، أثارت المظاهرات والالتماسات الأرمنية استفزاز الأذريين، الذين اعتبروها أعمالاً عدائية تهدد سلامة أراضي إنريجان، وتظاهر الأذريين أيضاً،

(1) Cárdenas J. Emililio and Cañas, María F., The Limits of Self-Determination, in: Danspeckgruber (ed.), The Self-Determination of Peoples Community, Nation and State in an Interdependent World, London 2002, P.99.

(2) Antonio Cassese, Self-determination of peoples: A legal reappraisal, Cambridge 1995, p.35.

وإن كان بأعداد أقل كثيراً، لموازنة المظاهرات الأرمنية الحاشدة، وكانت المشاعر متوترة على الجانبين مع فشل موسكو في اتخاذ قرار حاسم^(١).

حدثت نقطة التحول في ديناميكية الصراع الأرمني -الأذري في ٢٠ شباط عام ١٩٨٨م، عندما تبنى المجلس السوفييتي الإقليمي (O.S)^(٢)، في الأقليم جلسة خاصة قراراً يطالب بنقل أقليم كاراباخ من جمهورية إذربيجان السوفييتية الاشتراكية إلى جمهورية أرمينيا السوفييتية الاشتراكية، وكان هذا الإجراء غير المسبوق من جانب مجلس سوفييتي إقليمي يتناقض مع السياسة الرسمية للحزب الشيوعي، والذي منع أي تغييرات على الحدود، ولم يتمكن كيفوركوف الذي حضرا الاجتماع من منع التصويت على القرار، إذ أن مجلس كاراباخ السوفييتي كان يمارس حقه الدستوري في تقرير المصير ضمن الحدود التي حددها الدستور السوفييتي لعام ١٩٧٧م وأعقب القرار مظاهرات حاشدة في يريفان، والتي جمعت وفقاً لبعض التقديرات، ما يصل إلى مليون شخص تم حشدهم لدعم حملة الوحدة^(٣)، وقد نُظمت مظاهرات مماثلة في مدن أرمينية أخرى وحتى في موسكو، وفي ٢٣/شباط ١٩٨٨م، تم تأسيس لجنة

(1) George A. Bournoutian, in: Suny (ed.), Transcaucasia, Nationalism and Social Change: Essays in the History of Armenia, Azerbaijan and Georgia, An Arbor 1996.

(2) كان المجلس السوفييتي الإقليمي وحدة إدارية ضمن النظام السوفييتي، يعمل كهيئة حاكمة محلية لمناطق مختلفة من الاتحاد السوفييتي. أنشئت هذه المجالس كامتداد للنظام السوفييتي على المستوى الإقليمي، وتعمل كوسيط بين الحكومة المركزية والسكان المحليين، يضم المجلس ممثلين منتخبين محلياً (عادةً في انتخابات تسيطر عليها السلطات السوفييتية) وكان مسؤولاً عن تنفيذ سياسات الحزب الشيوعي في مجالات مثل الاقتصاد المحلي، والتعليم، والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية بالإضافة إلى ضمان توافق الجمهور مع السياسات السوفييتية المركزية، للمزيد ينظر :

Baber, Z. Race, Religion and Riots: The 'Racialization' of Communal Identity and Conflict in India, Sociology, Vol.38, no.4, 2004, p.565.

(3) Nina Caspersen, "Regimes and peace processes: Democratic (non) development in Armenia and Azerbaijan and its impact on the Nagorno-Karabakh conflict, Communist and Post- Communist Studies, Vol.45, Issue 1-2 (2012), p.70.

الفصل الثاني

كاراباخ في أرمينيا تحت رعاية المثقفين القوميين، وعلى الرغم من المظاهرات المنظمة في أرمينيا وناغورني-كاراباخ، إلا أن حدة التوترات العرقية قد تصاعدت في المنطقة^(١).

أقيمت المظاهرات الحاشدة من أعضاء لجنة كاراباخ الأرمن، وكان معظمهم من المثقفين والمؤرخين القوميين الذين ساعدوا موراديان والذين كانت شرعيتهم مستمدة من تصور الناس لهم بوصفهم تجسيدا للأمة، وكان ينظر الأرمن بوصفهم ممثلي القيم والتطلعات الأكثر أهمية لدى الشعب، وعدّوا أفعالهم تخدم المصلحة المشتركة، وكانوا قادرين على تعزيز الروابط الجماعية القائمة، وحظوا بدعم شعبي كبير بسبب الرابطة العاطفية بينهم وبين أتباعهم، إلا أن الخطر تمثل في أن قادة المظاهرات قد استخدموا النداءات العاطفية دون تقدير العواقب، وقد كانت هذه المظاهرات بمثابة رسالة سياسية إلى الكرملين والسلطات الشيوعية المحلية مفادها أن النخبة المثقفة في أرمينيا تدعم الحركة القومية في كاراباخ^(٢)، وقد كانت هذه استراتيجية استخدمها القوميون لمساعدتهم في كسب دعم السلطات الشيوعية المحلية، وفي جمهورية كاراباخ، أنشأت لجنة عرفت باسم لجنة (٥٥)، وأدى أعضاؤها دوراً محورياً في تأييد قرار العشرين من شباط. وضمت (٧) أعضاء من لجنة الحزب على مستوى المنطقة والبلدية، (٤) نواب من مجالس السوفييت الإقليمية والمدنية، (٢٢) من قادة الشركات والجمعيات، (٣) أمناء للجان الحزب في المصانع وآخرون من مثقفين وغيرهم، وكانت القضية الوحيدة المدرجة على جدول أعمالها هي الوحدة مع أرمينيا^(٣).

يمكن القول أن الحركة الشعبية الأرمينية (A.N.M) وإقليم كاراباخ قد تطورت من سلسلة من المسيرات الداخلية إلى حركة قومية منظمة ومنسقة ذات قيادة راسخة وشبكة من الناشطين في أرمينيا، امتدت هذه الشبكة إلى المصانع والمعاهد وبعض المكاتب الحكومية، وأكدت هذه المظاهرات أن الوعي الوطني الأرميني كان سمة لا يمكن القضاء عليها من قبل الحزب الشيوعي

(1) Ibidp,72.

(2)Georgi Derluguian, Bourdieu's secret admirer in the Caucasus: a world-system biography. Chicago: University of Chicago Press, 2005,p.45.

(3) Christian Davenport, and David Armstrong. Democracy and the Violation of Human Rights: A Statistical Analysis from 1976 to 1996, American Journal of Political Science,Vol. 48, no.3 ,2004,p.46.

السوفيتي، مستغلين سياسة الإصلاح التي اتبعتها غورباتشوف لتحويل الصراع العرقي لصالحهم وبأن تعيد السلطات السوفييتية النظر في سياستها القومية، إذ أتاح مبدأ الغلاسنوست الفرصة للنقاش المفتوح، وطالبت القوميات الاسمية والأقليات في الجمهوريات بالاستقلال الوطني عن موسكو^(١).

رفض باغировوف في خطاب متلفز قرار مجلس السوفييت الإقليمي في شمال شرق ناغورني كاراباخ واستبعد أي تغييرات إقليمية، وفي اليوم نفسه، هاجم الأذريين في شمال الأقليم جيرانهم الأرمن، وجرى إغلاق العديد من الطرق لوقف المظاهرات السلمية وعزل المناطق الأرمنية. وأرسلت حكومة إنريجان مسؤولين من الحزب إلى شمال الأقليم لإخماد المشاركة الشعبية في الحركة، وكان من الأهمية بمكان أن تختار الحكومة الأذرية استراتيجية المعارضة التي عدت التطلعات القومية الأرمنية رجعية وقبلية وشجعت الأمم على البقاء في أماكنها داخل الدول، وعلى هذا النحو، رفضت إنريجان حملة الوحدة التي شنّها الأرمن وحاولت تهدئة حركتهم القومية والسيطرة عليها^(٢).

كما نظم الأذريين في جمهورية ناغورني - كاراباخ مظاهرات للتعبير عن رفضهم لأي تغيير مستقبلي لوضع جمهورية ناغورني - كاراباخ، وقد دحض أياز مطاليبوف (Ayaz.Mutalibov)^(٣)، نائب رئيس مجلس الوزراء الأذري، المزاعم الأرمنية التي حملت

(1) Vahakn Dadrian, The history of the Armenian genocide: ethnic conflict from the Balkans to Anatolia to the Caucasus. New York: Oxford: Berghahn Books, 2003,p.78.

(2) Ibid,p.80.

(3) أياز مطاليبوف (١٩٣٨-٢٠٢٢): سياسي أذربيجاني بارز، شغل منصب أول رئيس الأذربيجان المستقلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكان مهندساً في الأصل قبل دخوله الحياة السياسية في الحزب الشيوعي السوفيتي، تولى مناصب مهمة في الحقبة السوفييتية، منها رئاسة مجلس الوزراء في جمهورية أذربيجان الاشتراكية، وبعد إعلان الاستقلال، أصبح رئيساً لأذربيجان، لكنه واجه تحديات خطيرة أهمها تصاعد النزاع في ناغورني - كاراباخ، سقطت شعبيته بعد مجزرة خوجالي في شباط ١٩٩٢، التي وقعت خلال اشتباكات مع القوات الأرمنية، وحمله كثير من الأذريين المسؤولية السياسية عنها، واستقال بعد ضغط شعبي، ثم حاول العودة للحكم لفترة وجيزة في أيار ١٩٩٢، لكن تم إسقاطه نهائياً عندما استولى حزب الجبهة الشعبية على السلطة بقيادة عباسوف وعبد الله إلبتش، للمزيد ينظر :

السلطات الأذرية المسؤولية عن التخلف الاقتصادي والإهمال في جمهورية ناغورني - كاراباخ، وذكرت مصادر إذرية أن اثنين من الأذريين قُتلا في مظاهرة في يريفان وأن "عمليات الترحيل المنهجية" فُرضت على الأذريين في يريفان وزنجيزور، ومع ذلك، لم تؤكد التقارير الغربية مثل هذه الممارسات^(١).

وفي ٢٢ شباط / ١٩٨٨ وقعت حوادث خطيرة في بلدة أسكيران (Askeran) بالقرب من الحدود الشرقية لجمهورية ناغورني - كاراباخ، وللمرة الأولى عبر آلاف الأذريين من بلدة أعدام إلى بلدة أسكيران الأرمنية المجاورة. ولم تتمكن مفرزة من الشرطة الأذرية والمحلية من إيقافهم بالقرب من أسكيران. ودمر الحشد الغاضب معدات ومركبات المصنع واشتبك مع السكان الأرمن في أسكيران. فضلاً عن مقتل إذريين اثنين، وأصيب (٢٥) آخرون من الجانبين، وجرى استدعاء مفرزة من الجيش السوفييتي لوقف الاشتباكات والحفاظ على النظام، وبدى أن الكراهية القديمة التي لم تعالج، فضلاً عن تسييس العرقية في عامي (١٩٨٧ و ١٩٨٨م)، أصبحت عاملين محفزين للصراع في جمهورية ناغورني - كاراباخ، كما أن المشاعر المعادية للأرمن تعود إلى أوائل القرن العشرين عندما احتل الأرمن في باكو وتبليسي مناصب اقتصادية وسياسية رئيسية وحافظوا على دور مهيمن في كلا المجتمعين، وفي عام ١٩٨٨م، تسبب مطالبة الأرمن بإقليم ناغورني - كاراباخ في إثارة المخاوف وإيواء الأذريين لاستياء عميق تجاه الأرمن، الذين تمتعوا بمزايا اجتماعية واقتصادية غير عادلة لهم^(٢).

ثالثاً: التدخل الروسي في صراع ناغورني - كاراباخ عام ١٩٨٨م

وفي ٢٣ / شباط عام ١٩٨٨، وبعد أن أثار حجم المظاهرات في يريفان وإقليم كاراباخ قلق موسكو، اتخذت إجراءً بإقالة كييفوركوف من منصبه وتعيين هنريك بوغوسيان (Genrikh

Emil Aslan Souleimanov, The South Caucasus 2021: Oil, Democracy and Geopolitics, Central European University Press, 2021.p.16-19.

(1) Fearon James and David Laitin. Ethnicity, Insurgency, and Civil War, American Political Science Review, Issue 01, 2003,p.78.

(2) Rogers Brubaker, and David Laitin, Ethnic and Nationalist Violence, Annual Review of Sociology, Vol. 24, 1998,p.244.

(Poghosyan)^(١) رئيساً لحزب كاراباخ، إلا ان الأخير قد خيب آمال موسكو فيما بعد عندما تبنى مطالب الأرمن في كاراباخ وأصبح متحدثاً شعبياً باسم تطلعاتهم^(٢)، وقد جرى فصل كييفوركوف؛ بسبب عجزه عن وقف حركة كاراباخ واستعادة الانضباط الحزبي في المنطقة، إذ كانت موسكو تأمل أن يحقق بوغوسيان رغباتها، ولاسيما بسحق الحركة القومية واستعادة هيمنة الحزب في كاراباخ^(٣)، ويمكن اعتبار الإجراء الذي اتخذته موسكو بمثابة تنازل قدمته لتهدة الأرمن، ولكن المظاهرات استمرت بوصفها فرصاً سياسية للتعبئة الوطنية من أجل الحصول على الحريات الثقافية والاقتصادية^(٤).

وفي غضون ذلك، رفض المكتب السياسي في موسكو في الحادي والعشرين من شباط الطلب الأرمني بضم ناغورني - كاراباخ إلى جمهورية أرمينيا السوفييتية الاشتراكية، وقد خيب الموقف الرسمي لموسكو آمال الأرمن، الذين كانت لديهم آمال كبيرة في إصلاحات غورباتشوف، وبعد فحص الوضع في ناغورني - كاراباخ، وقرر الحزب الشيوعي السوفييتي أن الأفعال والمطالب الموجهة إلى مراجعة البنية الوطنية والإقليمية القائمة تتناقض مع مصالح العمال في إذربيجان وأرمينيا السوفييتية وتضر بالعلاقات بين الأعراق، وأظهر هذا الإعلان أن المركز لم

(١) هنريك اندريه بوغوسيان، (١٩٣١-٢٠٠٠): سياسي و دبلوماسي روسي، نائب أمين لجنة الحزب الشيوعي السوفييتي لمنطقة ناغورني - كاراباخ المتمتعة بالحكم الذاتي حتى عام ١٩٨٨م، عرف بتقاربه الشديد مع المجتمع الأرمني و دعم الحملة من أجل الوحدة مع أرمينيا، احتفظ بمنصبه بمنصبه كسكرتير حتى تم إلغاء الإقليم المتمتع بالحكم الذاتي في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩١، وفي ذلك الوقت تم إعلان جمهورية كاراباخ الجبلية قبل شهرين وتحولت حرب كاراباخ الجبلية الأولى إلى حرب شاملة، للمزيد ينظر:

Carrère d'Encausse, Hélène, The end of the Soviet empire : the triumph of the nations, New York : BasicBooks, New York, 1993, p.141.

(2) Stephen Cornell, and Douglas Hartmann, Ethnicity and Race: Making Identities in a Changing World, Op.Cit, p.122.

(3) CIA Domestic Policy Division Senior Leadership – July 1988 Warning Report, covering mass protests in Stepanakert – CIA-RDP91B00776R000400110016-9 – Jul 1988.

(4) Ibid, p.125.

يكن مستعداً لإعادة النظر في مسألة القوميات الموروثة من القيادة السابقة^(١)، ويمكن النظر إلى الموقف الرسمي لموسكو في سياق استراتيجية الدولة المتمثلة في "الإنكار البسيط أو النفور البسيط من النظرة" التي رفضت الاعتراف بوجود مشاكل حقيقية تتعلق بالمطالبات القومية بالسيادة من أجل عدم تعريض السلامة السياسية للإمبراطورية السوفييتية المتعددة الأعراق للخطر، فضلاً عن ذلك، دعت موسكو الحزبين الشيوعيين الأرمني والأذري إلى استعادة الانضباط وتطبيع الوضع، ومع ذلك، أعقب رفض المكتب السياسي المزيد من المظاهرات والدعوات إلى الإضرابات العمالية في أرمينيا وجمهورية شمال أذربيجان للضغط على موسكو^(٢).

ولتخفيف التوترات العرقية في شمال إذربيجان، أرسلت موسكو قوات حفظ سلام إلى ستيباناكيرت، وفي خطوة موازية في السادس والعشرين من شباط ١٩٨٨م، التقى عضوان من مجلس الحكماء زوري بالايان (Zori.Balayan) وسيلفا كابوتيكيان (Silva kaputikian)^(٣)، بغورباتشوف في موسكو. الذي أشار بشكل غير مباشر إلى بالايان وكابوتيكيان أنه يتعين عليهما النظر في التهديدات الأمنية المحتملة للأرمن الذين يعيشون في باكو، وطلب منهما وقف المظاهرات لمدة شهر حتى تنتظر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في الأمر، وبعد عودتهما إلى يريفان، التقى كل من بالايان وكابوتيكيان بالحشد المتجمع في ساحة الأوبرا وأمر المتظاهرين بالتفرق، مما أعطى المكتب السياسي السوفيتي الفرصة لمناقشة مسألة ناغورني - كاراباخ، وأعلن موراديان،

(1) Brubaker Rogers. Ethnicity without groups, European Journal of Sociology. Vol.43, no.2,2002, P.78.

(2) Brubaker Rogers, Op. Cit, p.80.

(٣) سيلفا كابوتيكيان (١٩١٩-٢٠٠٦): شاعرة وكاتبة وناشطة أرمينية مؤثرة، اشتهرت بدفاعها الشغوف عن الهوية الثقافية والوطنية الأرمينية، ولدت في يريفان، ونشأت في وقت كانت فيه أرمينيا جمهورية سوفييتية، وغالبا ما عكس عملها حسها العميق بالتاريخ الأرمني وقد حظيت كتاباتها بتقدير واسع النطاق، وحصلت على العديد من الجوائز والتقدير في أرمينيا وعلى الصعيد الدولي، أصبحت شخصية ثقافية بارزة واستخدمت صوتها لمعالجة القضايا السياسية، والدعوة إلى حقوق الأرمن وسيادتهم، وخاصة فيما يتعلق بالإبادة الجماعية للأرمن والإبادة الجماعية الأرمينية، للمزيد ينظر:

Anton Bebler, Frozen conflicts in Europe, France and Taylor, New York, 2015, p.146.

الذي اقترح أيضًا تعليق المظاهرات لمدة من الوقت، أن المظاهرة التالية ستُعقد في ٢٦ / آذار^(١).

ومن أجل تخفيف التوترات العرقية، أرسل المكتب السياسي ممثليه إلى أرمينيا وإذربيجان للقاء اللجنة المركزية الشيوعية في كلتا الجمهوريتين، وعلى هذا النحو، التقى بيوتر ديميتشيف (Pyotr.Demichev)^(٢)، وجورجي رازوموفسكي (Georgy.Razumovsky)^(٣)، بسلطات باكو، كما التقى أناتولي لوكيانوف (Anatoly.Lukyanov)^(٤)، وفلاديمير دولجيخ (Vladimir Dolgikh) بسلطات يريفان، وقد تم إرسالهم لتهدئة الموقف المتوتر ونقل رسالة واضحة حول رفض موسكو إعادة رسم الحدود الوطنية والإقليمية لأن أي انتهاك لهذا المبدأ من شأنه أن يؤدي إلى سلسلة من الصراعات العنيفة. وعلى الرغم من عقد اجتماعات مع القيادات

(1) Larry Diamond, and Marc Plattner, Electoral systems and democracy, Johns Hopkins University Press, 2006,P.35.

(2) بيوتر ديميتشيف (١٩١٨ - ٢٠١٠) : سياسي ودبلوماسي روسي، كان النائب الأول لرئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى من عام ١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٨ ووزير الثقافة من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٨٦، كان عضوًا نائبًا في المكتب السياسي من عام ١٩٦٤ حتى تقاعده في عام ١٩٨٨، ويُعتبر ذو توجهات أيديولوجية حيث اتسم بالقليل من التعاطف مع الحركات الليبرالية داخل الاتحاد السوفيتي، للمزيد ينظر:

George Downs, and David Rocke , Conflict, Agency, and Gambling for Resurrection: The Principal-Agent Problem Goes to War, American Journal of Political Science, Vol.8, Issue 2 ,1994,p.61.

(3) وجورجي رازوموفسكي (1934-2019): سياسي ودبلوماسي روسي، يعد من اقرب الشخصيات إلى غورباتشوف، شغل منصب السكرتير الأول للجنة الإقليمية في كراسوندار (١٩٨٣-١٩٨٥)، ثم رئيس اللجنة المركزية لبناء الكوادر وتنظيم الحزب الشيوعي عام ١٩٩٠، للمزيد ينظر:

Oles slomansky,Regional power rivalries in the new Eurasia : Russia, Turkey, and Iran, Publisher,Armonk M.E. Sharpe,New York, 1995,p.101.

(4) أناتولي إيفانوفيتش لوكيانوف (١٩٣٠-٢٠١٩): سياسي شيوعي سوفيتي بارز، درس القانون في جامعة موسكو إلى جانب ميخائيل غورباتشوف، وتسلق المناصب داخل الحزب، ساعد في صياغة دستور ١٩٧٧، وشغل منصب رئيس السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠، تم اعتقاله مؤقتاً بعد محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٩١، لاحقاً شارك في تأسيس الحزب الشيوعي للاتحاد الروسي، للمزيد ينظر:

Laurence Broers, Armenia and Azerbaijan: Anatomy of a Rivalry, Edinburgh University Press, 2019,p.167.

الشيوعية في الجمهوريتين، وكذلك مع أعضاء لجنة كاراباخ في يريفان، فشل المبعوثون من موسكو في إنجاز أي شيء جدي^(١).

ولقد اشتمت لجنة كاراباخ من "قلة التغطية الإعلامية السوفييتية وانحيازها" للأحداث في أرمينيا وناغورني - كاراباخ، في حين انحازت الحكومة الشيوعية الأرمينية إلى موسكو في انتقاد لجنة كاراباخ، وفي ٢٦/ شباط، قرأ دولجيك في أرمينيا ورازوموفسكي في إنزبريجان أول خطاب ألقاه غورباتشوف أمام حشود المتظاهرين في يريفان وباكوف عبر التلفزيون والإذاعة، وحث غورباتشوف المتظاهرين على "العودة إلى الحياة الطبيعية والعمل، واحترام النظام الاجتماعي"، كما حذر من "قوة العفوية والعاطفة". ومع ذلك، أعرب عن أمله في أن يعمل الحزب الشيوعي السوفييتي على تحسين الظروف في ناغورني - كاراباخ، ولم تسفر الجهود الدبلوماسية التي بذلتها موسكو في باكوف ويريفان عن نتائج إيجابية، ويرجع هذا جزئياً إلى الافتقار إلى الإجماع داخل المكتب السياسي نفسه. وقد أيد غورباتشوف اقتراح إدوارد شيفرنادزه بمنح ناغورني - كاراباخ وضع جمهورية مستقلة كوسيلة لحل الصراع، ومع ذلك، استبعد ليغاشيف أي تغيير في وضع ناغورني - كاراباخ واقترح بدلاً من ذلك موقفاً متشدداً بشأن المطالب الأرمينية. ووفقاً للبيانات التي جمعتها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية^(٢).

لعب ليغاشيف "دوراً رئيسياً في صياغة قرار اللجنة المركزية، في الواحد والعشرين من شباط عام ١٩٨٨، والذي وصف المطالبات الأرمينية بأنها متطرفة، ونظراً لافتقار المكتب السياسي إلى الإجماع بشأن مشكلة ناغورني - كاراباخ^(٣)، وأصبحت سياسات غورباتشوف اللاحقة لإدارة المشكلة بدلاً من حلها حتمية، وقد كلف الحزب الشيوعي السوفييتي معهد الدراسات الشرقية في موسكو بدراسة الصراع ودراسة المطالب الأرمينية، واقترح المعهد توصيات قد تساعد في إيجاد حل، وفي أواخر شباط اقترح المعهد: إن اللجنة التي تم تعيينها للتحقيق في

(1) William C.Bodie, Anarchy and Cold War in Moscow's 'Near Abroad', Strategic Review, Vol. 21, NO.(1): 1993, pp.48-49.

(2) Steven Grosby, The verdict of history: The inextinguishable tie of primordiality – a response to Eller and Coughlan, Ethnic and Racial Studies, Vol. 17, No. 1, 1994, p.101

(3) Ibid, p.102.

قضية كاراباخ لا بد وأن تعمل على تأخير التوصل إلى أي حل نهائي قدر الإمكان. إن توحيد كاراباخ مع أرمينيا لم يكن مرغوباً فيه، وكان من المهم تهدئة السكان من خلال تقديم تنازلات في المجال الثقافي والاجتماعي وفي مجال الحياة اليومية ^(١).

كشفت القرارات التي اتخذتها السلطات السوفيتية عن سياسة "متوازنة بمهارة بين الجانبين" لإغلاق قضية مشكلة القوميات وتجاهل كل المطالب المتعلقة بإعادة رسم الحدود، والتي كانت في صميم الصراع، ولعل موسكو كانت تتوقع المزيد من التدهور والصراع العرقي قبل أن تتمكن من اللجوء إلى الخيار العسكري وإعادة فرض السيطرة الكاملة على الجمهوريتين، وهو الحل التقليدي القائم على مبدأ "فرق تسد"، وحاول غورباتشوف أن يظل محايداً فيما يتصل بالصراع بين ناغورني - كاراباخ، وامتنع عن تفضيل أي طرف، بل إنه قلل من شأن خطورة الاشتباكات المبكرة بين الأرمن والأذريين واعتبرها مجرد حوادث ثانوية. ^(٢) وكان يعتقد أن الحل السياسي لمشكلة ناغورني - كاراباخ لا بد وأن يتم من خلال معالجة مظالم الأرمن مع الإبقاء على الحدود الجمهورية كما هي، ومن المفترض أنه كان يعتقد أن توحيد ناغورني - كاراباخ مع أرمينيا من شأنه أن يعزز من الاستئثار الوطني الذي قد يؤدي بالتالي إلى المزيد من الاضطرابات الوطنية، كما رفض الاعتراف بإخفاقاته وعدّ أن موقفه سوف ينجح في تعميق البيريسترويكا والglasnost ^(٣).

ومع تصاعد الأزمة، اندلعت أول مذبحة مناهضة للأرمن في ٢٨ و ٢٩ / شباط في مدينة سومغايت (Sumgait) الأذرية ^(٤)، ووفقاً للإحصاءات الرسمية، فقد أودت المذبحة بحياة اثنان

(1) Quoted in: Farid Guliyev, Oil Wealth, Patrimonialism, and the Failure of Democracy in Azerbaijan, Caucasus Analytical Digest, No. 2, 2009, pp.169-170.

(2) Jonathan Goodhand, From wars to complex political emergencies: Understanding conflict and peace-building in the new world disorder. Third World Quarterly, Vol.20, Issue 1, 1999, p.422.

(3) R. G. Gidadhubli, Perestroika and Glasnost, Published By: Economic and Political Weekly, pp. ١٣-٢٦.

(٤) كانت مذبحة سومغايت واحدة من أهم الماسي في تصاعد الصراع العرقي بين الأرمن والأذريين في ذلك الوقت بدأت المذبحة في ٢٨ / شباط ١٩٨٨ واستمرت لأيام عدة ، حيث قامت مجموعات من = الأذريين بمهاجمة السكان الأرمن في المدينة، مما أسفر عن عدد كبير من الضحايا والإصابات في

الفصل الثاني

وثلاثون شخصاً، فضلاً عن جرح المئات معظمهم من الأرمن، وتطورت أحداث العنف عندما اجتذبت مسيرة في ميدان لينين في سومغايت آلاف الأرمن من أجل الوحدة مع أرمينيا، وقد حاول المؤرخ باختيار باجاب زاده تهدئة الحشود إلا أنه تم إسكاته، وألقى ممثلون ونشطاء قوميون إزيون خطابات تحريضية ألقوا فيها باللوم على الأرمن "لنقل قضية ناغورني - كاراباخ إلى الشوارع ولارتكاب جرائم ضد الأذريين في أرمينيا، وقد أدت هذه الانتقادات إلى تأجيج الدعوات للانتقام من الأرمن (١).

بين هذا المبحث أن عام ١٩٨٨ مثّل لحظة حاسمة في مسار القضية، إذ تحولت المطالبات الأرمنية بإلحاق الإقليم بأرمينيا إلى حركة احتجاجات شعبية واسعة، وجاء الرد الأذري سريعاً وعنيفاً، مما ساهم في تصعيد الأزمة وإخراجها من إطارها المحلي إلى ساحة الصراع السياسي المفتوح، هذه التطورات تمهد لفهم التداعيات التي حصلت لاحقاً على مستوى القرار السوفيتي والمواقف الرسمية، وهو ما يناقشه المبحث التالي.

=صفوف الأرمن، بالإضافة إلى تدمير واسع للممتلكات، وفي أعقاب المذبحة، أدانت القيادة السوفيتية العنف علناً، وشرعت في اتخاذ إجراءات قانونية ضد بعض المتورطين. ومع ذلك، أثبتت هذه الإجراءات عدم كفايتها لتهدئة الكراهية المتزايدة وعدم الاستقرار في المنطقة، مما ساهم في تأجيج مزيد من الاضطرابات والصراع، للمزيد ينظر:

Rachel Seher, What role does prejudice play in ethnic conflict, Annual Review of Political Science, Vol.6, 2003, p.664.

(1) Jonathan Goodhand, Op.Cit, p.424.

المبحث الثاني

سياسة موسكو تجاه القومية الأرمنية

أولاً: العجز السوفيتي في حل الصراع الارمني -الأذري

خصص الكرملين حزمة إصلاحات اقتصادية وثقافية بقيمة ٤٠٠ مليون روبل لإقليم ناغورني-كاراباخ، وكان من المقرر استخدام هذا المبلغ لزيادة الناتج الصناعي، وتحسين الإسكان وبناء المدارس، وتعزيز التعليم باللغة الأرمنية، وبناء شبكة جديدة من الطرق، ولاسيما بين ستياناكيرت وأرمينيا عبر زانجيزور. إلا إن أرمن ناغورني-كاراباخ انتقدوا القرار لسببين. أولاً، كان من المشكوك فيه ما إذا كانت الميزانية السوفيتية ستسمح بالفعل بتوفير الأموال، إذ لم تكن مشاكل الميزانية السوفيتية سرّاً وثانياً، كان من المقرر أن يمر تمويل موسكو عبر الحكومة في باكو والتي اعتقدت أن ناغورني-كاراباخ ستظل جزءاً من إذربيجان^(١)، ومن المهم ملاحظة أن الحركة القومية الأرمنية في أرمينيا التي كانت قيادتها متعاطفة في البداية مع غورباتشوف، أصيبت بالإحباط بعد قرار هيئة الرئاسة وحشدت المشاعر القومية الأرمنية ضد الأمة الأذرية المهيمنة. ومن الواضح أن الحركة القومية الأرمنية أصبحت أكثر عرقية لأن موسكو لم تكن راغبة في سن سياسات تتوافق مع المطالب القوية بالوحدة. لقد قلل غورباتشوف وإدارته من تقدير قوة المشاعر القومية الأرمنية وبالتأكيد لم يتوقعوا كيف أن الإصلاح سوف يحفز القومية بشكل أكبر^(٢)، وقد أسهم التعامل مع الصراع بين أرمينيا وإذربيجان في وسائل الإعلام السوفيتية في خلق حالة من التمرد في الجمهوريتين، فقد وصفت الصحافة السوفيتية، التي عكست آراء زعامة غورباتشوف، مقاتلي كاراباخ بأنهم متطرفون قوميون انتهازيون، وعملاء للقوى الأجنبية، وقوى معادية للبيريسترويكا، كما زعمت الصحافة أن المظاهرات في يريفان كانت من تدبير أعداء

(1) Geysar Gurbanov, Nagorno-Karabakh Conflict: The Golden Apple of Discord or a Toy That, Two Have Failed to Share, Europe's Next Avoidable War: Nagorno-Karabakh. Ed., Michael Kambeck, Sargis Ghazaryan. New York: Palgrave Macmillan, 2013, p.180.

(2) Ibid, p.181.

الفصل الثاني

خارجيين، ولعل غورباتشوف كان يقصد الشتات الأرمني القوي بوصفه المنظم الخارجي للحركة القومية، ولو أنه كان من الصعب إنكار الدعم المالي والأخلاقي الذي قدمه الشتات لقضية كاراباخ^(١).

أصبحت استراتيجية موسكو أكثر وضوحاً عندما زحف الجيش السوفييتي في 22/إذار، بناقلات جنود مدرعة، إلى يريفان لوقف المظاهرات المقررة في 26/إذار وإنقاذ الاتحاد السوفييتي من الانهيار المحتمل، وفي نفس اليوم حظر المجلس الأعلى الأرمني لجنة كاراباخ، وفي خطوة مماثلة، حلت السلطات الأذرية لجنة كرونك التابعة لحزب كاراباخ، وحظرت المظاهرات في كل من أرمينيا وإذربيجان حتى إشعار آخر، ومع مذبحه سومغايت، واللاجئين في أرمينيا وإذربيجان، ونشر الجيش السوفييتي في شوارع يريفان، دخلت حركة كاراباخ مرحلة جديدة باستراتيجية جديدة^(٢).

ويمكن القول أن موسكو أهدرت فرصة مناسبة لحل الصراع بين كاراباخ وأرمينيا، ولو استجابت موسكو لمطالب الوحدة الأرمينية بترقية وضع كاراباخ من منطقة تتمتع بالحكم الذاتي إلى جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي داخل إذربيجان، لكان من الممكن منع العنف القومي، إذ أنه في المرحلة الأولية من حركة كاراباخ القومية، لم تكن هناك مطالب أرمينية بمنح السيادة الكاملة لأرمينيا أو استقلالها عن الاتحاد السوفييتي، ومن الواضح أن الأرمن في كاراباخ ربما كانوا ليرضوا بالحكم الذاتي الإداري الحقيقي، بما في ذلك الحريات الثقافية والاقتصادية الكاملة، وعلى هذا فإن كاراباخ كانت لتظل مرتبطة بإذربيجان، وتحافظ على سلامة أراضيها، وتلبي المطالب الأرمينية على بأقل تكلفة سياسية.

استأنفت لجنة كاراباخ في ١٧/ أيار ١٩٨٨م نشاطها العام في أرمينيا بتحدي الحظر المفروض على المظاهرات. وأظهر موراديان ورفاقه الثقة والهدوء غير المتمايز في ساحة الأوبرا وحتى عندما فرضت قوات وزارة الداخلية السوفييتية حظر التجول ومنعت المظاهرات، ولم يكتف الناشطون القوميون، الذين اعتلوا المنصة في ساحة الأوبرا في يريفان بالحديث عن القضايا

(1) Michael Croissant, Op.Cit,p.64.

(2) Alain Deletroz, Nagorny Karabakh: Put' k Miru Lezhit Cherez Referendum, International Crisis Group, 31 October 2005, p.26.

الداخلية فحسب، بل تناولوا أيضاً الموضوعات السياسية المتعلقة بالتمثيل الشعبي في المؤتمر ١٩ للحزب الشيوعي السوفييتي القادم في حزيران، فضلاً عن الديمقراطية والإصلاح في أرمينيا كما في أماكن أخرى من الاتحاد السوفييتي^(١)، وأصبح من الواضح أن تسييس الحركة الداخلية قد استلزم إدراج قضايا أوسع نطاقاً على جدول أعمالها بدلاً من مجرد قضايا الداخل وتوحيد ناغورني- كاراباخ مع أرمينيا، والتي كانت مهيمنة في شهري شباط وإذار، واقترح فاسكين مانوكيان، وهو ناشط قومي بارز شجعت سياسه البيريسترويك والغلاسنوست، تشكيل لجنة كاراباخ ذات القاعدة العريضة لقيادة الحركة القومية في أرمينيا، كانت نقطة التحول في لجنة كاراباخ عندما بدأت في توجيه السكان المسيحيين حديثاً بعيداً عن المواجهة مع قوات الأمن السوفييتية من أجل تحقيق مجموعة أوسع من الأهداف السياسية، كانت الحركة التي كانت في البداية داخلية في الشكل أصبحت قومية في المحتوى^(٢)، وبدا الأمر وكأن قيادة جديدة للمعارضة القومية الأرمنية كانت في طور الظهور، عندما أجريت مقابلة مع مانوكيان، الذي أكد على: "نحن، الناشطين القوميين، يجب أن نستفيد من التحول السياسي في الاتحاد السوفييتي وأن نكون مستعدين للانخراط في السياسة لإضفاء الطابع الديمقراطي على أرمينيا وإيجاد حل للصراع في ناغورني- كاراباخ، يجب علينا أن نغير استراتيجية الحركة القومية"^(٣).

شهدت المدة التي أعقبت شهر تموز مزيداً من إضفاء الطابع المؤسسي على لجنة كاراباخ. فقد أدرك أعضاؤها أنهم ذهبوا إلى أقصى حد ممكن في إطار الدستور السوفييتي. وكان دفع هذه القضية إلى أبعد من ذلك يعني المواجهة مع السلطات الشيوعية المحلية وقوات وزارة الداخلية السوفييتية في أرمينيا، وكان الخيار الوحيد هو توجيه القضية نحو مجموعة أوسع من الأهداف السياسية، وربما الدخول في ساحة

(1) Thomas De Waal, Op.Cit,p.267.

(2) Liz Fuller,Armenian President Meets with EU Commissioner. Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines 9(199)، 21 October,2005.

(3) Yale H. Furguson, and Richard W. Mansbach, The Elusive Quest Continues: Theory and Global Politics. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall,2003,p.78.

الفصل الثاني

السياسة الداخلية والتحول إلى المعارضة السياسية الرسمية، والواقع أن الحركة القومية كانت تمثل دوماً بالنسبة للأعضاء ذوي التوجهات السياسية في لجنة كاراباخ، مثل مانوكيان، أكثر كثيراً من قضايا البيئة والوحدة. صحيح أن لجنة كاراباخ تبنت استراتيجية طويلة الأجل لإنشاء روابط ثقافية واقتصادية مع جمهورية كاراباخ، إلا أن النهضة الوطنية في أرمينيا قد استلزمت على نحو متزايد تشكيل معارضة سياسية للشيوخيين الحاكمين^(١).

ونتيجة لذلك، تحولت لجنة كاراباخ في الثامن من آب إلى حركة قومية أرمينية^(٢)، وقد بلور برنامجها رؤية الحركة الديمقراطية الأرمينية وحدد دورها السياسي في الجمهورية. وفي نهجها وتنظيمها، أشار القائمون على حركة القوميين الأرمن أنه من أهداف الحركة الجديدة تنظيم المسيرات والإضرابات، والمشاركة في الانتخابات وشن الحملات من أجل تغيير دستور أرمينيا وبنيتها القانونية. كما دعت الحركة الأرمن إلى استعادة الحقوق الوطنية والرموز التي قمعها الحكم السوفييتي، وإقامة علاقات مع الشتات الأرميني، والدعم الرسمي الأرميني والسوفييتي للحصول على اعتراف الأمم المتحدة بالإبادة الجماعية التي وقعت عام ١٩١٥م، وإعلان يومي ٢٤ نيسان و ٢٨ أيار عيدين وطنيين، وإيلاء اهتمام أكبر لقضية الأراضي الأرمينية التاريخية، وقبول العلم ثلاثي الألوان لجمهورية أرمينيا في المدة مابين (١٩١٨ - ١٩٢٠م) كرمز وطني، وتوسيع نطاق الحرية للكنيسة الأرمينية واستعادة أسماء الأماكن الأرمينية، كما شدد برنامج الحركة الوطنية الأرمينية على الصحة الوطنية، التي كانت حاسمة لحملة الوحدة. وشملت الأهداف القصيرة الأجل لمنصة الحركة الوطنية الأرمينية إثارة المخاوف الداخلية والحث على إغلاق محطة الطاقة النووية في ميدزامور (Metsamor) ومصنع نايريت (Nayreat) للكيمياويات^(٣).

(1) James E. Dougherty ,and Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations. New York: Harper Collins Publishers,1990,pp,41-42.

(2) Robert O. Freedman, Russia and Iran: A Tactical Alliance, SAIS Review Vol.17,No.2,1997,pp.46-58.

(3) James E. Dougherty, and Robert L. Pfaltzgraff,Op.Cit,p.47.

رأت المخابرات السوفييتية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بأن برنامج حركة القوميين الوطنيين الأرمنيين قد وفرت الأساس للنشاط المناهض للسوفييت^(١) من خلال التأكيد على أن السلطات المحلية لا بد أن تخدم المصالح الوطنية، كما أن برامج الحركة الوطنية قد عرضت استقرار جمهورية أرمينيا السوفييتية الاشتراكية للخطر من خلال الدعوة إلى المظاهرات والإضرابات، فضلاً عن ذلك، فإن طرح ذكرى ٢٨/ أيار ١٩١٨م كعيد وطني هو تحد سافر ودعوة إلى إحياء الوعي التاريخي بالجمهورية "البرجوازية" الأرمنية في عام ١٩١٨م^(٢)، كما ذكرت المخابرات السوفييتية أن حركة القوميين الوطنيين الأرمنية قد أقامت بالفعل علاقات مع الجبهات الشعبية في جمهوريات البلطيق، وحاولت إنشاء مؤسسات موازية للجمهوريات التي يسيطر عليها الشيوعيون، كما حشدت حركة القوميين الوطنيين الشعب على أسس وطنية، وهو الأمر الذي قد يهدد العلاقات الوطنية بين شعوب الاتحاد السوفييتي، فضلاً عن ذلك، كانت حركة القوميين الوطنيين، على غرار النموذج الإستوني، توجه نضالها نحو الوصول إلى السلطة السياسية، وعلى هذا فقد اقترحت المخابرات السوفييتية:^(٣)

^(١) من المنظور السوفييتي، لم تُعد هذه الطموحات القومية مجرد شؤون داخلية؛ بل كانت تُرى على أنها متأثرة بقوى خارجية، وتجسيدا لنزعة مناهضة للسوفيت، حيث اعربت المخابرات السوفييتية عن قلقها من أن تؤدي هذه الحركة إلى تأجيج التوترات العرقية وتشجيع المجموعات القومية الأخرى داخل الاتحاد السوفييتي، مما يهدد بتفكك الاتحاد السوفييتي. ورداً على ذلك، كثفت الحكومة السوفييتية ووكالة الاستخبارات إجراءاتها الرقابية والقمعية ضد قادة وناشطي القومية الأرمنية و شمل ذلك مراقبة التجمعات العامة، والتحكم في سرديّة الإعلام، وفي بعض الأحيان، واعتقال الناشطين. من خلال اعتبار القومية الأرمنية نشاطاً مناهضاً للسوفيت، كما سعت السلطات السوفييتية إلى نزع الشرعية عن الحركة ومنعها من كسب مزيد من الدعم محلياً ودولياً، وقد سلط هذا النهج الضوء على السياسة السوفييتية الأوسع في قمع الحركات القومية للحفاظ على سيطرتها على أراضيها المتنوعة متعددة الأعراق، للمزيد ينظر:

James DeTemple, Military Engagement in the South Caucasus, Joint Force Quarterly magazine, Vol.51, 2001, pp.65-66.

⁽²⁾ Black, J.L. Vladimir Putin and the New World Order: Looking East, Looking West. Lanham, MD: Rowman and Littlefield Publisher 2004, p.97.

⁽³⁾ Allison Roy, Russia and the New States of Eurasia, In Contemporary Russian Politics, ed. Archie Brown, Oxford; New York: Oxford University Press, 2001, p.99.

الفصل الثاني

١. إنشاء مجموعة من الأكاديميين والمؤرخين لموازنة النشاط الوطني للحركة الوطنية.
 ٢. استخدام وسائل الإعلام والصحافة لتشويه سمعة الحركة، وتنظيم مسيرات مماثلة لإضعاف الحركة الشعبية.
 ٣. انتقاد برنامج الحركة القومية الأرمنية في اللجان الفرعية والجماعات الحزبية.
 ٤. إنشاء منظمة مماثلة تحت سيطرة الحزب الشيوعي، والتي تقتصر مهمتها على تعزيز البيريسترويكا والإصلاح ودراسة المشاكل الداخلية.^(١)
- في ١٨ / أيلول، ١٩٨٨ اندلعت موجة أخرى من الاشتباكات العرقية في إقليم كاراباخ، وهذه المرة في مدينة كوجالي (Khojaly)، التي يسكنها إذريون، واشتد المناخ السياسي مع زعم الأرمن أن وصول أعداد كبيرة من اللاجئين الأذريين من أرمينيا إلى شوشي (Shoshi) من شأنه أن يغير التوازن الديموغرافي، وطالب الأرمن بإجلاء هؤلاء اللاجئين إلى إذربيجان، إلا أن الأرمن اتبعوا استراتيجية مماثلة بدعوة مئات اللاجئين الأرمن من إذربيجان إلى ستيباناكيرت^(٢)، ومن ثم، وفي ظل مناخ من التوترات المتزايدة، اندلعت أعمال عنف في كوجالي، مما أسفر عن مقتل ٣٣ أرمينيا و ١٦ إذربيا، وخوفاً من انتشار العنف إلى قرى أخرى، أعلنت السلطات السوفييتية في المنطقة حالة الطوارئ وحظرت المظاهرات وفرضت حظر التجول^(٣).

نظر الأذريين إلى حوادث كوجالي بجدية أكبر^(٤) ومرة أخرى، خيم شعور بالضعف على سكان القرى المختلطة في شمال كاراباخ، ولعل العنف العرقي في كوجالي قدم انموذجاً لكيفية اندلاع حرب عرقية في شمال كاراباخ، فقد هرع الأرمن والأذريين من القرى المجاورة لإنقاذ

⁽¹⁾Allison Roy, Op. Cit,p.101.

⁽²⁾ Central Intelligence Agency, Azerbaijan and Armenia: Rising Tensions in the South Caucasus. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150003-1. Published October 10, 1988

⁽³⁾David Abel, Turkey Poised to Play a Greater Role in Europe, Defense Week 0273-3188, 15 November,1999,pp.66-68.

⁽⁴⁾ Robert H. Donaldson, and Joseph L. Noguee, The Foreign Policy of Russia: Changing Systems, Enduring Interests, Armonk, New York; London: M.E. Sharpe,2002,p.188.

الفصل الثاني

مواطنيهم. ولقد حولت حادثة كوجالي، مثل مذبحه سومغايت، الصراع بين شمال كاراباخ وإذربيجان إلى عداوة عرقية، وأصبح من المشكوك فيه ما إذا كان من الممكن التعامل مع حملة حركة القوميين الأرمن في كاراباخ في إطار الدستور فقط^(١).

وفي أوائل كانون الأول ١٩٨٨م، أشارت وسائل الإعلام السوفييتية إلى أن الزعماء الشعبيين سوف يُعتقلون ويحاسبون على إثارة العنف، وبدا الأمر وكأن موسكو كانت تخطط لقمع الفوضى في الجمهوريتين وقطع رأس حركة كاراباخ، وفي نهاية المطاف، اعتقلت موسكو بعض نشطاء لجنة كرونك في جمهورية كاراباخ، ولم يكن الوضع أفضل في يريفان، إذ دعا زعماء حركة القوميين الأتراك، الذين تلقوا التهديدات، العمال إلى تعليق إضرابهم حتى إشعار آخر من أجل تجنب أي مواجهة مع وزارة الداخلية السوفييتية، التي انتقلت إلى مواقع في يريفان، وفرضت حظر التجول في يريفان وباكو وكيروفاباد ونخيشيفان لمنع التجمعات المناهضة للسوفييت^(٢).

أدت الاشتباكات العرقية أيضاً إلى نشوء مشكلة لاجئين دائمة ومأساوية، فمن خلال الاستخدام الاستراتيجي للعنف، تمكن القوميون العرقيون من تحقيق بعض أهدافهم، ولكن هذا حدث على حساب إجمالي السكان على الجانبين، الذين دفعوا ثمناً باهظاً للغاية في العادة، وعلى هذا فقد أفاد المسؤولون في الجمهوريتين أن عدد اللاجئين الأرمن الذين غادروا إذربيجان بلغ (٣٠.٩٠٧)، في حين بلغ عدد اللاجئين الأذربيجانيين الذين غادروا أرمينيا (٥٥.٠٠٠)، وبدأ أن قلة قليلة من أي من المجموعتين كانت حريصة على العودة في أي وقت قريب، وبدلاً من ذلك، وبحلول نهاية كانون الأول ١٩٨٨م، كانت أغلبية الأرمن الذين بلغ عددهم نحو (٣٠٠.٠٠٠) لاجئ قد غادروا إذربيجان^(٣).

(1) Jim Bodgener, Central Asia: Turkey's Balancing Act, Middle East Economic Digest, Vol. 36, No. 11, 20 March, 1992, p. 85.

(2) Michael Sturmer & Blackwill, Robert D. Allies Divided: Transatlantic Policies for the Greater Middle East, Cambridge, MA: MIT Press, 1997, p. 24.

(3) Peter Balakian, The Burning Tigris: The Armenian Genocide and America's Response. New York: HarperCollins, 2003, p. 189.

مع وصول سياسة البيريسترويكا التي انتهجها غورباتشوف إلى مرحلة جذرية، أصبحت الانقسامات داخل النخبة السوفييتية أكثر وضوحاً، ويرجع ذلك أساساً إلى خوف المسؤولين الشيوعيين من فقدان مناصبهم وتحميلهم المسؤولية عن كل المظالم السابقة التي ارتكبت ضد غير الروس^(١)، وقرر مجلس السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفييتي عقد انتخابات للحزب الشيوعي الديمقراطي الذي تم إنشاؤه حديثاً في آذار ١٩٨٩، ومن الجدير بالذكر أن ما نشأ في عام ١٩٨٩م كان هيئة موحدة تجتمع في جلسة عامة مرتين في السنة وتنتخب برلماناً عاماً أصغر حجماً، وهو مجلس السوفييت الأعلى؛ ولم يتم انتخاب ممثلي الجمهوريات بشكل مباشر بل تم ترشيحهم من قبل الهيئات التشريعية المحلية، وبالتزامن مع هذه المرحلة الانتقالية من الاستبداد إلى الديمقراطية كان قلق موسكو بشأن "التداعيات الجيوسياسية السلبية إذا تحققت المطالب الأرمنية، مما أدى إلى سياسة "التسوية" التي بدأت بمحاولات لتهدئة الموقف دون الاعتراف بمشكلة القوميات العامة. واستمرت من خلال تقديم سلسلة من الإصلاحات، تلاها سيطرة عسكرية محدودة، وانتهت بوضع ناغورني-كاراباخ في (١٢٧ كانون الثاني ١٩٨٩م) تحت حكمها المباشر^(٢)، وكان من المقرر أن يدير أركادي فولسكي (Arkady Volsky)، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، الذي ترأس لجنة إدارة خاصة مكونة من

(١) اسهمت سياسة البيريسترويكا التي أطلقها غورباتشوف في الاتحاد السوفييتي، بشكل كبير في انقسام المجتمع الروسي بسبب التغييرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الواسعة التي أحدثتها فقد هدفت البيريسترويكا في المقام الأول إلى إعادة هيكلة الاقتصاد من خلال تقليل السيطرة المركزية وتعزيز الانفتاح والسماح بقدر من التحرر السياسي. لكن هذه السياسة أدت إلى نتائج غير متوقعة أثرت على مختلف فئات المجتمع بطرق مختلفة، مما خلق حالة من الانقسام، فمن الناحية الاقتصادية، تسببت الإصلاحات في اضطراب العديد من الصناعات والمؤسسات الحكومية، مما أدى إلى فقدان الوظائف وشعور بعدم الاستقرار لدى الكثيرين. وأدى الانتقال من اقتصاد مسيطر عليه بشدة إلى اقتصاد يتسم بخصائص أكثر شبهاً بالسوق إلى ارتفاع الأسعار وزيادة البطالة، مما جعل من الصعب على الكثيرين التأقلم مع الأوضاع الجديدة. سياسياً، فتحت البيريسترويكا المجال للأصوات المعارضة وشجعت النقاش حول الديمقراطية، وهو ما جذب البعض ممن رأوا في ذلك تحرراً من الحكم الاستبدادي، في حين عد آخرون أن هذه التغييرات تهدد الاستقرار الذي اعتادوا عليه في نظام السوفييتي، للمزيد ينظر:

Aleksandr Bessmertnykh, Experts Critique Russian Foreign Policy, Editorial, Current Digest of Post Soviet Press, Vol. 45, No. 1, 1993, p. 222.

(2) Allison Roy, Op, Cit, p. 103.

الفصل الثاني

تسعة أعضاء، ناغورني-كاراباخ بصلاحيات استثنائية ومعالجة مطالب كلتا الدولتين، وقد تجاوز هذا الترتيب لإدخال المزيد من الحكم الذاتي إلى منطقة المسؤولين الأذريين الذين فقدوا سلطتهم في ناغورني-كاراباخ، وجرى تنفيذ فصل تدريجي للمنطقة عن السيطرة الأذرية، على الرغم من أن ناغورني-كاراباخ ظلت بحكم الأمر الواقع تحت السيادة الأذرية، والتقى فولسكي مع أعضاء لجنة كاراباخ للحفاظ على الهدوء والسعي إلى حل أكثر ديمومة للصراع^(١).

ولم تقتصر المطالب بالسيادة على شمال الأقليم فحسب. ففي أوائل عام ١٩٨٩ كان الوضع معقداً للغاية في جورجيا أيضاً، إذ طالب أغلب الجورجيين "بسيادة أكبر من موسكو، فضلاً عن ذلك، جذدت الأقلية الأبخازية حملتها من أجل الانفصال عن جورجيا و نظمت الجبهات الشعبية في ليتوانيا وإستونيا إضرابات ومظاهرات ضد "الوصاية الروسية". وطالبت بأن تصبح اللغتان الليتوانية والإستونية اللغتين الرسميتين في الجمهوريات، وعارضت حركات وطنية ديمقراطية مماثلة في أوكرانيا وبيلاروسيا ومولدافيا "كل أشكال الترويس" التي حاولت تحقيق السيادة الحقيقية^(٢) وفي شباط ١٩٨٩م قام غورباتشوف بزيارة غير متوقعة إلى أوكرانيا للتقليل من شأن النهضة الوطنية الجديدة التي كانت جارية، وفي خطابه "اعترف علناً بقلق موسكو بشأن العواقب المحتملة للاضطرابات في أوكرانيا". وقال أيضاً إن "أثار أزمة كوريا الشمالية كانت محسوسة في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي". وأكد كذلك أنه إذا "اندلعت الفوضى" في أوكرانيا، فإن "إعادة الهيكلة ستفشل وسوف يتفكك النسيج الكامل للاتحاد السوفييتي"^(٣).

(1) Patricia Carley , Nagorno-Karabakh: Searching for a Solution, A United States Institute of Peace Roundtable Report. Washington, DC: United States Institute of Peace, 1998, p.92.

(2) Tor ukkvoll, Arming the Ayatollahs: Economic Lobbies in Russia's Iran Policy, Problems of Post-Communism, Vol. 49, No.6, 2002, p.29.

(3) Ibid, pp.33-34.

الفصل الثاني

بدأت مرحلة رئيسية أخرى من التحول السياسي في الداخل والخارج والتي كان لها تأثير هائل على المجتمع السوفييتي في النصف الأول من عام ١٩٨٩م مع الحملة من أجل أول انتخابات شبه حرة للحزب الشيوعي الديمقراطي، واستمرت في الأشهر الأخيرة من نفس العام مع انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية،^(١) وكان لهذه الأحداث تأثير عميق على الرأي العام في الاتحاد السوفييتي وكانت حاسمة في إدخال التعددية في السياسة السوفييتية^(٢).

وفي هذا السياق، لم تكن لجنة كاراباخ قد خطت بوضوح لخارطة طريق إلى السلطة، ووجدت حركة القوميين الأرمن بشكل عام وأنصار لجنة كاراباخ بشكل خاص أنفسهم الآن "يسبحون جنباً إلى جنب مع التيار الرئيسي للتغيير في الاتحاد السوفييتي، ومع ذلك، لم يتوقف النشاط السياسي العام. والواقع أن انتخابات الحزب الديمقراطي المسيحي الذي تم إنشاؤه قدمت قدم نقطة تجمع أخرى لأنصار لجنة كاراباخ، وقد تم ترشيح عدد من أعضائها من قبل لجان شعبية، على الرغم من رفض السلطات السوفييتية الجمهورية وضعهم على ورقة الاقتراع، وفي ١٩ أيار، أغلقت المصانع في يريفان نتيجة للمظاهرات الضخمة لدعم أعضاء لجنة كاراباخ المسجونين^(٣).

شهدت الانتخابات شبه الحرة الأولى للحزب الشيوعي الديمقراطي، والتي جرت في آذار ١٩٨٩م هزيمة العديد من المسؤولين الشيوعيين ونجاح بعض الديمقراطيين، على الرغم من أن الشيوعيين احتلوا ما يقرب من (٤٠٠) مقعد من إجمالي (٢٢٥٠) نائباً في الحزب الشيوعي السوفييتي، ومن السمات اللافتة للنظر أن مرشحي الجبهة الشعبية نجحوا في عدد من الجمهوريات غير الروسية، ولاسيما في دول البلطيق، وفضلاً عن ذلك، وجد العديد من المثقفين

(1) Central Intelligence Agency. Ethnic Tensions in the Soviet Union: A Growing Challenge. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150008-6. Published March 20, 1989.

(2) Armen Aivazian ,Possible Solutions to the Nagorno-Karabagh Problem: a Strategic Perspective, In The Making of Nagorno-Karabagh: From Secession to Republic, ed. Levon Chorbajian, New York: Palgrave,2001,p.74.

(3) Levon Chorbajian, Op.Cit,p.93.

السوفييت، الذين دعوا إلى التغيير الجذري، وسائل الإعلام ودودة ومتقبلة لحملاتهم^(١)، وأدى هذا الدعم دوراً رئيسياً في نجاحهم، وعلى الرغم من أن غالبية أعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي المنتخبين حديثاً كانوا مسؤولين في الحزب، فإن آثار النقاش والانقسام الذي انتشر في المجتمع السوفييتي أثر على تفكيرهم بمعنى أن "الحزب الشيوعي السوفيتي لم يعد قادراً على إدارة شؤون البلاد، و كان غورباتشوف نفسه قد أخبر النواب الذين كانوا أعضاء في الحزب الشيوعي عشية المؤتمر الأول أنه "لن يُتوقع منهم أن يتحدثوا أو يصوتوا وفقاً لخط الحزب ولكنهم أحرار في التعبير عن آرائهم الخاصة"^(٢).

كان انعقاد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي في أيار ١٩٨٩م خطوة مهمة في عملية التحول، فقد "فتح المتحدثون في المؤتمر الأول آفاقاً جديدة لحرية التعبير العامة، كما حطمت المناقشات القوية، التي بثت على الهواء مباشرة، موضوعات محظورة مثل "زعماء الحزب، والكي جي بي، وسياسة القوميات، وسلوك الجيش السوفييتي". ومع ذلك، أدان بعض النواب دور الحزب الشيوعي في المجتمع السوفييتي، وطالب نواب جمهوريات البلطيق بالاستقلال، وكان هذا بمثابة تحد واضح للحدود القائمة للدولة السوفييتية^(٣).

انعقد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الديمقراطي على خلفية الاحتجاجات الوطنية في جورجيا ومولدوفا وأوزبكستان، والمظاهرات الحاشدة في يريفان وناغورني - كاراباخ، والضغوط

(1) Svante E. Cornell, Turkey and the Conflict in Nagorno-Karabakh: A Delicate Balance, Middle East Studies, Vol. 34, No. 1, 1998, pp. 51-52.

(٢) في انتخابات ناغورنو كاراباخ عام ١٩٨٩، كان تراجع القوة الشيوعية نابغاً إلى حد كبير من تصاعد القومية والتوترات العرقية بين الأرمن والأذريين. وفي خضم سياسات الغلاسنوست والبيرسترويكا التي تبناها غورباتشوف، ظهرت المظالم المكبوتة بشأن التمثيل العرقي والسياسي في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي، وفي ناغورنو كاراباخ، سعى السكان الأرمن في الغالب إلى الوحدة مع أرمينيا، وهو ما تعارض مع مطالبات أذربيجان بالمنطقة، وقد أدى هذا إلى الرغبة في الحكم الذاتي الوطني إلى إضعاف الدعم المحلي للحزب الشيوعي، الذي ينظر إليه على أنه يمثل مصالح موسكو على الاحتياجات المحلية. وبالتالي شهدت الانتخابات تحولاً نحو الفضائل القومية والمحلية التي يقودها الأرمن في أذربيجان، للمزيد ينظر :

Peter Rutland, Democracy and Nationalism in Armenia, Europe-Asia Studies, Vol. 46, No.

5, Published By: Francis & Taylor Ltd. (1994), pp. 839-89.

(3) Peter Rutland, Op. Cit, p. 899.

المتزايدة في جمهوريات البلطيق، وبصرف النظر عن المداولات حول قضية القوميات، فقد أعترف غورباتشوف بأن "قيادة الحزب في بداية إعادة الهيكلة لم تدرك تماماً ضرورة مراجعة سياسة القوميات"، وأن هذا الفشل "أدى إلى تأخير حل عدد من المسائل العاجلة، ومع ذلك، فقد فشل في الإشارة إلى جوهر مشكلة القوميات وألقى باللوم على الآخرين فيما كان يحدث في الاتحاد السوفييتي. وقال إن "السلخ الطبعي على الأمور الاقتصادية والاجتماعية قد تراكم^(١)."

كان الخطاب الأكثر بروزاً من نصيب أندريه ساخاروف ، الفيزيائي النووي، الذي وضع الخطوط العريضة لـ "مرسوم السلطة" الذي دعا إلى إلغاء الحق الدستوري المكفول للحزب الشيوعي في الدور القيادي المنصوص عليه في المادة السادسة من دستور الاتحاد السوفييتي لعام ١٩٧٧م، ولا شك أن هذه الدعوة الثورية سعت إلى تغيير العلاقة بين المركز والجمهوريات حتى تتمكن الجمهوريات من رفض القوانين التي يفرضها المركز عليها، فضلاً عن ذلك، سعى "مرسوم السلطة" إلى تصفية سلطة الأبارتشيكي (Apparatchik)^(٢)، أي المسؤولين المنفرغين

(١) فشل غورباتشوف في حل مشكلة القوميات كان نتيجة تحديات عميقة الجذور داخل الاتحاد السوفييتي، فتاريخياً، كان الاتحاد السوفييتي مبنياً على مزيج معقد من المجموعات العرقية والثقافية المتنوعة، ولكل منها هويتها وتطلعاتها الخاصة و على مر الزمن، تزايدت التوترات بين هذه المجموعات والحكومة المركزية في موسكو، إلى حد كبير نتيجة السياسات المركزية التي قمعت الثقافات المحلية لصالح هوية سوفييتية موحدة. بالإضافة إلى ذلك، واجه غورباتشوف أيضاً معضلة في التعامل مع هذه الحركات إذ تردد في استخدام القوة لتجنب القمع العنيف والأضرار التي قد تلحق برويته للإصلاح، لكن هذا التردد أضعف سلطة الحكومة المركزية وسمح بزيادة الضغوط القومية دون رادع. وكانت إصلاحاته تهدف أساساً إلى تقوية الاتحاد، لكنها كشفت في النهاية عن هشاشته مع سعي الجمهوريات نحو الاستقلال، متأثرة بنجاح الحركات المناهضة للشيوعية في أوروبا الشرقية. وكانت النتيجة سلسلة من الحركات الانفصالية التي لم يتمكن غورباتشوف من استرضائها أو السيطرة عليها بالكامل، مما أدى في النهاية إلى انهيار الاتحاد السوفييتي، للمزيد ينظر:

Brian Caterino, Perestroika's Last Stand, PS: Political Science and Politics, Vol. 43, No. 4
، Published By: American Political Science Association, October 2010, p. 753.

(٢) الأبارتشيكي أو (العضو الحزبي): و هو مصطلح يشير إلى الشخص الذي يعمل داخل جهاز الدولة أو الحزب الشيوعي، وغالباً ما يشغل دوراً إدارياً أو بيروقراطياً. ويصف هذا المصطلح على وجه التحديد الأفراد الذين يلتزمون بصرامة بخطط الحزب ويكرسون جهودهم لخدمة النظام دون التعبير عن آراء شخصية أو انتقادات، ينظر إلى الأعضاء الحزبيين على أنهم أشخاص يديرون الشؤون بطريقة بيروقراطية=

في الحزب الشيوعي، ويبدو أن غورباتشوف أراد مناقشات حرة وتسامح مع انتقادات الديمقراطيين الراديكاليين، مثل ساخاروف، من أجل تحديد توقيت إلغاء المادة السادسة^(١).

كانت إحدى المهام الأكثر أهمية التي كلف بها المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الديمقراطي انتخاب مجلس السوفييت الأعلى، وكانت الحرية الممنوحة للجمهوريات غير الروسية في تقديم مرشحيها للانتخابات سبباً في ضمان عدد كبير من المنتقدين الصريحين من أرمينيا وجورجيا وجمهوريات البلطيق لإبداء آرائهم، وقد كان هذا مهماً بشكل خاص لأنه كان له تأثير على الديمقراطيين الروس وغير الروس ومنحهم المزيد من الزخم لتحقيق الديمقراطية ومتابعة المصالح الوطنية^(٢).

وفضلاً عن التحول السياسي في الاتحاد السوفييتي، شهدت الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٩م إزاحة الأحزاب الشيوعية عن السلطة في أوروبا الشرقية، فبعد تنصيب أول حكومة غير شيوعية في بولندا في آب ١٩٨٩م وحكومة متعددة الأحزاب في المجر، أزاح التغيير الأنظمة الشيوعية في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ورومانيا^(٣) وكان الارتباط بين التحول داخل الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية هو أن شعوب الاتحاد السوفييتي تمكنت من متابعة انهيار الأنظمة الشيوعية، التي كانت دولاً أعضاء في حلف وارسو، على شاشات التلفزيون السوفييتي، واحدة تلو الأخرى دون أي تدخل عسكري من جانب الجيش السوفييتي لإنقاذها، وعلى هذا النحو، أقامت شعوب الاتحاد السوفييتي ارتباطاً بين مصائبها والحكم الشيوعي، وعلى هذا فقد اعتقد غير الروس عموماً والأرمن في شمال كوسوفو على وجه الخصوص أن نضالهم من أجل

=ورسمية بحتة، وعادة ما يتميزون بالتزامهم الثابت بقرارات الحزب أو الحكومة. وتاريخياً، يرتبط هذا المصطلح بالاتحاد السوفييتي، لكنه استُخدم أيضاً لوصف الموظفين في الأنظمة الشيوعية الأخرى، وأحياناً في المؤسسات البيروقراطية خارج الاتحاد السوفييتي، للمزيد ينظر:

Zbigniew Brzezinski and Samuel P. Huntington, Cincinnatus and the Apparatchik World Politics, Vol. 16, No. 1 Published By: The Johns Hopkins University Press, Oct., 1963, p. 52.

(1) Michael P. Croissant, Op.Cit, p.52.

(2) James DeTemple, Op.Cit, p.65.

(3) Joan DeBardeleben, Russian Politics in Transition, Boston; New York: Houghton Mifflin Company, 1997, p.53.

إحداث التغيير الديمقراطي وتحقيق الاستقلال أصبح أكثر واقعية على نحو متزايد وأنهم الآن قادرون على تعبئة دولهم لتحقيق هذه الأهداف^(١).

أدى انهيار الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية إلى تسريع وتيرة تحول السلطة من حكم الحزب إلى حكم الدولة في الاتحاد السوفييتي، ولقد كان هذا هو الوقت المناسب بالنسبة لغورباتشوف للمضي قدماً في المزيد من التغييرات المؤسسية، والتي شجعتها المظاهرات الحاشدة ضد المادة (٦) في المدن الروسية في كانون الأول ١٩٨٩ وكانون الثاني ١٩٩٠م^(٢) وفي المدة من (٥-٧) من شباط ١٩٩٠م وافقت الجلسة الكاملة للجنة المركزية على تعديل المادة (٦) من الدستور السوفييتي لإنهاء الاحتكار الدستوري للحزب للسلطة السياسية في الاتحاد السوفييتي. وقد أكد على هذا المؤتمر الحزبي الديمقراطي في الرابع عشر من آذار، وساهم الاجتماعان اللذان عقدا في شباط آذار ١٩٩٠م في إنشاء نظام رئاسي جديد. ومن المؤكد أن تحول السلطة السياسية في المركز سوف يؤثر على الشرعية الضعيفة بالفعل لمسؤولي الحزب في الجمهوريات غير الروسية. وبدا الأمر وكأن مدة من الديمقراطية الحقيقية كمكان للتغيير سوف تتبع ذلك^(٣).

وبعد انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية، قررت موسكو تغيير سياستها في ناغورني-كاراباخ، وبعد أن عجزت عن استعادة النظام وإيجاد حل سياسي مقبول من الطرفين، ألغت موسكو لجنة فولسكي وأعادت ناغورني-كاراباخ إلى السيادة الأذرية المباشرة، إذ أنها لم

(1) Paul Goble, Coping with the Nagorno-Karabakh Crisis: The Fletcher Forum of World Affairs, Vol. 16, NO. 2, 1992, p. 21.

(2) Knutsen Torbjorn, A History of International Relations Theory, Manchester, New York: Manchester University Press, 1997, p. 64.

(3) نصت المادة السادسة من الدستور السوفييتي لعام ١٩٧٧ على أن الحزب الشيوعي هو "القوة القيادية والموجهة للمجتمع السوفييتي". وقد أدى هذا فعلياً إلى إرساء دولة الحزب الواحد، وحظر أي منافسة سياسية، وفي أواخر ثمانينيات القرن العشرين، أثناء زعامة ميخائيل غورباتشوف بذلت جهود لإصلاح البنية السياسية للاتحاد السوفييتي. وألغى تعديل المادة السادسة في عام ١٩٩٠ الضمانة الدستورية لاحتكار الحزب الشيوعي للسلطة. وكان هذا التغيير بمثابة خطوة مهمة نحو الديمقراطية وسمح بتشكيل أحزاب سياسية متعددة، وكان تعديل المادة السادسة جزءاً من سياسة غورباتشوف الأوسع نطاقاً والمتمثلة في الانفتاح والبيرسترويكا، والتي كانت تهدف إلى زيادة الشفافية وتقليص السلطة المركزية للحزب الشيوعي لصالح بيئة سياسية أكثر تعددية، وقد أسهم هذا في نهاية المطاف في الاضطرابات السياسية التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١، للمزيد ينظر:

Iulia Shevchenko, Ministerial Turnover in Russia (1990-2004), Europe-Asia Studies, Vol. 57, No. 3, May 2005, p. 399.

تكن ترغب في فرض قرار من المركز، والواقع أن مرسوم غوريانتشوف الصادر في ٢٨ / تشرين الثاني، حث المجلس الأعلى الأذري على حل مشكلة ناغورني - كاراباخ في إطار قانوني ودستوري متوافق مع التحول السياسي والمؤسسي الذي كان يجري على مستوى الاتحاد^(١). فضلاً عن ذلك، أكد غوريانتشوف أن الحكومة الأذرية يجب أن تتخذ التدابير اللازمة لمنح المنطقة وضع الحكم الذاتي الحقيقي، إلا أن هذا لم يحدث^(٢).

ثانياً : ظهور الحركة القومية الأذرية (١٩٨٨-١٩٨٩م)

بقيت باكو هادئة نسبياً طيلة أشهر عام ١٩٨٨م، ولقد استغرق الأمر قرابة عام كامل من الاحتجاجات الأرمنية والمطالبات باستقلال قره باغ حتى يتمكن الأذريين من التعبئة للدفاع عن سلامة أراضي جمهوريتهم، وكانت المظاهرات الكبرى الأولى قد اندلعت في شهر آيار، إلا إنَّ التعبئة التي قام بها الأذريين في ظل حركة قومية متكاملة الأركان لم تبلغ ذروتها إلا في شهر (تشرين الثاني عام ١٩٨٨م)، فقد تظاهر مئات الآلاف في شوارع باكو، معربين عن مخاوفهم إزاء التلوث البيئي، والفساد بين المسؤولين المحليين في الحزب، وترميم المعالم الوطنية، والعديد من القضايا المماثلة. ولكن قضية الاحتفاظ بالسيادة الأذرية على قره باغ ظلت القضية الرئيسية التي حشد المتظاهرون من أجلها^(٣).

ولقد زعم دراجادزي أن بعض أعضاء النخبة المثقفة نأوا بأنفسهم تكتيكياً عن المتظاهرين "من أجل العمل كوسطاء مع المسؤولين المحليين في الحزب الشيوعي، الذين كانوا في البداية معادين تماماً" للمطالب القومية الأذرية، وعلى هذا فقد اتخذت الطبقة العاملة زمام المبادرة في

(1) Robert Keohane, and Joseph Nye S. Power and Interdependence. Glenview, IL: Scott, Foresman, 1989, p. 86.

(2) Igor Ivanov, The New Russian Identity: Innovation and Continuity in Russian Foreign Policy. The Washington Quarterly, Vol. 24, No. 3, 2001, pp. 7-8.

(3) Charles W. Kegley, and Eugene R. Wittkopf, World Politics: Trend and Transformation. Belmont, CA: Thomson Wadsworth, 2006, p. 63.

الفصل الثاني

تنظيم المظاهرات الشعبية، التي نأت بنفسها في البداية عن النخبة المثقفة، التي عدت أفرادها فاسدين في المقام الأول في سعيهم إلى تحقيق الثروات الشخصية⁽¹⁾، ومن الواضح أن الطبقة العاملة ربطت النخبة المثقفة بمسؤولي الحزب الشيوعي الفاسدين في الجمهورية، إن أفضل طريقة لفهم القومية الأذرية هي الإشارة إلى النموذج الإثني الرمزي، المرتبط بظهور الأمم القومية، والذي لم يقتصر تحليله على التلاعب النخبوي بالطبقات الدنيا في المجتمع، بل ركز بدلاً من ذلك على العلاقة بين النخب المختلفة والأشخاص الذين تهدف إلى تمثيلهم، وبالتالي، يمكن تعبئة الطبقات الدنيا، من خلال تقاليد الثقافة والسياسية ومشاعرها وأساطيرها ولغتها، ويمكنها التأثير على المثقفين والقيادة السياسية في المجتمع من خلال تقييد ابتكاراتهم ضمن معايير ثقافية معينة⁽²⁾.

تجمع مئات الآلاف من الطبقة العامل في ميدان لينين في باكو، وتناول الخطباء العداء الأرمني ومشكلة ناغورني-كاراباخ، ولكن سرعان ما "تركزت المظالم على سوء الإدارة الاقتصادية وحقوق العمال، وحذر أولئك الذين اعتلوا المنصة المتظاهرين من الهتاف بشعارات معادية للأرمن. ووجه أحد قادة المظاهرات، نعيمات باناخوف، الذي فاز بدعم الحشود، الكثير من انتقاداته إلى أرمينيا، وقد ركزت حملة التعبئة القومية التي شنها باناخوف على الديمقراطية والانفتاح، على الرغم من إدانته لإدارة الحكومة الأذرية للصراع بين ناغورني-كاراباخ وكاراباخ⁽³⁾، وقد وضع باناخوف ثلاث قضايا على رأس الأجندة الوطنية الأذرية وقد تمثلت بالاتي:

- ١- الحصول على الحكم الذاتي للإذريين الذين يعيشون في أرمينيا.
- ٢- ونقل القضايا الجنائية المتعلقة بمذبحة سومغايت إلى إذربيجان .

(1) Richard Giragosian, Nagorno-Karabakh: International Political Dimension. In The Making of Nagorno-Karabakh: From Secession to Republic, ed. Levon Chorbajian, New York: Palgrave, 2001, p.82.

(2) Artashes Hakobjanian, The Quest of Karabakh through Centuries of Struggle, Yerevan: Zangak, 2004, p.97.

(3) Richard Hovannisan, Historical Memory and Foreign Relations, In The Legacy of History of Russia and the New States of Eurasia, ed. S. Frederick Starr. Armonk, NY: M.E. Sharpe. 1994, p.74.

٣- وضمان العودة الآمنة للاجئين الأذريين من ناغورني- كاراباخ^(١).

ردت الحكومة الشيوعية في إذربيجان على مظاهرات العمال بشكل عنيف ، فبعد عدة تحذيرات وجهتها إلى الحشود بإخلاء ساحة لينين، أصبحت سلطات باكو غير متسامحة وحركت قواتها ودباباتها. واعتقلت الزعماء القوميين، وقد رفض المسؤولون الشيوعيون في باكو وموسكو مخاطبة الحشد. اذ مارست موسكو ضغوطاً على باكو لإهمال مطالب العمال وغض الطرف عن مشكلة ناغورني- كاراباخ، نظراً لأن ناغورني- كاراباخ كانت بالفعل جزءاً من إذربيجان^(٢)، وقد تؤدي المزيد من الاستفزازات إلى الفوضى وعدم الاستقرار في الجمهورية، وكما هو الحال في أماكن أخرى من الاتحاد السوفييتي، كانت القيادة الشيوعية المحلية تحت سيطرة موسكو وكانت تحاول استخدام تدابير تقليدية لإسكات القوميين، ومع ذلك، كان هذا يتناقض مع مبدأ الغلاسنوست، الذي دعا شعوب الاتحاد السوفييتي إلى انتقاد الممارسات السوفييتية الخاطئة علناً والتطلع إلى التغيير الاجتماعي والاقتصادي^(٣).

وفي تشرين الثاني ١٩٨٨م، اندلعت مناوشات في منطقة توبخانة (Topkhana) في شمال إذربيجان، وتصاعدت التوترات عندما بدأ الأرمن في كاراباخ في بناء منتجع ترفيهي في يريفان دون الحصول على إذن من السلطات الأذرية لبدء البناء، وعدت باكو الموقع معلماً طبيعياً تاريخياً، وقد أدت هذه الحادثة إلى تفاقم التوترات بين الأذريين والأرمن في كاراباخ، وكان ذلك مؤشراً على فقدان الثقة المتبادلة، ونظر الطرفان إلى سوء التفاهم الطفيف من خلال منظور العداء بين الأعراق، كما وقعت أحداث مماثلة في (تشرين الثاني عام ١٩٨٨م)، فمثلاً أصدر مجلس السوفييت الأعلى حكماً بالإعدام في محاكمات سومغايت، وحكم على أحمد أحمدوف بالإعدام في ايلول ١٩٨٨م وعد الأذريين الحكم إهانة لهم^(٤).

(1) Herzig Edmund, Op.Cit, p.233.

(2) Central Intelligence Agency. Unrest in the Caucasus and the Challenge of Nationalism. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150001-9. Published August 1, 1988.

(3) Ibid, p.235.

(4) Richard Giragosian, Azerbaijani, Iranian Presidents Meet to Inaugurate New Gas Pipeline, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines, Vol. 9, No.237, 2005, p.74.

الفصل الثاني

ومع تزايد أعداد اللاجئين في أرمينيا، امتدت المظاهرات والتوترات العرقية إلى مناطق أخرى في إذربيجان. ففي كانون الأول، اشتبك المتظاهرون الأذريين مع قوات الحدود الروسية في غانجا وجليلا آباد (في ناخيتشيفان)، وأفادت التقارير عن سقوط عدد من الضحايا، كما ظهرت موضوعات الحرمان الاقتصادي والهيمنة الأجنبية في صحافة باكو، وانتشرت المخاوف من فقدان السيادة على ناغورني-كاراباخ على نطاق واسع، وأعطى الإحباط الشعبي إزاء تعامل كل من باكو وموسكو مع الصراع بين ناغورني-كاراباخ زخماً للقومية الأذرية^(١)، وقد شعر العديد من الأذريين بأن قيادة غورباتشوف سمحت للصراع بين ناغورني-كاراباخ بالاستمرار حتى تشرين الثاني ١٩٨٨م، حين كان من الأسهل على الأرجح الاستجابة للمطالب الأرمينية في شباط بمنحهم الحريات الثقافية واللغوية وتعزيز الروابط بين أرمينيا السوفييتية وناغورني-كاراباخ، فضلاً عن ذلك، كان ضعف موسكو في فرض الحدود بين الجمهوريات القائمة يهدد الأمة الأذرية ويضعف هويتها الوطنية^(٢).

بالنسبة لغير الروس بشكل عام والأذريين بشكل خاص، فقد استمرت جمهوريات البلطيق في كونها مصدر إلهام للتعبير عن المعارضة الوطنية والمشاعر المعادية للسوفييت، في أعقاب الانتخابات شبه الحرة للحزب الشيوعي الديمقراطي في (إذار ١٩٨٩م)، والمؤتمر الأول للحزب الشيوعي الديمقراطي في آيار ١٩٨٩م ومع القوانين الجديدة المتعلقة بحرية الضمير والمعتقد الديني وحرية الصحافة^(٣)، أصبح الوضع في الاتحاد السوفييتي مثيراً للقلق بالنسبة للكرملين^(٣)، ومن منظور غورباتشوف، كانت البيريسترويك والغلاسنوست ضرورية لإصلاح الشيوعية، ولكن ليس على حساب وحدة الاتحاد السوفييتي، كان أفضل حل لإنهاء التوترات والعنف بين الأعراق هو تبني مبدأ لا منتصر ولا مهزوم، في الأول من تموز ١٩٨٩م ألقى غورباتشوف خطاباً خاصاً متلفزاً دعا فيه إلى ضبط النفس، كما حذر من "الخطر الهائل الذي يشكله تنامي

(1) Damien Helly, and Nicholas Whyte, Bringing Peace to EU's 'New Neighbors, Group. 19 May.2004,p.654.

(2) Ibid.p.655.

(3) SvanteKorop Cornell, Turkey and the Conflict in Nagorno-Karabakh: A Delicate Balance,Op.Cit,p.67.

الفصل الثاني

الاضطرابات العرقية" وأكد أن "وحدة الدولة على المحك"، ورغم أنه لم يظهر موقفاً متهاوناً تجاه المظاهر القومية بأي شكل من الأشكال، إلا أنه أقر بضرورة حزمة من التدابير لتحسين العلاقات بين الأعراق وإزالة الأسباب التي تكمن وراء التعقيدات التي نشأت، ومع ذلك، أكد في الوقت نفسه أن موسكو ما زالت غير مستعدة لمنح حق تقرير المصير الحقيقي للأمم الاتحاد السوفييتي، لقد كان هذا الخطاب بمثابة تحذير لكل أولئك الذين "يؤججون الصراع العرقي عمداً ورفضوا ضمناً المطالبات بمزيد من الحكم الذاتي والاستقلال"⁽¹⁾.

تبين من هذا المبحث أن الاتحاد السوفييتي فشل في احتواء الأزمة في مراحلها الأولى، بسبب تردده في الحسم، وتضارب مواقفه بين الحياد والدعم غير المباشر، هذا الضعف السياسي ساعد على توسع رقعة العنف، وصولاً إلى الانفجار الكامل في أوائل التسعينات، وهو ما سيكون محور الفصل الثالث المتعلق بتحول الأزمة إلى حرب مفتوحة.

⁽¹⁾Haig E.Asenbauer, On the right of self-determination of the Armenian people of Nagorno-Karabakh, Armenian Prelacy, New York, 1996, p.54.

المبحث الثالث

انفصال ناغورني- كاراباخ عن إذربيجان

أولاً: الحركات الانفصالية وانهيار الاتحاد السوفيتي

اكتسبت الحركة القومية الأذرية في عام ١٩٨٩م الثقة الكافية لتشكيل جبهة شعبية، وقد نظرت الجبهة الشعبية الأذرية، التي نشأت كحركة جماهيرية في تموز ١٩٨٩م إلى الحكم المباشر الذي فرضته موسكو في ناغورني- كاراباخ بوصفه تدخلاً في شؤونها الداخلية، وربط زعماء الجبهة الشعبية الأذرية قضية ناغورني- كاراباخ بالمطالبات بمزيد من الديمقراطية، وهو الهدف الذي ارتبط بالبيرسترويكا^(١) وكانوا يدركون أن القضية الوحيدة القادرة على تعبئة الناس هي النزاع بين ناغورني- كاراباخ وأرمينيا، وعلى هذا فقد نظموا مظاهرات حاشدة لكي يتسنى لهم المطالبة بالسيادة الأذرية على ناغورني- كاراباخ وتقديم برنامجهم السياسي بوصفه المعارضة القومية^(٢).

ويبدو أن ما شجع قوات الدفاع الشعبي على التفكير في إلغاء الحكم الذاتي الإداري الوهمي السابق لجمهورية شمال قيرغيزستان وتوسيع السيادة الأذرية هناك كان القرار الذي اتخذه مجلس السوفييت الأعلى في لاتفيا (Latvia) في ٢٩/ تموز ١٩٨٩م، والذي أعلن سيادة لاتفيا وأنشأ لجنة لتقييم عواقب ميثاق مولوتوف-ريبنتروب (Molotov-Ribbentrop.Pact)^(٣) وكان

(1) Pavel Koryashkin, Russia Interested in Settling Nagorno-Karabakh Conflict, ITAR-TASS News Agency, 7 September, 2001, p.64.

(2) Gerard J. Libaridian, Op.Cit, pp.66-67.

(3) ميثاق مولوتوف- ريبنتروب والمعروف أيضاً بالميثاق النازي- السوفيتي، هو معاهدة عدم اعتداء وقعت في ٢٣ آب ١٩٣٩ بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا النازية، سمي الميثاق باسم وزير الخارجية السوفيتي فياتشيسلاف مولوتوف والألماني يواكيم فون ريبنتروب، وتضمن التزاماً علنياً من كلا البلدين بتجنب الصراع العسكري مع بعضهما البعض، ومع ذلك، احتوى أيضاً على بروتوكول سري يقسم أوروبا الشرقية إلى مناطق نفوذ، وفقاً لهذا الاتفاق، كانت ألمانيا ستحكم بولندا الغربية، في حين سيحصل الاتحاد السوفيتي على بولندا الشرقية، بالإضافة إلى دول البلطيق إستونيا ولاتفيا وليتوانيا ونفوذ على=

هذا الميثاق قد أنهى المصير الحر لدول البلطيق في أربعينيات القرن العشرين وفرض الحكم السوفييتي عليها، ولقد كان تعنت الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان في التعامل مع قضية السيادة الأذرية متوازياً مع الموقف العنيد الذي تبناه الأرمن في شمال إذربيجان فيما يتصل بقضية الوحدة. وفي نهاية المطاف، تجلّى هذا الموقف جلياً في السادس عشر من آب ١٩٨٩، عندما تأسس المجلس الوطني الأرمني في شمال إذربيجان. وأعلن المجلس الذي يتألف من ٧٨ عضواً أنه سوف يمثل الأرمن في شمال إذربيجان إلى أن يتم استعادة حكومة المنطقة، التي حلتها موسكو في كانون الثاني. وبعد ثمانية أيام، في ٢٤ / آب، أعلن المجلس الوطني الأرمني انفصال شمال إذربيجان عن إذربيجان واتحادها مع أرمينيا، ووردت أنباء عن وقوع اشتباكات مسلحة يومية في شمال إذربيجان، كما تسببت الإضرابات في شلل أجزاء كبيرة من باكو، وقد أدانت باكو وموسكو هذا الإعلان ^(١)، كما كان المجلس الوطني الأرمني يتحدى صمود موسكو فيما يتصل بالإدارة الخاصة التي يرأسها فولسكي في شمال إذربيجان، إذ أصبح الوضع خطيراً للغاية^(٢).

في السابع عشر من آب / ١٩٨٩م، نشرت صحيفة برافدا السوفيتية وثيقة طال انتظارها بشأن سياسة القوميات تحت عنوان "سياسة الحزب تجاه القوميات في ظل الظروف الحالية" "منصة الحزب الشيوعي السوفييتي" وأشار البرنامج إلى أن قيادة غورباتشوف كانت مستعدة لإجراء بعض "التعديلات" في سياسة القوميات، ولكنها لم تكن مستعدة للسماح "بأي تحول حقيقي في بنية الاتحاد السوفييتي، وقد استجاب "البرنامج" بطريقة ما للمطالب الجمهورية

= فنلندا، وقد سمح ميثاق مولوتوف ريبنترروب لهتلر بغزو بولندا دون خوف من تدخل سوفييتي، مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية في ١ ايلول ١٩٣٩، للمزيد ينظر:

Alfred Erich Senn, Perestroika in Lithuanian Historiography: The Molotov–Ribbentrop Pact, Alfred Erich Senn, The Russian Review, Vol. 49, No. 1, Published By: Wiley, Jan 1990, pp. 43–44.

(1) Alexander Pakhomov, Azerbaijan, Armenia Leaders in USA for Nagorno–Karabakh Talks. ITAR–TASS News Agency, 3 April, 2001, p.756.

(2) Ivan Lebedev, Need for Nagorno–Karabakh Settlement Pressing– Mediator, ITAR–TASS News Agency, 11 January, 2002, p.98.

باللامركزية الاقتصادية والحفاظ على التفرد الوطني، وظلت "حقوق البرلمانات الجمهورية محدودة نسبياً" إلى الحد الذي يسمح لموسكو بإلغاء التشريعات الجمهورية. ومع ذلك، سُمح للجمهوريات الاسمية بإلغاء التشريعات التي تصدر عن كل الاتحاد أمام محكمة دستورية، كما ان اللغة الروسية هي لغة الدولة في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي^(١)، كما أُدين التمييز ضد الأقليات القومية في الجمهوريات الاسمية، كان من المقرر أن يتم تنفيذ خطة ستالين لإعادة تأهيل القوميات المهجرة. فضلاً عن ذلك، لم يتم الإشارة إلى حق الجمهوريات في الانفصال عن الاتحاد، إلا ان البرنامج كان في معظمه كان خطابياً، اذ ذكر مبادئ عامة فقط دون تقديم حلول دقيقة لمشكلة القوميات^(٢).

ولم يسفر نشر البرنامج عن تحسين الوضع في إذربيجان وناغورني - كاراباخ. ففي آب، أدت المظاهرات والإضرابات العامة التي نظمتها الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان إلى زيادة الضغوط على الحزب الشيوعي الأذري الضعيف بالفعل، وأدت إلى اضطلاع الحزب بدور بارز في السياسة المحلية، وأكد قادة الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان على حقوق الأذريين بوصفهم "المجموعة العرقية المهيمنة في الجمهورية"، وطالبوا "باستعادة الوحدة العرقية للأذريين الذين يعيشون على جانبي الحدود السوفييتية الإيرانية"، وهددت الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان، التي كانت تنظم العديد من المظاهرات في باكو، بالدعوة إلى إضراب وطني في الثاني من أيلول إذا رفضت الحكومة الشيوعية في إذربيجان تلبية مطالبها، والتي تضمنت: اجتماعاً غير مقرر للمجلس الأعلى لإذربيجان لمناقشة مسائل السيادة، والتطبيع في ناغورني - كاراباخ، والإفراج عن السجناء السياسيين^(٣).

(1) Ivan Lebedev, Op. Cit, p.101.

(2) John J. Maresca, The International Community and the Conflict over Nagorno-Karabakh, In Opportunities Missed, Opportunities Seized: Preventive Diplomacy in the post-Cold War World, ed. Bruce W. Jentleson. New York: Rowman and Littlefield Publishers, Inc.2000,p.85.

(3) Richard W. Mansbach, The Global Puzzle: Issues and Actors in World Politics. Boston, New York: Houghton Mifflin Company,2000.p.85.

اتخذت "الحركة الوطنية الديمقراطية" الأذرية موقفاً قومياً بشأن صراع ناخيتشيفان من أجل مواجهة المطالب الأرمينية بالوحدة ^(١)، ونظراً لدعم الحزب الشيوعي الأذري لسياسات موسكو، اكتسبت الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان شعبية من خلال اتخاذ موقف صارم والمطالبة بالسيطرة الأذرية المباشرة على ناخيتشيفان وإلغاء استقلالها الإداري، وفي محاولة لوقف الانفصال الأرميني، نظمت الجبهة الشعبية حصاراً برياً وسكك حديدية على ناخيتشيفان وأرمينيا، ولم يجرِ إلغاؤه إلا بعد مناقشات مع المجلس الأعلى الأذري، وخلال مفاوضاتها، بررت الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان حصارها لناخيتشيفان وأرمينيا بأنه عمل انتقامي لحصار أرمينيا لجيب ناخيتشيفان ^(٢).

وفي الخامس عشر من أيلول، استسلمت الحكومة الشيوعية الأذرية للضغوط القومية، واجتمع المجلس الأعلى الأذري في جلسة استثنائية بثت على شاشات التلفزيون، ومع تجمهر المتظاهرين حول مبنى المجلس التشريعي، انتهت المناقشات الساخنة بالاعتراف الرسمي بجيش تحرير إذربيجان واستعادة السيطرة الأذرية على ناغورني-كاراباخ، فضلاً عن مشكلة ناغورني-كاراباخ، فقد حشدت المطالبات المتزايدة بالسيادة الاقتصادية للإذريين أيضاً لأنهم اعتقدوا أن موسكو تحرمهم من النفط والثروة الصناعية والاقتصادية التي تساهم بها ^(٣).

كما دعت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا إلى تقديم تنازلات متبادلة، وكجزء من برنامجها السياسي، زعمت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا أنه إذا ظلت استقلالية ناغورني-كاراباخ قائمة، فلا بد من منح الأذريين المقيمين في أرمينيا استقلالاً مماثلاً، كما اقترحت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا قانوناً جديداً بشأن السيادة يؤكد سيطرة الجمهورية الكاملة على جميع مواردها الطبيعية، وحقوق الاعتراض على القوانين التي تفرضها موسكو، والحق في الانسحاب من الاتحاد السوفييتي، ووفقاً للمراسلين الغربيين، فقد أرغمت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا

(1) Ivan Lebedev, Op.Cit,p.104.

(2)Hamlet Matevosian ,Armenia Prepared to Begin Individual Partnership Program with EU. RIA Novosti, 2005,p.343.

(3)Rajan Menon, Structural Constraints on Russian Diplomacy, Orbis, Vol. 45 ,No .4,2001,p.579.

الفصل الثاني

الحزب الشيوعي الأذري على "شراكة فعّالة"، ويوصفها "حركة قومية"، فقد كانت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا في طريقها إلى الاستيلاء على السلطة السياسية، ومن المعقول أن نتصور أن البرنامج السياسي للجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا، الذي تبني أيضاً مبدأ "الاستقلال الذاتي" كان بمثابة ذريعة لفرض استقلال أرمينيا على الحزب الشيوعي الأذري^(١).

ولقد أصبحت السيادة الاقتصادية هي القاعدة المشتركة التي اتفقت عليها الحكومة الشيوعية والقوميون، واكتسبت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا دعماً شعبياً إضافياً عندما ركزت انتقاداتها على دعم الحزب الشيوعي الأذري لسياسة الكرملين في إقامة حكم إداري خاص في ناغورني-كاراباخ، ولعل هذه الشراكة الفعّالة المزعومة بين الحكومة الشيوعية والجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا قد تحققت على أساس التنازلات المتبادلة، والواقع أن الحكومة الأذرية اعترفت بالجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا كمنظمة قانونية وسحبت دعمها لحكم موسكو في ناغورني-كاراباخ، وفي المقابل أنهت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا حصارها للسكك الحديدية في تشرين الأول ١٩٨٩^(٢).

وفي مواجهة دعوات السيادة واللامركزية الاقتصادية من جانب غير الروس، افتتحت الجلسة الكاملة للجنة المركزية بشأن مسألة القوميات في ١٩ / أيلول ١٩٨٩م، وعكس تقرير غورباتشوف عن سياسة القوميات التي ينتهجها الحزب "برنامج" الحزب بشأن المسألة القومية، ومع ذلك، اعترف غورباتشوف بأن "الاعتراف بالحاجة إلى التغيير جاء متأخراً إلى حد ما وأن الموقف أصبح الآن معقداً للغاية"^(٣).

(1) Kamal Makili, Contested Territories and International Law – A Comparative Study of the Nagorno-Karabakh Conflict and the Aland Islands Precedent, Francis and Taylor, New York: 2020, p.79.

(2) Alec Rasizade, Azerbaijan Descending into the Third World after a Decade of Independence, Journal of Third World Studies, Vol. 21, No.1, 2004, pp.191-192.

(3) Razmik Panossian, The Irony of Nagorno-Karabakh: Formal Institutions versus Informal Politics, In Ethnicity and Territory in the Former Soviet Union: Regions in Conflict, eds. James Hughes and Gwendolyn Sasse, London: Frank Cass, 2002, p.311.

وفي الخامس من تشرين الأول ١٩٨٩م، أقرت السلطات الأذرية "قانون السيادة" الذي أكد على أن إذربيجان لا بد وأن تمارس سيطرتها الكاملة على أراضيها، بما في ذلك ناغورني-كاراباخ، وأكد على حقها في الانفصال عن الاتحاد السوفييتي بشرط أن يسبق ذلك استفتاء، ومن ثم فإن النجاح السياسي الذي حققته الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا لم يشك في الوضع المستقل لإقليم ناغورني-كاراباخ فحسب، بل وأيضاً في تعامل موسكو مع النزاع مع ناغورني-كاراباخ، بل وحتى في حكم الأحزاب الشيوعية ككل^(١)، وفي تحدٍ آخر لموسكو، اجتمعت الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا في تشرين الأول ١٩٨٩م مع بعض أعضاء حركة القوميين الأرمنيين للترويج للمصالحة بشأن الوضع المستقبلي لإقليم ناغورني-كاراباخ، وتزامن هذا الاجتماع مع محاولة حركة القوميين الأرمنيين إنشاء "وحدات دفاع ذاتي في أرمينيا لحماية المناطق الحدودية مع إذربيجان"، وقد فشل هذا الاجتماع، الذي لا نملك عنه سوى القليل من التفاصيل، في إقامة حوار بين الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا وحركة القوميين الأرمنيين^(٢).

ولم يكن الوضع مختلفاً في بقية الجمهوريات غير الروسية. ففي ليتوانيا مثلاً، قيل إن الاستفتاء على الانفصال عن الاتحاد السوفييتي يمكن إجراؤه بشرط أن يتم تمرير مثل هذا القرار من قبل الهيئة التشريعية للجمهورية^(٣) وعلى نحو مماثل، في جورجيا في ٥/ تشرين الأول ١٩٨٩م، تم تشكيل "لجنة الإنقاذ الوطني" وفتحت الباب أمام استفتاء محتمل على الانفصال، وفي أرمينيا، دعت الحركة الوطنية الأرمنية في برنامجها السياسي إلى "انتخابات حرة وحق الاستفتاء"، فضلاً عن ذلك، كانت هناك مظاهرات سلمية في مولدوفا ضد السلطات الشيوعية

(1) Razmik Panossian, The Irony of Nagorno-Karabakh: Formal Institutions versus Informal Politics, Op. Cit, p.315.

(2) Lalig Papazian A People's Will: Armenian Irredentism Over Nagorno- Karabakh, In The Making of Nagorno-Karabakh: From Secession to Republic, ed. Levon Chorbajian, New York: Palgrave, 2001, p.221.

(3) Moorad Mooradian, and Daniel Druckman, Hurting Stalemate or Mediation: The conflict over Nagorno-Karabakh, 1990-95. Journal of Peace Research, Vol. 36, No.6, 1999, pp. 709-710.

المحلية وحتى دعوات من قبل القوميين للذهاب إلى إضراب عام، في ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩م، أدانت هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي القوانين المتعلقة بالسيادة التي تم تمريرها في عام ١٩٨٩م^(١).

كان من الواضح بالفعل أن محاولات غورباتشوف لمنع تدمير النظام السوفييتي من خلال إصلاحه قد فشلت، ففي مواجهة الاختيار بين سلامة أراضي الدولة السوفييتية والديمقراطية، كانت قيادة غورباتشوف مقيدة دائماً بسلامة الأراضي على الديمقراطية، وبما أن سلامة الأراضي والديمقراطية أصبحتا متعارضتين تماماً، فلم تكن هناك فرصة لانتصار الديمقراطية دون تفكك الدولة السوفييتية^(٢)، وكان فشل الإصلاح الديمقراطي في المركز "تشجيع التمرد ضد النظام الشيوعي على اتخاذ شكل وطني"^(٣).

ثانياً: انتهاء الحكم السوفييتي على ناغورني - كاراباخ

أنهت موسكو في ٢٨/ تشرين الثاني ١٩٨٩م حكمها المباشر على ناغورني - كاراباخ وأعادت المنطقة إلى السيادة الأذرية، في ظل إحباطها من عجزها عن حل الأزمة، خشي حزب الاتحاد الديمقراطي أن يتمكن المتمردون الأرمن في ناغورني - كاراباخ ومن المناطق الحدودية مع أرمينيا من الاستيلاء على المنطقة بالقوة. ويمكن اعتبار مرسوم موسكو استسلاماً للمطالب السياسية لحزب الاتحاد الديمقراطي. ونتيجة لهذا، تم إنشاء "ميليشيا تطوعية إذرية" لموازنة وحدات الدفاع عن النفس التابعة لحركة القوميين الأتراك، وبدأت المناوشات بين الأطراف المتنازعة من الجانبين، وفضلاً عن ذلك، لتسهيل استعادة السيادة الأذرية، تم إنشاء لجنة إشراف على مستوى الجمهورية تتألف من إذريين لإدارة ناغورني - كاراباخ إلى أن يتم إعادة تأسيس

(1) Anny Bakalian, Armenian Americans: From Being to Feeling Armenian. New York: Routled, 1993,p.46.

(2) British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Impact of Soviet Disintegration on Regional Conflicts – Date: 10/06/1991 – Doc No: FCO/EEU/91/210.

(3) Monique Bolsajian, The Armenian Diaspora: Migration and its Influence on Identity and Politics, Global Societies Journal, Vol. 6, no. 1, 2018, p. 29.

أجهزة الحزب، وبهدف استعادة النظام في ناغورني-كاراباخ، تولت الوكالات الأذرية مسؤولية الأمن^(١).

وفي الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٩م تزامنت المظاهرات المناهضة للسوفييت والدعوات إلى إجراء استفتاء في دول البلطيق ومنطقة القوقاز مع سقوط الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية. ومع فرض أن التغييرات التي طرأت على الأنظمة في أوروبا الشرقية شجعت الجمهوريات على مواصلة المظاهرات والإضرابات وفي نهاية المطاف المطالبة بتقرير المصير^(٢).

وفي منطقة القوقاز، تدهورت العلاقات العرقية بين الأرمن والأذريين بحلول نهاية عام ١٩٨٩م، إذ استمر أفراد غير نظاميين من كلا المجتمعين في مهاجمة طرق النقل التي تربط بين ناخيتشيفان وإذربيجان وأرمينيا، وكانت القوات السوفييتية في المنطقة غير فعّالة على الإطلاق في الحفاظ على القانون والنظام^(٣) وفي موقف أشبه بـ"حافة الحرب"، استمر النزوح الديموغرافي في ناخيتشيفان، إذ شعر الأذريين بأنهم ملزمون بالتجمع في منطقة شوشي، ولم تنجح محاولات قوات الأمن العام في إنشاء "قوة خاصة" للدفاع عن حدود إذربيجان، ولم تنجح تحذيرات غورباتشوف لكلا الطرفين في تخفيف التوترات العرقية، وقد وقع الحدث السياسي الذي أشعل فتيل تصعيد الصراع في الأول كانون الأول ١٩٨٩م، عندما ضم المجلس الأعلى الأرمني ناخيتشيفان إلى أرمينيا، ووسع نطاق حقوق المواطنة لسكان المنطقة^(٤).

(1) Brubaker Rogers, Nationalism reframed: Nationhood and the national question in the New Europe, Cambridge: Cambridge University Press, 1996, P.88.

(2) Irina Ghaplanyan, Post-Soviet Armenia: The New National Elite and the New National Narrative, London: Taylor and Francis, 2017, P.134.

(3) Maria Koinova, Diasporas and Secessionist Conflicts: Mobilization of the Albanian, Armeni and Chechen Diasporas. Ethnic and Racial Studies, Vol. 34, no. 2, February 2011, pp.333-35.

(4) Gerard J. Libaridian, ed. The Karabagh File: Documents and Facts on the Region of Mountainous Karabagh (1918-1989), Toronto: Zoryan Institute for Contemporary Armenian Research & Documentation, 1989, p.169.

أثارت استعادة موسكو للسيادة الأذرية في ناغورني-كاراباخ بحلول أواخر عام ١٩٨٩م عدداً من القضايا، وكان أحد التفسيرات المحتملة أن غورباتشوف وافق على هذا الإجراء بسبب الإحباط. فبعد فشله في تهدئة الصراع باستخدام الحكم المباشر، كان البديل الوحيد هو التخلي عنه، وقد بدأ العمل السياسي مهيناً بالنسبة لموسكو لأنها استسلمت للضغوط القومية. لذلك، لقد كان غورباتشوف يضع الأساس لتسوية مستقبلية مفروضة على إذربيجان لمنع أي تغييرات في الحدود الجمهورية في الاتحاد السوفييتي^(١) ومن خلال وضع القضايا الإدارية والأمنية بالكامل تحت المسؤولية الأذرية، كان غورباتشوف يتوقع تجدد العنف بين الأرمن في كاراباخ والأذريين، لأن الأرمن في كاراباخ رفضوا في السابق السيطرة الإدارية المباشرة من باكو، ومن شأن تجدد العنف بين الطوائف أن يبرر بدوره التدخل المباشر من جانب موسكو وتنفيذ تسوية مخططة مركزياً للصراع في كاراباخ في مرحلة لاحقة، وهو ما من شأنه أن يستعيد هيبتها السياسية المفقودة، ومن شأن هذا النوع من التسوية أن يمكن موسكو أيضاً من الاحتفاظ بهيمنتها في جنوب القوقاز^(٢).

عدت السلطات الأذرية القرار الصادر في الأول من كانون الأول ١٩٨٩م، والذي يمكن اعتباره عملاً من أعمال التحدي الموجه إلى سلطات موسكو وبأكو، بمثابة انتهاك لسلامة أراضي إذربيجان ومطالبة رسمية بأراضيها، وعلى هذا النحو، أصدر المجلس الأعلى الأذري مرسوماً يقضي بأن قرار أرمنيا كان تدخلاً غير مسموح به في شؤون جمهورية إذربيجان الاشتراكية السوفييتية ذات السيادة، وقد أهم كلا المرسومين الصراع السياسي الأرمني الأذري للسيطرة على ناغورني-كاراباخ بشكل واضح^(٣).

(1) Richard G. Hovannisian, Armenia's Road to Independence, In The Armenian People from Ancient to Modern Times, Volume II, edited by Richard G. Hovannisian, New York: Palgrave Macmillan, 1997, p.100.

(2) Ibid. p.102.

(3) Ibid. pp.105-106.

ارتكب المجلس الأعلى الأرمني عملاً استفزازياً آخر عندما ناقش في التاسع من كانون الثاني ١٩٩٠م إعداد ميزانية لإقليم ناخيتشيفان^(١) ويمكن فهم هذا العمل السياسي بوصفه مظهراً من مظاهر اللامركزية الاقتصادية لإقليم ناخيتشيفان وتأكيداً آخر على المصالح الوطنية الأرمنية. ورداً على ذلك، تظاهر حشد من الجناح الراديكالي في الجبهة الشعبية الأرمنية وارتكب أعمال عنف ضد الأرمن في باكو، ما أدى إلى التدخل العسكري السوفييتي لوقف المذابح.^(٢) ولم تتمكن الجبهة الشعبية الأرمنية ذاتها من السيطرة على المعارضة الشيوعية الهائلة التي نشأت في إنزريجان، وبدا الأمر وكأن الصراع بين القومية الأذرية والحقوق الوطنية الأرمنية في تقرير المصير لن يكون له حل إلا بالعنف، والواقع أن أعمال العنف ارتكبت أيضاً على طول حدود ناخيتشيفان مع إيران وتركيا، عندما فكك الأذريين دفاعات الحدود واحتلوا مدينة لينكوران (Lankaran) الساحلية المطلّة على بحر قزوين، جنوب باكو، وهو العمل الذي أثار مخاوف أمنية إيرانية خطيرة في المنطقة^(٣).

شنت مجموعات من الشباب في ١٣ كانون الثاني / ١٩٩٠م هجوماً جديداً ضد الأقلية الأرمنية في باكو، اذ انفصلوا عن تجمع كبير في الساحة المركزية في باكو وبدأوا في الركض عبر المدينة ومهاجمة وقتل الأرمن. كما وقعت اشتباكات مسلحة بين المجتمعين في شمال خاركوف وعلى طول الحدود بين أرمينيا وإنزريجان، وخوفاً من المزيد من الهجمات، اقتحم الأرمن المنشآت العسكرية السوفييتية في أرمينيا وشمال خاركوف وصادروا الأسلحة لحماية

^(١) ناقش المجلس الأعلى الأرمني عام ١٩٩٠م ميزانية جمهورية ناخيتشيفان ذاتية الحكم، وسط تصاعد التوترات الإقليمية بين أرمينيا وإنزريجان جاءت هذه المناقشة حول الميزانية كجزء من سياق أكبر للنزاعات العرقية والإقليمية وخاصة فيما يتعلق بناغورني كاراباخ والمنطقة المجاورة ناخيتشيفان. وقد تصاعد هذا الصراع الطويل بعد عام ١٩٨٨، إثر زيادة مطالب الأرمن بضم ناغورني كاراباخ إلى أرمينيا، في ذلك الوقت، سعت السلطات الأرمينية إلى تأكيد حقوق الأرمن في المناطق المتنازع عليها وتقديم الدعم للمجتمعات الأرمنية في ناخيتشيفان، وقد أدى هذا الموقف إلى زيادة توتر العلاقات بين الجمهوريتين السوفييتيتين، سيما وأن ناخيتشيفان هي منطقة تتمتع بحكم ذاتي داخل إنزريجان ولها حدود مباشرة مع أرمينيا، للمزيد ينظر:

Nelly Der Kiurghian, Letter, Armenian International Magazine, May 1991.p.7.

⁽²⁾ Mikhail Gorbachev, Memoirs, New York and London: Doubleday, 1996, p.101.

⁽³⁾ Igor Ivanov, Vneshnaya Politika Rossii v Epokhu Globalizachii, Stati i Vustupleniya. Moscow: Olma Press, 2002, p.55.

أنفسهم. وقد يعكس هذا درجة التسامح والدعم من جانب الجيش السوفييتي لأرمينيا وبدورهم، برر المسؤولون الأرمن تشكيل وحدات شبه عسكرية ومصادرة الأسلحة لأغراض دفاعية^(١)، ومع ذلك، بالنسبة لبعض الأرمن، ربما كان الوضع الأمني المتوتر بمثابة ذريعة لتشكيل ميليشيات عسكرية مستقلة^(٢).

وكانت أعمال العنف المناهضة للأرمن في باكو في كانون الثاني نتيجة للتوترات المطولة والخطابات والتعبئة العرقية منذ عام ١٩٨٨م، والتي حرض عليها وارتكبتها بشكل خاص اللاجئين الأذريين اليائسون الذين طردوا من شمال إذربيجان بالآلاف، وجاء الرد السوفييتي في شكل حالة طوارئ أعلنتها هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى في الاتحاد السوفييتي، أرسل غورباتشوف يفجينى بريماكوف (Yevgen Primakov)، إلى باكو وعزز الآلاف من القوات السوفييتية لمنع المزيد من الفظائع والحفاظ على النظام في إذربيجان. وجاءت تعبئة موسكو للقوات متأخرة وأثارت الشكوك بين المراقبين حول ما إذا كانت القوات التي تم إدخالها قد أرسلت لمنع المزيد من العنف أو لفرض الاحتلال السوفييتي^(٣).

وبرر الكرملين سياسته التدخلية في إذربيجان بإعلانه أن القوميين الأذريين دعوا إلى الإطاحة بالقوة بالسلطة السوفييتية وانفصال إذربيجان عن الاتحاد السوفييتي، وبعد تغيير قيادة الحزب الشيوعي الأذري، نصبت موسكو إياز موتاليبوف (Ayaz Mutallibov)، الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمهورية، ولكسب الدعم الشعبي، تبنى موتاليبوف في الأشهر التالية برنامجاً دعا فيه إلى السيادة الأذرية على جمهورية ناغورني-كاراباخ، وانسحاب القوات السوفييتية، وفرض تدابير تأديبية على أعضاء الحزب عديمي المبادئ، ومع ذلك، دعا أيضاً إلى الاستقلال السياسي التدريجي "نظراً لاعتماد إذربيجان الاقتصادي على الإمدادات الروسية، ولقد أثبتت محاولات إياز موتاليبوف لإعادة بناء الثقة بين القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الأذري والشعب

(1) J. Hemment, The Riddle of the Third Sector: Civil Society, International Aid, and NGOs in Russia, Anthropological Quarterly, Vol. 77, No. 2, 2004, pp. 215-216.

(2) Ibid, p. 219.

(3) Anny Bakalian, Armenian Americans: From Being to Feeling Armenian, New York: Routledge, 1993, P. 99.

صعوبتها، وذلك لأن قوة الحزب الشيوعي السوفييتي وشرعيته كانت قد ضعفت بالفعل في الانتخابات شبه الحرة التي أجراها الحزب الشيوعي الأذري في آذار ١٩٨٩م^(١)، وفي أعقاب اقتراح ساخاروف في المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الأذري في أيار ١٩٨٩م بإلغاء احتكار الحزب الدستوري للسلطة السياسية، وسواء كان ذلك بموافقة ضمنية من موسكو على الأقل أم لا، فقد كان موتالييوف راغباً في إرضاء موسكو والأذريين على حد سواء، ولقد حاول موتالييوف، الذي اعتمد على موسكو بثبات، نزع سلاح القوميين، وكان يتوقع من السلطات السوفييتية أن تحل الصراع بين إذربيجان وأرمينيا لصالح إذربيجان، في مقابل ولاء إذربيجان لموسكو، وفي أرمينيا كانت المشاعر المعادية للسوفييت في أوجها عندما رفض غورباتشوف ضم قره باغ إلى أرمينيا، وفي وقت لاحق عندما فشلت القوات السوفييتية في منع العنف المناهض للأرمن في سومغايت^(٢)، وفي ٣١ أيار ١٩٨٩م، تم إطلاق سراح أعضاء لجنة قره باغ من السجن السوفييتي وسرعان ما انضموا إلى جهود المنظمات الداخلية والإنسانية واستأنفوا نشاطهم تحت اسم حركة القوميين الأرمن، تم اصطحاب الناشطين القوميين، المرحب بهم ترحيب الأبطال عند عودتهم، إلى ساحة الأوبرا للمشاركة في تجمع منتصف الليل، وفي الوقت الذي ظل فيه أعضاء لجنة كرونك التابعة لحركة القوميين الأرمينية المعتقلين في السجن وأُفرج

(1) Irina Ghaplanyan, Post-Soviet Armenia: The New National Elite and the New National Narrative, London: Taylor and Francis, 1990, p.245.

(2) تعمق استياء الأرمن بعد قرار غورباتشوف بنشر قوات سوفيتية في يريفان، ثم في باكو عام ١٩٩٠، للسيطرة على الحركات القومية المتزايدة في كلا الجمهوريتين في أرمينيا تم النظر إلى هذا التدخل العسكري ليس كخطوة لضمان السلام، بل كوسيلة لقمع طموحات الأرمن ومطالبهم، بالنسبة للأرمن، كان وجود القوات السوفييتية في عاصمتهم رمزاً للخيانة، حيث شعروا أنهم يُعاقبون بدلاً من أن يدعموا في نضالهم من أجل الحكم الذاتي في ناغورني كاراباخ. علاوة على ذلك، تشكلت لدى الأرمن قناعة بأن غورباتشوف وقيادة الاتحاد السوفييتي كانا يميلان لصالح أذربيجان في هذا الصراع، وقد عزز هذا الشعور تقاعس الحكومة السوفييتية عن اتخاذ إجراءات حازمة للتحقيق في حوادث مثل مذبحه سومغايت عام ١٩٨٨، التي استهدفت فيها مدنيون أرمن في أذربيجان، وأدى فشل السلطات السوفييتية في التعامل مع مثل هذه الأحداث بجديّة إلى شعور الأرمن بعدم الأمان وغياب الدعم، مما عزز لديهم الإحساس بالظلم وعدم الثقة في إدارة غورباتشوف، للمزيد ينظر:

Roving Revolutionaries, Armenians and the Connected Revolutions in the Russian, Iranian, and Ottoman Worlds, Oakland: University of California Press, 2019, p.399.

عنهم في وقت لاحق. تقدمت حركة القوميين الأرمن لترسيخ نفسها كممثل رائد للمطالب السياسية الأرمنية لأن الناس اعتقدوا أن القيادة المحلية للحزب الشيوعي لم تكن تدافع عن تلك المطالبات، كما رفضت الحكومة الشيوعية في أرمينيا الارتباط بحركة القوميين الأرمن وفضلت أن تظل مخلصاً لموسكو^(١).

ولكن الوضع السياسي في أرمينيا كان مختلفاً الآن، فبعد يومين من إطلاق سراح لجنة كاراباخ، تجمع (٥٠٠ ألف) شخص في منطقة ماتناداران (Matenadaran) لسماع خطاب تير بتروسيان، وقد أعلن علناً عن دعم لجنة كاراباخ للبيريسترويك والديمقراطية، واقترح أن تحظى أرمينيا بمكانة خاصة في الخطة الأوسع للإصلاح السوفييتي، ونتيجة لهذا، في ١٦ / حزيران، أعلن تير بتروسيان عن دعمه الكامل للجنة كاراباخ، واجتمع مندوبون من جماعات الإصلاح غير الرسمية في أرمينيا في جامعة يريفان لتحديد أهداف حركة القوميين الأرمن^(٢)، واقترحا عقد اجتماع عام لحركة القوميين الأرمن في الخريف، ويبدو أن حركة القوميين الأرمن، كما حدث في أماكن أخرى من الاتحاد السوفييتي، تبنت لنفسها دوراً مركزياً في السياسة الأرمنية، وقد أظهر هذا أن الحركة التي كانت في البداية حركة داخلية أصبحت سياسية في محتواها. والواقع أن الحركة نالت في ٢٨ / حزيران اعترافاً رسمياً من جانب المجلس الأعلى الأرميني^(٣).

وفي ١٩ / كانون الثاني ١٩٩٠م بدأت القوات السوفييتية هجومها على باكو، وبعد ساعات من القتال ومقتل أكثر من مائة إذري، احتلت القوات الروسية باكو، وأعادت السلطة للحزب الشيوعي وفرضت الأحكام العرفية السوفييتية، في الوقت الذي كان يصعب فيه السيطرة على الوضع خارج باكو إذ اندلعت اشتباكات عرقية في المناطق الحدودية بين أرمينيا وإذربيجان. وكان هدف التدخل العسكري السوفييتي سحق القوميين الأذريين، وتشويه سمعة الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان، وإقامة حكومة موالية للسوفييت ذات روابط قوية مع موسكو^(٤).

(1) Y. G. Barsegov, Nagornyy Karabakh v mezhdunarodnom prave i mirovoy politike. Vol. 1. Moscow: Krug.2008,p.89.

(2) Ibid,p.90.

(3) Herzig Edmund,Op.Cit,p.101.

(4) A. N. Yamskov,Ethnic Conflict in the Transcaucasus: The Case of Nagorno-Karabakh,Theory and Society, Vol. 20, No. 5, Special Issue on Ethnic Conflict in the Soviet Union,Oct, 1991, p. 631.

الفصل الثاني

الامر الذي يعزز موقف قيادة غورباتشوف لتحقيق البيرسترويكا ومواصلة عملية التحول الديمقراطي في الاتحاد السوفييتي ولكن في الوقت نفسه الحفاظ على الدولة الفيدرالية القوية من أجل تلبية مصالح جميع المجموعات العرقية المتحدة في الإمبراطورية السوفييتية، وقد تم الترويج لهذا الخط من التفكير في الجلسة الكاملة للجنة المركزية بشأن مسألة القوميات، عندما رفض غورباتشوف أي تغييرات في البنية الفيدرالية، ولكن الأحداث المأساوية التي وقعت في كانون الثاني الأسود خلقت مشاعر كراهية وجروحاً جديدة ضد السوفييت بين الأذريين، وكان من الصعب للغاية نسيانها^(١).

أدى تصاعد العنف في كانون الثاني ١٩٩٠م إلى اقتراب حركة القوميين الأتراك من إزراع السلطة السياسية. فقد عمل رفاق حركة القوميين الأتراك وممثلوها كفريق لإدارة الأزمات، وفي كثير من الأحيان مع الحكومة ومسؤولي الحزب الشيوعي. كما نظمت الحركة عدداً من الميليشيات غير الرسمية لتكون بمثابة "كتائب للدفاع عن النفس"، وفي شمال إذربيجان أيضاً، كانت الجماعات المسلحة الأرمنية تقوم بدوريات، ولاسيما في المناطق التي كانت القرى الأرمنية والأذرية قريبة من بعضها البعض، وفي شباط، اتخذت الحركة خطوة أخرى عندما أجرت لجنتها التنفيذية محادثات مع ممثلي الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا في ريغا، لاتفيا، تحت رعاية مجلس البلطيق. وفي عرض غير عادي للتضامن، أدانت الحركة استخدام السوفييت للقوة في باكو، وأصدر الجانبان بياناً دعياً فيه إلى وقف إطلاق النار اعتباراً من ١٥/ شباط وإنشاء مجلس لحل جميع النزاعات العالقة^(٢).

وفي موسكو اكتسبت بعض الأحداث زخماً درامياً. ففي (٤/إذار ١٩٩٠م) جرت انتخابات الحزب الديمقراطي الروسي، وخرج الديمقراطيون، الذين ساعدتهم "كتلة روسيا الديمقراطية الانتخابية"^(٣)، منتصرين، ففازوا بـ ٢٠% من المقاعد في الحزب الديمقراطي

(1) Herzig Edmund, Op.Cit, p.97.

(2) Gafarli Orhan, The Karabakh Ceasefire and regional economics, The Central Asia-Caucasus Analyst, 2021, p.136.

(3) British Embassy, Moscow — To: FCO London — Subject: Soviet Policy Toward Nagorno-Karabakh Unrest — Date: 15/02/1990 — Doc No: FCO/EEU/90/102.

الروسي^(١) ورداً على النزعة القومية للهويات الوطنية غير الروسية التي منحها الفيدرالية العرقية الإقليمية السوفييتية صفات الدولة، بدأ الروس أيضاً يفكرون في إقامة الدولة، والواقع أن مثل هذه المشاعر وجدت تعبيراً سياسياً لها في الاجتماع الأول للحزب الديمقراطي الروسي في ٢٩ /أيار/ ١٩٩٠م، عندما انتُخب **بوريس يلتسين (Boris Yeltsin)**، رئيساً للبرلمان الروسي، وكان فوز يلتسين، الذي لم يرحب به غورباتشوف بسبب مطالبته الأكبر بالديمقراطية، سبباً في دفع الجمهوريات الاسمية والتشكيلات الحكومية الأصغر حجماً إلى محاولة اتباع طريقها الخاصة لحل المشاكل^(٢).

وبدأ الهيكل الفيدرالي السوفييتي في التفكك في حزيران عام ١٩٩٠م، عندما تبني الحزب الشيوعي الروسي "إعلان سيادة الدولة لجمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية" بأغلبية ساحقة. وذكر الإعلان أن "سيادة جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية كانت شرطاً فريداً وضرورياً لوجود الدولة الروسية" وأن "جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية ستحتفظ لنفسها بالحق في الانفصال بحرية عن الاتحاد السوفييتي". كما أكد على "أولوية الدستور والقانون الروسي على التشريع السوفييتي، وإذا كان تمرد روسيا ديمقراطياً وجاء في شكل وعي ذاتي وطني روسي استجابة للمشاعر المناهضة لروسيا المتزايدة في أماكن أخرى من الاتحاد، فإنه في الوقت نفسه أثار سلسلة من إعلانات السيادة من قبل الجمهوريات الاسمية التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفييتي^(٣).

وفضلاً عن ذلك، اكتسبت أول حكومة غير شيوعية في أرمينيا السلطة في ٥ /آب/ ١٩٩٠م، وانتُخب تير بتروسيان، أحد الأعضاء المؤسسين للجنة كاراباخ وزعيم حركة القوميين الأرمن، رئيساً لمجلس السوفييت الأعلى في أرمينيا، وانتقلت السلطة من الشيوعيين إلى القوميين بعد انتصار حاسم لحركة القوميين الأرمن وحلفائها في أواخر تموز على الحزب الشيوعي في

(1) Mark A. Uhlig, The Karabakh War, World Policy Journal, Vol. 10, No. 4 (Winter, 1993/1994), pp. 47-48.

(2) Ron Hill, The Collapse of the Soviet Union, History Ireland, Vol. 13, No. 2 Published By: Wordwell Ltd, Mar, 2005, p. 37.

(3) Ibid, p. 40.

انتخابات مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية^(١)، وأصبح نشاط الحركة الداخلية ومؤسسو حركة القوميين الأرمن الذين اعتبروا أنفسهم منتقدين للنظام السوفييتي مشاركين في السياسة، ومع ذلك، كان العديد من داخل حركة القوميين الأرمن مترددين في تحويل الحركة إلى حزب سياسي رسمي، ومن الواضح أن المؤتمر التأسيسي لحركة القوميين الأرمن في تشرين الثاني ١٩٨٩ م أفسح المجال لكل من أراد العمل تحت لواء حركة القوميين الأرمن، وكان من بين أولئك الذين انتخبوا لمجلس السوفييت الأعلى الأرمني عدد من الناشطين الديمقراطيين المرتبطين بـ لجنة كاراباخ، كما ضمت كتلة حركة القوميين الوطنيين داخل المجلس الأعلى الأرمني "قوميين متشددين، وشيوعيين سابقين راغبين في الانضمام إلى حركة القوميين الوطنيين، وديمقراطيين ليبراليين ذوي توجه غربي"^(٢)، وأظهر هذا أن مشاركة حركة القوميين الوطنيين في الانتخابات لم تكن تستند قط إلى مفهوم الانضباط الحزبي^(٣).

وفي ٢١/أيلول ١٩٩١م، صوتت أرمينيا بأغلبية ساحقة لصالح الانفصال عن الاتحاد السوفييتي بناءً على قانون الانفصال الذي صدر في نيسان ١٩٩٠م على مستوى الاتحاد، وفي ١٦ تشرين أول ١٩٩١ أصبح تير بتروسيان أول رئيس لأرمينيا يُنتخب بتصويت شعبي، وأجري الاستفتاء على الاستقلال بعد الانقلاب الفاشل في آب ١٩٩١م ضد غورباتشوف، مما يعني أن "أرمينيا اختارت المسار الصحيح في اتخاذ قرار الانفصال دون أن ترتبط بالمتأمرين الذين حاولوا استعادة الشيوعية"^(٤).

وفي إذربيجان ارتكبت حكومة موتالييوف الموالية للشيوعية خطأً تكتيكياً فادحاً، بدعمها لانقلاب موسكو في آب ١٩٩١م، الذي حاول مدبروه إعادة الشيوعيين المحافظين إلى السلطة.

(1) Eduard Abrahamyan, Gyumri murders threaten to disrupt Armenia's relations with Russia: The Central Asia-Caucasus ANALYST, February 2001, p.666.

(2) A. G. Elibegova, Strategicheskaya rol' osi Moskva Yerevan Tegeran v formirovanii geopoliticheskoy kartiny Zakavkaz'ya, Vestnik Rossiyskogo universiteta druzhby narodov, Seriya: Politologiya (2), 2009, pp.89-90.

(3) S. Freizer, Twenty years after the Nagorny Karabakh ceasefire: an opportunity to move towards more inclusive conflict resolution, Caucasus Survey, 2014, p.109.

(4) S. Freizer, Op. Cit, p.95.

الفصل الثاني

وعلى الرغم من عدم شعبية موتالييفوف في الداخل، فإن الجبهة الشعبية الأذرية، بوصفها المعارضة القومية، فشلت في عزله، وقد كان استمرار الصراع بين ناغورني-كاراباخ وإذربيجان في السلطة وسوء إدارته، واستعادة السيادة الأذرية، أثر على الاستقرار الداخلي للجمهورية وأضعف موقفها الوطني الموحد ضد التهديدات الإقليمية الأرمنية، كما فشل موتالييفوف في إعادة ناغورني-كاراباخ إلى وضعها السابق، أي قبل ٢٠ شباط ١٩٨٨م في الواقع، بحلول ربيع عام ١٩٩٠م، تحولت الحركة الدستورية السلمية التي قادها نشطاء ناغورني-كاراباخ من أجل تحقيق الحقوق الأرمنية في المنطقة إلى عنف وحرب عصابات بين الدولتين. أدى الاستخدام الفعّال للصراع بين ناغورني-كاراباخ كوسيلة للتعبئة السياسية مع المزيد من تخفيف سيطرة المركز على الأطراف بعد انقلاب موسكو عام ١٩٩١م إلى دفع أرمينيا وإذربيجان نحو حرب مفتوحة في عام ١٩٩١م^(١)، وسنوضح في الفصل الثالث تفاصيل الحرب وكيف حاولت كلتا الدولتين إجهاض مبادرات السلام المبكرة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.

(١) V. N. Kazimirov, Mir Karabakhu, Posrednichestvo Rossii v Ureguliravirii Nagorno Karabakhskogo Konflikta, Moscow: Mejdunarodie Otnosheniya, 2009, p. 76.

الفصل الثالث

الحرب الأرمنية – الأذرية (١٩٩١-١٩٩٤م)

المبحث الأول: المرحلة الأولى من الحرب

أولاً: التصعيد وبداية الحرب

ثانياً: التطورات العسكرية والسياسية في ناغورني كاراباخ

ثالثاً: الجهود الدبلوماسية المبكرة والمواقف الدولية لاحتواء الصراع

المبحث الثاني: العمليات العسكرية (١٩٩٢-١٩٩٣م)

أولاً: المرحلة الثانية من الحرب ١٩٩٢م

ثانياً: دور مجلس الأمن الدولي في صراع ناغورني-كاراباخ

المبحث الثالث: مجريات الحرب الأرمنية الأذرية (١٩٩٣-١٩٩٤م)

أولاً: المواقف الدولية لإحلال السلام في إقليم ناغورني-كاراباخ

ثانياً: المراحل الأخيرة من الحرب (١٩٩٣-١٩٩٤م)

ثالثاً: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية للحرب

المبحث الأول

المرحلة الأولى من الحرب

أولاً: التصعيد وبداية الحرب

انتخب تير بيتروسيان رئيساً لأرمينيا في الرابع والعشرين من كانون الأول ١٩٩١، وجرى تهنئته من قبل الرئيس التركي سليمان ديميريل (Süleyman Demirel) ^(١)، الذي عرض عليه التعاون السياسي والاقتصادي بين البلدين، وفي خطوة سياسية، لم يقترح ديميريل منح أرمينيا حق الوصول إلى ميناء طرابزون على البحر الأسود فحسب، بل وعد أيضاً ببدء عضوية أرمينيا في منظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، وهي المنظمة الإقليمية التي أنشئت في عام ١٩٩٢م، فضلاً عن ذلك، كانت تركيا تعترم بناء خط أنابيب للغاز والنفط يربط حقول النفط في جمهوريات آسيا الوسطى بطرابزون عبر أرمينيا ^(٢)، وعلى هذا فإن طرابزون سوف تصبح منطقة اقتصادية حرة لأرمينيا، وهو ما من شأنه أن يسهل إعادة إنشاء شبكة السكك الحديدية على طول الحدود الأرمنية التركية ^(٣).

(١) سليمان ديميريل (١٩٢٤-٢٠١٥): سياسي ورجل دولة تركي، شغل منصب رئيس وزراء تركيا مرات عدة بين عامي (١٩٦٥ - ١٩٩٣)، كما أصبح الرئيس التاسع للجمهورية التركية بين عامي (١٩٩٣ - ٢٠٠٠)، ويُعرف ديميريل بكونه أحد الشخصيات البارزة في السياسة التركية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث لعب دوراً مهماً في تحديث الاقتصاد التركي والبنية التحتية، لكنه واجه أيضاً العديد من الأزمات السياسية والانقلابات العسكرية لاسيما (١٩٧١ - ١٩٨٠)، وتميز بأسلوبه البراغماتي وقدرته على البقاء في المشهد السياسي رغم الانتكاسات، وكان له تأثير كبير في التحولات الديمقراطية بتركيا، للمزيد ينظر :

Burhanettin Duran, The Transformation of Turkey's Political System and the Executive Presidency, Insight Turkey, Vol 18, No,4, 2016 , p,20.

(٢) أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مراجعة: نافع وبرهان كوروغلو، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٢١-١٢٣.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن تركيا أبدت تساهلاً فيما يتعلق بانضمام أرمينيا إلى المنظمة، على الرغم من عدم وقوعها على ساحل البحر الأسود، وهذا الموقف التركي كان محاولة لتقادي الظهور كطرف مباشر في الصراع بين أذربيجان وأرمينيا، وسعيًا للقيام بدور الوسيط في المنطقة، للمزيد ينظر :

وكان بتروسيان مهتماً بالمبادرة التركية إذ من شأنها أن توفر لأرمينيا غير الساحلية آفاقاً جديدة للتنمية الاقتصادية^(١)، وأن تربطها بالأسواق العالمية، وعلى هذا فقد تمكن بتروسيان من نزع فتيل الحرب العرقية من خلال التحرك نحو التنمية الاقتصادية والديمقراطية^(٢)، ويبدو أن الخطة التي بدأتها شركة تركية أميركية مشتركة وضعت أرمينيا عند مفترق طرق، والواقع أن العقد الأولي لتنفيذ الخطة، الذي تم توقيعه في موسكو، فرض على أرمينيا "التعاون غير المشروط". وبدأ الأمر وكأن النظرة الاقتصادية الطموحة التي وضعها تير بتروسيان لأرمينيا المستقلة تتعارض مع المصالح الاقتصادية الروسية في القوقاز، وهذا أثار عدداً من التساؤلات: هل تشجع روسيا أرمينيا على الانجراف تدريجياً نحو الغرب؟ وهل تشجع أيضاً بناء خط أنابيب نفطي بمبادرة غربية وتمويل غربي في ما يسمى بالجوار القريب من دون موافقتها الضمنية؟ ولقد كان تصعيد العنف بين أرمينيا وإذربيجان في عام ١٩٩١ م وتواطؤ الاتحاد السوفييتي في بعض المعارك^(٣)، كافياً لتوفير بعض الإجابات على هذه التساؤلات^(٤).

شنت القوات المسلحة السوفييتية في ٣٠/ نيسان ١٩٩١، بمساعدة قوات الميليشيات الخاصة أومون (Omon)^(٥)، هجوماً ضخماً لفرض السيطرة على جمهورية ناغورني - كاراباخ،

Levon H. Abrahamyan, The Karabagh Movement as Viewed by an Anthro-pologist, Armenian Review, Vol. 43, no. 2-3, 1991, p. 67-68.

^(١) جراهام فولر، الجمهورية التركية الجديدة تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات مترجمه، أبو ظبي، ٢٠٠٩، ص ٤١.

^(٢) Levon H. Abrahamyan, Op. Cit, p. 71

^(٣) CIA Directorate of Intelligence National Intelligence Officers / Operation Ring: Soviet military crackdown and deportation in Nagorno-Karabakh / CIA-RDP91B00232R000300120004-5 / April 30, 1991.

^(٤) محمد طلعت، العلاقات التركية - الروسية، مجالات التقارب وقضايا الخلاف، رؤية تركية، العدد ٢، ٢٠١٣، ص ١٥١.

^(٥) الأومون: هي وحدة شرطة خاصة في روسيا وسابقاً في الاتحاد السوفييتي تُستخدم للسيطرة على أعمال الشغب والعمليات الخاصة، تأسست عام ١٩٨٨ تحت إشراف وزارة الداخلية السوفييتية، شاركت الأومون في قمع الاحتجاجات ومكافحة الإرهاب، وعمليات إنفاذ القانون في مناطق النزاع مثل الشيشان وداغستان، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، احتفظت العديد من الجمهوريات السوفييتية السابقة بوحدة مماثلة تحت نفس الاسم أو بأسماء مختلفة، للمزيد ينظر:

وبدا هذا متسقاً مع سياسة موسكو الرامية إلى منع التغييرات الحدودية بين الجمهوريات والتي قد تهدد البنية الفيدرالية للاتحاد السوفييتي، وقد تعهدت هذه القوات بـ "عمليات ترحيل منهجية" (رغم زعمها أنها ستكون مؤقتة) للسكان الأرمن من قرى وبلدات جمهورية ناغورني-كاراباخ إلى ستيباناكيرت، من أجل استبدالهم باللجئين الأذريين الذين فروا من أرمينيا إلى ناغورني-كاراباخ^(١) وقد أدى هذا الهجوم العسكري، المعروف باسم "عملية الطوق"، إلى انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، كما شهد تواطؤاً سوفيتياً مع القوات الأذرية^(٢) ووفقاً لتقرير صادر عن هيومن رايتس ووتش (H.R.W) (Human Rights Watch)^(٣)، فقد أدت هذه العملية إلى إخلاء ما بين ٢٢ و ٢٤ قرية أرمينية، وتم تنفيذها "بدرجة غير مسبقة من العنف، وقد أدى التأثير العميق لعملية الطوق على الأرمن في كاراباخ إلى

Audrey L. Altstadt, Op,Cit, p.211.

(1) Rouben P. Adalian, Armenia and Karabagh Factbook. Washington: Arme-nian Assembly of America, 1996,p.66.

(2) CIA National Intelligence Council ,Senior Policy Makers / Zheleznovodsk Communiqué: ceasefire attempt between Armenia and Azerbaijan over Nagorno-Karabakh / CIA-RDP91B00232R000500230009-8 / September 23, 1991.

(٣) منظمة هيومن رايتس ووتش: هي منظمة غير حكومية دولية مستقلة تُعنى بالدفاع عن حقوق الإنسان في مختلف أنحاء العالم، تأسست المنظمة في عام ١٩٧٨ تحت اسم "هيومن رايتس ووتش" بعد اتحاد عدة مجموعات حقوقية كان أهمها مراقبة حقوق الإنسان، تركز المنظمة على توثيق الانتهاكات لحقوق الإنسان، مثل التعذيب والقتل خارج نطاق القضاء والتمييز، والاعتقال التعسفي، وغيرها من الانتهاكات التي ترتكبها الحكومات أو الجماعات المسلحة، وتعتمد هيومن رايتس ووتش على البحث الميداني والموارد المتاحة لإعداد تقارير مفصلة وموثوقة حول قضايا حقوق الإنسان، تسعى المنظمة إلى محاسبة الحكومات والجماعات المسلحة على أفعالهم من خلال الضغط الدولي، وتستخدم منصات مثل الأمم المتحدة والمحاكم الدولية لرفع قضايا حقوق الإنسان، يتمثل هدفها الرئيس في تعزيز حقوق الإنسان وحمايتها على مستوى العالم، للمزيد ينظر :

Aryeh Neier, The International Human Rights Movement, A History, Publisher: Princeton University Press, 2012, pp.23-24,

ظهور قيادة أرمنية أكثر تشدداً في شمال قره باغ لحماية القرى الأرمنية من المزيد من الهجمات^(١).

بررت موسكو وباكو عمليتهما العسكرية بإعلانهما أنها سعت إلى مصادرة الأسلحة غير المشروعة واحتجاز "الجماعات شبه العسكرية الأرمنية" التي تحدث تنفيذ مرسوم غورباتشوف الصادر في ٢٥ تموز ١٩٩٠ بشأن نزع سلاح الجماعات شبه العسكرية وكانت في الوقت نفسه تهاجم القرى الأذرية. وتحت نفس الذريعة استمرت عملية "الطوق" حتى تموز عام ١٩٩١،^(٢) في محاولة لإضعاف معنويات الأرمن وتثبيهم عن متابعة مطالبهم الإقليمية. ولكن هذه المرة جاء الرد من تير بتروسيان، الذي نظر إلى العمليات العسكرية السوفييتية بوصفها "حرباً غير معلنة" و"إرهاب دولة" ضد الجمهورية الأرمنية المستقلة حديثاً^(٣)، وفشلت السياسة السوفييتية المتمثلة في استخدام الخيار العسكري التقليدي لحل الصراع وسحق المعارضة، إذ استمرت العصابات المسلحة والمليشيات الأرمنية في مقاومة جمهورية إذربيجان الشمالية، وفي صيف وأوائل خريف عام ١٩٩١م، رد الأرمن على عملية "الطوق" بشن هجمات لاستعادة قراهم، وحاول الأذريين صدهم باستخدام القوة للتصدي لإعلان ناغورني - كاراباخ للاستقلال، وكان استخدام القوة من جانب النظام السوفييتي يتعارض مع سياسة البيريسترويكا التي تبناها غورباتشوف وعملية التحول الديمقراطي في الاتحاد السوفييتي، وظل التدخل العسكري السوفييتي في ناغورني - كاراباخ يشكل عاملاً في تصعيد العنف العرقي في عام ١٩٩١م^(٤).

(1) Andrea Chandler, and Charles F. Futado Jr., eds. Perestroika in the Soviet Republics: Documents on the National Question. Boulder, CO: Westview Press, 1992, p.73.

(2) The Washington Post (pre-1997 Fulltext), Sep 15, 1991, p.23.

(3) Rouben P. Adalian, op,city, p.70.

(٤) شكل التدخل السوفييتي عامل تصعيد في كاراباخ عام ١٩٩١ لأسباب عدة كان أهمها القمع العنيف للمظاهرات والاحتجاجات استخدمت القوات السوفييتية القوة ضد السكان الأرمن في كاراباخ الذين كانوا يطالبون بالانفصال عن أذربيجان، مما زاد من حدة التوترات وأدى إلى تفاقم المشاعر القومية، بالإضافة إلى ازدواجية الموقف السوفييتي، ففي بعض الأحيان، تدخلت القوات السوفييتية لدعم أذربيجان من خلال عمليات أمنية ضد الجماعات الأرمنية، وفي أوقات أخرى سعت لضبط الوضع دون اتخاذ موقف واضح مما زاد من عدم الثقة بين الطرفين، علاوة على ذلك، ومع اقتراب انهيار الاتحاد السوفييتي، أصبحت السلطات

وإذا كانت نية موسكو استخدام القوة هي إرسال إشارات إلى الأرمن مفادها أن مطالبهم غير مقبولة وأنهم مضطرون إلى حل الصراع بين ناغورني-كاراباخ وإذربيجان بالطرق الدبلوماسية، فإنها نجحت في تحقيق اختراق محدود^(١) وكانت الإشارة الرئيسية موجهة إلى تير بتروسيان حتى يتخلى عن توجهه الموالي للغرب ويختار التوجه التقليدي الموالي لروسيا الذي يتبناه الأرمن^(٢) وفي ٢٣/ من أيلول ١٩٩١ حاول الأرمن والأذريين التفاوض على اتفاق سلام محتمل^(٣) بدأه الرئيس الروسي بورييس يلتسين ورئيس كازاخستان نور سلطان نزاربايف، ولكن المفاوضات توقفت عندما تحطمت مروحية كانت تقل مسؤولين روساً وإذريين. وبدلاً من وقف الاشتباكات العرقية، أدت عملية "الحلقة" إلى زيادة المناوشات بين الأرمن والأذريين وخلقت حالة من التوتر الشديد بين الجانبين ، ولقد كان من الواضح أن هذه المعضلة الأمنية كانت قائمة بين الطرفين. ومع تسليح الأرمن لحماية أنفسهم من الهجمات الأذرية المحتملة، تضاعفت مخاوف الأذريين، فقاموا بالمثل بتسليح أنفسهم لنفس الغرض، ونتيجة لذلك ، تزايد عدد اللاجئين والضحايا على الجانبين بسرعة، وأصبحت إمكانية التعايش بين المجتمعين في إذربيجان صعبة، وبحلول أواخر عام ١٩٩١م، حاولت كل مجموعة الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي^(٤).

حاول موتالييوف استقطاب المشاعر القومية المتصاعدة في إذربيجان من أجل مواجهة المطالب الشعبية المتزايدة باتخاذ موقف حازم بشأن ناغورني-كاراباخ، وبعد إعلان الاستقلال في ٢٠/ آب ١٩٩١م، صوت البرلمان الأذري في تشرين الثاني عام ١٩٩١م على إنهاء الوضع

المركزية غير قادرة على فرض سيطرتها بفعالية، مما خلق فراغاً أمنياً استغلته القوات الأرمنية والأذرية لتوسيع نطاق المواجهات المسلحة، للمزيد ينظر:

Raffi Hovannisian, Nagorno Karabagh: A White Paper, Washington, D.C.: Arme-nian Assembly of America, 1997, p.119.

(١) محمد السيد سليم، التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية، مجلة السياسة الدولية، السنة ٤٢، العدد ١٧٠، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

(2) Krüger Heiko, The Nagorno-Karabakh Conflict: A Legal Analysis, Springer, New York: 2010, pp. 23-24.

(3) The Washington Post , Sep 25, 1991, p.21.

(4) David Abel, Turkey Poised to Play a Greater Role in Europe. Defense Week 0273-3188. 15 November, 1999, p.64.

الفصل الثالث

المستقل لناغورني-كاراباخ^(١)، وأشار هذا التصويت إلى رغبة إذربيجان في ممارسة السيادة الكاملة على الأخيرة، ودفع العمل السياسي هذا المؤتمر الوطني الذي كان مسيطراً على ناغورني-كاراباخ، إلى الدعوة إلى استفتاء على استقلال ناغورني-كاراباخ من أجل تقرير وضعها المستقبلي^(٢)، وكان هذا متوافقاً مع الوضع السياسي العام في الاتحاد السوفيتي والمتزامن مع اعلان الاستقلال في الجمهوريات السوفيتية، وكان ذلك الحل الوحيد الذي يمكنهم تصوره لمواجهة القرار الأذري^(٣)، والواقع أن سكان ناغورني-كاراباخ البالغ عددهم (١٨٠ ألف نسمة، أغلبهم من الأرمن) صوتوا بأغلبية ساحقة لصالح الاستقلال في خريف عام ١٩٩١، وقاطع السكان الأذريين، الذين يشكلون ٢٥% من إجمالي سكان شمال قوقاز الاستفتاء، فضلاً عن ذلك، نظم انتخابات عامة لتشكيل برلمان يضم مقاعد للإذريين أيضاً على أساس التمثيل النسبي. وعلى الرغم من مقاطعة الأذريين في شمال قوقاز للاستفتاء، فقد انتُخب البرلمان في السادس من كانون الثاني ١٩٩٢ م وأعلن الاستقلال عن إذربيجان، ومع إدخال الديمقراطية وانفصال إذربيجان في وقت سابق عن الحكم السوفيتي، سعى الأرمن في شمال قوقاز إلى الهروب الدائم من الدولة التي رأوا أنها تقمعهم^(٤).

(١) CIA Directorate of Intelligence , Intelligence Community / Shootdown of Mi-8 peace helicopter near Karakend, escalation of Nagorno-Karabakh conflict / CIA-RDP91B00232R000600200012-7 / November 20, 1991.

(٢) جري الاستفتاء على استقلال ناغورني كاراباخ في ١٠ كانون الأول ١٩٩١ من قبل سلطات مقاطعة ناغورني كاراباخ ذات الحكم الذاتي، وجاء تنظيم الاستفتاء بعد تصاعد التوترات والصراع العرقي بين الأرمن والأذريين في أواخر الثمانينيات، خلال السنوات الأخيرة من عمر الاتحاد السوفيتي، عارضت السلطات الأذرية الاستفتاء، كما قاطعه معظم السكان الأذريين في المنطقة. ووفقاً للنتائج الرسمية بلغت نسبة المشاركة: حوالي ٨٢% ونسبة التصويت بـ "نعم": أكثر من ٩٩% صوتوا لصالح الاستقلال، ولم تعترف أذربيجان ولا المجتمع الدولي بنتائج هذا الاستفتاء، وقد أصبح لاحقاً نقطة محورية في نزاع ناغورني كاراباخ، مما أدى إلى اندلاع حرب شاملة بين أرمينيا وأذربيجان في أوائل التسعينيات، للمزيد ينظر:

Levon Chorbajian, Op.Cit,p.114.

(٣)William C.Bodie,Op.Cit, pp.51-52.

(٤) Svante E. Cornell, Turkey and the Conflict in Nagorno-Karabakh: A Delicate Balance ,Op.Cit,pp.63-64.

ولم تحظ جمهورية ناغورني- كاراباخ المعلنة ذاتياً بالاعتراف الدولي، حتى من جانب أرمينيا، التي حاولت تجنب الانتقادات الدولية لدعمها الحرب في ناغورني- كاراباخ وخشيت تنفير روسيا وتركيا، وبدا الأمر وكأن أرمينيا فقدت السيطرة على ناغورني- كاراباخ، وحاولت أرمينيا أن تقنع المجتمع الدولي بأن المنطقة تتمتع بنفس الحق في الحكم الذاتي الذي تتمتع به الجمهوريات الاسمية، وقد يبدو الموقف الدبلوماسي الأرميني تكتيكياً، ولكن كان من المعترف به أن تير بتروسيان يواجه صعوبات في إقناع القيادة الراديكالية في كاراباخ بالموافقة على خيارات سياسية أقل استفزازية^(١).

اشتدت الخلافات بين قيادة كاراباخ وتير بتروسيان بعد الثامن من كانون الثاني ١٩٩٢، عندما انتُخب ميكيرشيان (Mkrtchyan) رئيساً لمجلس السوفييت الأعلى في كاراباخ. وبدا أن تير بتروسيان كان يدعم روبرت كوتشاريان (Robert Kocharyan)^(٢)، رئيس لجنة الدفاع في الدولة، ضد ميكيرشيان من أجل أن يكون له تأثير في سياسة كاراباخ. ويبدو أن هذه الانتخابات عززت العلاقة بين العناصر المتطرفة في كاراباخ وأنصارهم في أرمينيا، وأعطت الطاشناق في يريفان نفوذاً إضافياً ضد تير بتروسيان، مما سمح لهم بإثارة الشكوك حول التزامه الوطني بالنضال في كاراباخ^(٣) واعتبر حزب الطاشناق، تهديداً للجمهورية الأرمينية ويؤيد اتخاذ موقف أكثر صرامة ضد أنقرة" طالما رفضت تركيا الاعتراف بالإبادة الجماعية للأرمن عام ١٩١٥م، وفي نهاية المطاف، انحاز الطاشناق في أرمينيا إلى المعارضة السياسية، أي إلى اتحاد تقرير المصير، الذي شكل ائتلافاً ضد سياسة تير بتروسيان تجاه قره باغ، وفي إشارة واضحة إلى

(١) Patricia Carley, Op.Cit, p.176.

(٢) روبرت كوتشاريان (١٩٥٤-): سياسي أرميني شغل منصب الرئيس الثاني لأرمينيا من (١٩٩٨ إلى ٢٠٠٨) أدى دوراً محورياً في حرب ناغورني- قره باغ الأولى، وقبل ذلك ترأس جمهورية ناغورني قره باغ المعلنة ذاتياً كرئيس من (١٩٩٤ - ١٩٩٧)، ثم أصبح رئيس وزراء أرمينيا في ١٩٩٧، تميزت فترة رئاسته بنمو اقتصادي لكن شابتها اتهامات بالسلطوية وتزوير الانتخابات، بعد مغادرته السلطة، واجه تهم فساد وقضايا قانونية مرتبطة بقمع احتجاجات ما بعد الانتخابات الدموية عام ٢٠٠٨، لا يزال كوتشاريان شخصية مثيرة للجدل لكنها مؤثرة في المشهد السياسي الأرميني، مع حفاظه على صلات وثيقة بالنخب الاقتصادية والسياسية. يرتبط إرثه ارتباطاً وثيقاً بتطور أرمينيا ما بعد الحقبة السوفيتية، والنزاع المستمر حول قره باغ، للمزيد ينظر :

Aleksandr Bessmertnykh, Op.Cit, pp.20-21.

(٣) Peter Balakian, The Burning Tigris: The Armenian Genocide and America's Response, New York: HarperCollins, 2003, p.67.

السخط على قيادة قره باغ، أعلن تير بتروسيان أن أرمينيا تخلت عن جميع المطالبات الإقليمية في قره باغ وأنها فقدت كل نفوذها على القرارات السياسية التي اتخذتها، ومع ذلك، استمرت أرمينيا في تزويد قره باغ بالمساعدات الإنسانية والأغذية والأسلحة^(١).

مارس حزب الطاشناق ضغوطاً على أرمينيا للاعتراف باستقلال ناغورني-كاراباخ، وفضلاً عن ذلك، صوت المؤتمر الوطني في ناغورني-كاراباخ لصالح الانضمام إلى رابطة الدول المستقلة التي أنشئت في ٧-٨ كانون الأول ١٩٩١ بقيادة الجمهوريات السلافية روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا، ولكن تم تجاهل الطلب، وطالب المؤتمر الوطني بمنطقة شاوميان جيرانبوي (Shaumyan Goranboy)، التي استبعدت من الحدود النهائية لناغورني-كاراباخ في عام ١٩٢٣م، وتبع ذلك اندلاع قتال فوري بين الأرمن والأذريين، ومع ذلك، استبعدت قيادة كاراباخ أي حل سلمي لا يقبل استقلال ناغورني-كاراباخ مع شاوميان كجزء منه، وكانت سياسة قيادة كاراباخ تتناقض مع النهج الدبلوماسي السلمي الذي تبناه تير بتروسيان، الذي لم يكن أقل التزاماً بقضية ناغورني-كاراباخ، وبعد أربعة أشهر من اتخاذ هذا القرار، اغتيل ميكيرشيان في ظروف غامضة في ١٤ نيسان ١٩٩٢م، و بقيت معظم تفاصيل الحادثة غامضة^(٢).

أدى عدااء قيادة كاراباخ إلى زيادة احتمالات المواجهة العسكرية الكاملة بين البلدين، ومع تفكك الاتحاد السوفييتي^(٣) وانسحاب القوات السوفييتية من كاراباخ في كانون الأول

(1) Robert Blackwill, and Michael Sturmer, Allies Divided: Transatlantic Policies for the Greater Middle East. Cambridge, MA: MIT Press, 1994, p.97.

(2) Armen Aivazian, Possible Solutions to the Nagorno-Karabagh Problem: a Strategic Perspective, In The Making of Nagorno-Karabagh: From Secession to Republic, ed. Levon Chorbajian, New York: Palgrave, 2001, p.70.

(3) تفكك الاتحاد السوفييتي يشير إلى العملية التي أدت إلى انهيار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية (الاتحاد السوفييتي)، الذي تم تأسيسه في عام ١٩٢٢، وقد انتهى هذا الاتحاد رسمياً في ٢٦ كانون الأول ١٩٩١ عندما أعلن مجلس السوفيت الأعلى حل الاتحاد. ونتيجة لذلك، أصبحت الجمهوريات الخمس عشرة التي كانت تشكل الاتحاد دولاً مستقلة، بما في ذلك روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا، وجاء هذا التفكك نتيجة لمجموعة من العوامل منها المشاكل الاقتصادية الحادة، وضعف القيادة، وصعود الحركات القومية والانفصالية داخل الجمهوريات، بالإضافة إلى الإصلاحات التي أدخلها ميخائيل غورباتشوف مثل البيريسترويكا (إعادة الهيكلة) والغلاسنوست (الشفافية)، والتي أضعفت سيطرة الحزب الشيوعي على الدولة، للمزيد ينظر :

Tor Bukkvoll, Arming the Ayatollahs: Economic Lobbies in Russia's Iran Policy, Problems of Post-Communism, Vol. 49, 1992, p.41.

١٩٩١م، تصاعدت العمليات العسكرية في المنطقة، ما جعل الصراع المسلح أكثر فتكاً، فاحتلت القوات الأذرية المواقع التي أخلاها الجيش السوفييتي، وسيطرت على منصات إطلاق الصواريخ والدبابات والذخيرة السوفييتية، وبدأت هجماتها لمحاصرة ستيباناكيرت^(١)، وأصبحت كاراباخ ساحة معركة مفتوحة، إذ ارتكبت العديد من الفظائع على الجانبين، وسعى مئات الآلاف من اللاجئين إلى الخروج من المنطقة، وقد اختار الرئيس الأذري موتالييوف أن يلعب بورقة القومية من أجل البقاء في السلطة، إذ أيد المطالب الشعبية بفرض حصار اقتصادي شامل على أرمينيا وناغورني-كاراباخ، وهو الحصار الذي كان قد تم تنفيذه بشكل متقطع منذ عام ١٩٩٠م^(٢)، وعلى هذا فقد انقطعت كل الطرق ووسائل الاتصال بين ستيباناكيرت والقرى المحيطة بها، كما هدمت قوات الميليشيات الخاصة الأذرية المرافق التي تزود المدينة بالطاقة والمياه، أعلن موتالييوف، الذي قاوم بقوة تشكيل جيش وطني، ودعى كل المواطنين القادرين على حمل السلاح ممن تبلغ أعمارهم (١٨) عاماً فما فوق الانضمام إلى هذا الجيش^(٣).

ثانياً : التطورات العسكرية والسياسية في ناغورني-كاراباخ

في أوائل عام ١٩٩٢م، تحولت الحرب في ناغورني-كاراباخ بالفعل من مسألة داخلية تخص الاتحاد السوفييتي السابق إلى حرب شاملة بين دولتين مستقلتين ذات سيادة، أرمينيا وإذربيجان^(٤)، وعلى هذا فقد أصبحت العمليات العسكرية داخل حدود ناغورني-كاراباخ وخارجها مرتبطة بالديناميكيات والمصالح الإقليمية

(١) تعد ستيباناكيرت، عاصمة ناغورني-كاراباخ، نقطة استراتيجية مركزية، كانت سيطرة القوات الأذرية على المدينة أو عزلها أمراً حاسماً للطرفين، سعت القوات الأذرية إلى قطع خطوط إمداد الأرمن وإضعاف = سيطرتهم على المنطقة بينما قاتل الأرمن بشدة للدفاع عن المدينة لأنها كانت تمثل مركزاً عسكرياً ورمزياً لهم، وقد تسبب الحصار في معاناة كبيرة للسكان المدنيين مع محاصرة المدينة، كانت إمدادات الطعام والماء والإمدادات الطبية نادرة، ما أدى إلى ظروف إنسانية قاسية، فاقم الحصار من التكاليف البشرية، وأسفر عن العديد من الضحايا والنازحين، للمزيد ينظر:

Jim Bodgener, Op.Cit,p.97.

(2) Yale H. Furguson, and Richard W. Mansbach, The Elusive Quest Continues: Theory and Global Politics. Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 2003, p.53.

(3) Ibid, p.61.

(4) The Independent, No. 117 5 March 1992, p.1

الفصل الثالث

والجيوستراتيجية، والتنافسات القديمة بين روسيا وتركيا وإيران^(١)، ومع تصاعد الحرب إلى أربع مراحل مختلفة، فإنها لم تؤثر فقط على الاستقرار السياسي الداخلي في أرمينيا وإذربيجان، بل إنها نبهت أيضاً القوى الإقليمية، التي حاولت التوسط من أجل منع المزيد من عدم الاستقرار في القوقاز، ومع ذلك، حرصت هذه القوى على عدم التورط بشكل مباشر في الصراع^(٢).

كان المحفز للهجوم الأذري في عام ١٩٩٢ هو إعلان ما يسمى بجمهورية قره باغ المستقلة من قبل قيادة قره باغ^(٣)، وكان هدف القوات الأذرية كسر المقاومة الأرمنية والاستيلاء على ستيباناكيرت. ومع الهجوم البري الأذري، أعرب موتالييوف عن استعداده للمفاوضات، ولكنه أصر على أن التنازل الوحيد الذي يمكن تقديمه هو منح الأرمن في شمال إذربيجان قدرًا أعظم من الاستقلال الثقافي داخل إذربيجان، كما أكد أن إذربيجان أصبحت دولة ديمقراطية إذ يمكن معالجة قضايا التمييز بسهولة من خلال ضمانات حقوق الإنسان للجميع، وقد أصبح الهجوم العسكري الأذري، الذي فشل في تحقيق هدفه، عاملاً إضافياً في تصعيد الأعمال العدائية في عام ١٩٩٢م^(٤).

^(١) https://www.crisisgroup.org/content/nagorno-karabakh-conflict-visual-explainer?utm_source=chatgpt.com

^(٢) حرصت القوى الإقليمية روسيا وتركيا وإيران على تجنب التدخل المباشر في حرب ناغورني-كاراباخ الأولى بسبب مصالحها الاستراتيجية والسياسية. سعت روسيا للحفاظ على علاقات مستقرة مع كل من أرمينيا وإذربيجان حيث عملت كوسيط وقدمت دعماً غير مباشر لأرمينيا دون تصعيد النزاع. أما تركيا، فبينما دعمت أذربيجان، كانت حذرة من التدخل المباشر لتجنب تصاعد التوترات مع روسيا وإيران. أما إيران، التي تشترك في الحدود مع كلا البلدين وتستضيف أقلية أرمنية كبيرة، ففضلت الحياد لحماية استقرارها الداخلي ونفوذها الإقليمي. كانت هذه القوى تهدف إلى منع تصعيد النزاع ليصبح حرباً إقليمية أو دولية، أوسع، مع الحفاظ على مصالحها في منطقة القوقاز الجنوبي، للمزيد ينظر:

Allison Roy, Op.Ct,p.49.

^(٣) NY Times, front page, No.49013, March 1992.

^(٤) Robert H. Donaldson, and Joseph L. Noguee, The Foreign Policy of Russia: Changing Systems, Enduring Interests. Armonk, New York; London: M.E. Sharpe, 2002, p.241.

شن الأرمن في شباط ١٩٩٢ هجوماً مضاداً بدعم من الفوج (٣٦٦) الروسي على مدينة كوجالي المأهولة بالسكان الأذريين^(١)، ووفقاً لمنظمة هيومن رايتس ووتش، فإن أكثر من (٢٠٠) مدني قُتلوا في الهجوم، وهو أكبر مذبحه حتى الآن في الصراع^(٢)، واستخدم الأرمن العنف بشكل استراتيجي لاستقطاب الصراع لصالحهم ومنع التعايش بين الأعراق مع السكان الأذريين^(٣) وقد قللت الميزة العسكرية للأرمن في كوجالي من الضغوط على ستيباناكيرت، ومن أجل تجنب الانتقادات للعنف الذي ارتكبه ضد الأذريين، زعم الأرمن أنهم تفاوضوا مع الجانب الأذري على ممر آمن لإجلاء المدنيين، ومع ذلك، لم يتم تنظيم انسحاب الأذريين. وبعد إجراء مقابلات مع بعض الذين نجوا من وحشية الهجوم، خلصت منظمة هلسنكي ووتش^(٤) إلى أن "الميليشيات الأذرية التي لا تزال ترتدي الزي العسكري، وبعضها لا يزال يحمل بنادقه بين حشود المدنيين" الذين كانوا يخلون المدينة^(٥)، وكانت خسارة كوجالي بمثابة هزيمة عسكرية وأخلاقية للأذريين، لأنها كانت واحدة من المدينتين المتبقيتين المأهولتين بالأذريين في شمال إذربيجان والتي حاولوا من خلالها بسط سيطرتهم على المنطقة، وقد دحض موتالييوف ادعاء إذربيجان بمسؤولية أرمينيا عن مذبحه كوجالي، إذ أوضح في مقابلة مع صحيفة نيزافيسيمايا غازيتا (Nezavisimaya Gazeta) في الثاني من نيسان ١٩٩٢ أن هذا الحادث المروع كان من تدبير المعارضة الأذرية، أي الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان، لتشويه سمعته وإبعاده عن

(1) The Washington Post, 28 February 1992,p.11.

(2) ينظر الملحق رقم (٦).

(3) Alain Deletroz, Op,Cit,p.111.

(4) منظمة هلسنكي لحقوق الإنسان: والمعروفة أيضاً باسم مراقبة هلسنكي أو مراقبة هلسنكي لحقوق الإنسان) هي منظمة غير حكومية دولية تهدف إلى تعزيز وحماية حقوق الإنسان في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، تأسست المنظمة في عام ١٩٧٦، بعد اتفاقية هلسنكي التي كانت جزءاً من والتعاون الأوروبي (CSCE) في عام ١٩٧٥ كانت هذه الاتفاقية تهدف إلى تحسين التعاون الأمني بين الدول الأوروبية الشرقية والغربية، كما تطرقت إلى حقوق الإنسان كجزء من الاتفاق، وتعمل منظمة هلسنكي على مراقبة التزام الحكومات بمعايير حقوق الإنسان التي تم تحديدها في اتفاقية هلسنكي، والتي تشمل حرية التعبير، وحقوق الأقليات وحرية الدين والمعتقد والحريات السياسية والمدنية. تقوم المنظمة بتوثيق الانتهاكات لحقوق الإنسان، وتسليط الضوء عليها، وضغط الحكومات والمؤسسات الدولية لتحسين وضع حقوق الإنسان، للمزيد ينظر:

C.Daniel, The Helsinki Effect: International Norms, Human Rights, and the Demise of Communism, Frances &Taylor new York, 2001,p.55.

(5) Quted in, James DeTemple,Op.Cit,pp.65-66.

السلطة، وقال: "وكما قال سكان كوجالي، فقد كان كل هذا منظماً من أجل إيجاد مبررات لاستقالتني، وقد عملت بعض القوى على تشويه سمعتي. وكانت الخلفية العامة للحجج هي أن الأرمن تركوا مع ذلك ممراً كان الناس يستطيعون الخروج منه. فلماذا إذن بدأوا في إطلاق النار؟ ولاسيما في المنطقة المجاورة، إذ كان هناك في ذلك الوقت ما يكفي من القوات لمساعدة الناس. أو ربما توصلوا إلى اتفاق مع الأرمن يقضي برحيل السكان المدنيين. وكانت مثل هذه الممارسات معتادة دائماً"^(١).

كان للهزيمة العسكرية الأذرية في عام ١٩٩٢م عواقب وخيمة على الجمهورية^(٢). ففضلاً عن ما يقرب من مائتي ألف لاجئ غادروا أرمينيا وناغورني-كاراباخ منذ عام ١٩٨٨م، وصلت موجات جديدة من النازحين من ناغورني-كاراباخ، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الصعوبات الداخلية التي تواجهها إذربيجان وخلق المزيد من المشاكل الإنسانية^(٣)، وفي جلسة طارئة عقدها البرلمان الأذري في السادس من آذار، اضطر موتالييوف، الذي كان مسؤولاً عن النجاح العسكري الأرميني في ناغورني-كاراباخ، إلى تقديم استقالته، وقد أدى عدم الاستقرار السياسي في باكو إلى إحياء آمال الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان في الاستيلاء على السلطة وفرض موقف أكثر صرامة بشأن الصراع على ناغورني-كاراباخ^(٤).

وعليه، فأن موسكو غيرت موقفها في حرب ناغورني-كاراباخ، إذ تصور الروس أن إضعاف الجانبين من شأنه أن يؤدي إلى توقف الحرب بين إذربيجان وأرمينيا. ولكن توقعاتهم كانت خاطئة، إذ أصبح العامل الأرميني فجأة مهماً بالنسبة للروس، وذلك لأن الروس أدركوا بعد استقلال إذربيجان في عام أن أرمينيا وحدها في مدة ما بعد الاستقلال قادرة على القيام بدور مهم لحماية المصالح الاقتصادية والسياسية الروسية في جنوب القوقاز.

(1) Alain Deletroz, Op,Cit ,p.121.

(2) The Sunday Times, May 1992,p.5.

(3) The Boston Globe, front page, 3 March 1992.

(4) Joan DeBardeleben,Op.Cit,p.219.

ثالثاً: الجهود الدبلوماسية والمواقف الدولية لاحتواء الصراع .

أثارت حدة الصراع قلق المجتمع الدولي، مما دفعه إلى التدخل في محاولة للتوسط وإيجاد حل سلمي له، إذ أظهرت إيران استعدادها للتوسط والمساعدة في تخفيف التوتر بين الأطراف المتحاربة لمواجهة النفوذ التركي في المنطقة^(١) والواقع أن الجهود الدبلوماسية الإيرانية أدت في التوصل إلى اتفاقين لوقف إطلاق النار خلال شهر شباط، وعقد اجتماع ثلاثي بين ممثلين عن أرمينيا وإذربيجان وإيران في طهران في المدة من (١٤ - ١٦) إذار لمناقشة مسودة خطة لحل الصراع في ناغورني- كاراباخ، ورغم ترحيب الحكومتين الأرمنية والأذرية بجهود الوساطة الإيرانية، فإن السلام لم يدم طويلاً، فقد استؤنفت الأعمال العدائية بحلول نهاية شهر إذار، وحمل علي أكبر ولايتي^(٢)، وزير الخارجية الإيراني القيادة العسكرية لرابطة الدول المستقلة في المنطقة مسؤولية انهيار وقف إطلاق النار، وعلى هذا، ففي ظل عدم الاستقرار السياسي في باكو والصراع على منصب الرئاسة الأذرية، ضغط الأرمن من أجل تحقيق المزيد من الانتصارات في ساحة المعركة^(٣)، وفي الشهر نفسه، اخترقت القوات الأرمينية بلدة لاتشين إلى أرمينيا، ذلك الشريط الضيق من الأرض الذي يبلغ طوله نحو عشرة كيلومترات والذي يفصل ناغورني- كاراباخ عن أرمينيا، وقد تم إنشاء ما يسمى بممر لاتشين^(٤)، وبحلول نهاية شهر أيار ١٩٩٢ كانت شمال كاراباخ كلها تقريباً تحت السيطرة الأرمينية^(١).

(١) Thomas De Waal, Black Garden, Op.Cit,p.331.

(٢) علي أكبر ولايتي (١٩٤٥): هو سياسي ودبلوماسي إيراني بارز شغل منصب وزير الخارجية الإيراني من ١٩٨١ إلى ١٩٩٧، حيث كان له دور مهم في تحديد السياسة الخارجية لإيران بعد الثورة الإسلامية. يُعتبر ولايتي من المقربين للمرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، وهو مستشار الشؤون الدولية له منذ عام ١٩٩٧، بالإضافة إلى دوره في السياسة، يعتبر ولايتي من الشخصيات المؤثرة في الشؤون الإقليمية والدولية، وله دور بارز في تعزيز العلاقات الإيرانية مع الدول الكبرى ودعمه السياسات الإيرانية المستقلة في مجال الأمن والاقتصاد، للمزيد ينظر:

Kourosh Rahimkhani ,Mehrzad Boroujerdi, Postrevolutionary Iran: A Political Handbook
Published by,Syracuse University Pres,2018,p.61

(٣) Richard Giragosian, Op.Cit,pp.45-47.

(٤) ممر لاتشين: هو ممر جبلي ضيق يربط بين أرمينيا ومنطقة ناغورني قره باغ عبر أراضي أذربيجان، ويُعد ذا أهمية استراتيجية كبيرة. خلال حرب ناغورني قره باغ الأولى، سيطرت القوات

الفصل الثالث

شهدت الجهود الأمريكية سلسلة من المحاولات الرامية إلى إضفاء الطابع النظامي على عملية التفاوض، وتعد قواعد بيكر (Baker Rules) التي سميت على اسم وزير الخارجية الأمريكي جيمس اديسون بيكر من أهم تلك المحاولات، إذ حددت إطار المفاوضات واعترفت بإذربيجان وأرمينيا كطرفي التفاوض الرئيسيين، بينما عدت المجتمعات الأرمنية والأذرية في ناغورني كاراباخ أطرافاً معنية، وقد مثلت هذه القواعد إحدى أهم المساعي الأمريكية للتأثير على مسار حل النزاع في المنطقة^(٢)، وفي عام ١٩٩٢ طرح الخبير الأمريكي في الشؤون الروسية، بول غوبل (Paul Goble)، ما عُرف لاحقاً بـ "خطة غوبل"، والتي تضمنت مقترحاً لتبادل الأراضي يقضي بضم أجزاء من ناغورني كاراباخ، بما فيها ممر لاتشين، إلى أرمينيا، مقابل نقل ممر مهري إلى إذربيجان لربط الأراضي الأذرية الرئيسية بجيب ناخيتشيفان، وقد وردت تفاصيل هذه الخطة في مقالة غوبل بعنوان التعامل مع أزمة ناغورني كاراباخ المنشورة عام ١٩٩٢، والتي نصت على: "يتعين على الأطراف المعنية البدء في دراسة إمكانية تبادل الأراضي عبر التنازلات التالية: ضم جزء من ناغورني كاراباخ إلى أرمينيا، مع الحفاظ على السيطرة على منابع الأنهار المتجهة إلى باكو، وإبقاء المناطق ذات الأغلبية الأذرية تحت سيطرة إذربيجان، فضلاً عن نقل السيطرة على الجسر البري الرابط بين إذربيجان"، وناخيتشيفان من أرمينيا إلى إذربيجان"^(٣)،

إلا أن هذه الخطة التي حظيت بدعم الرئيس الأمريكي آنذاك جورج بوش الأب (George Herbert Walker Bush)، قوبلت بالرفض من كلا طرفي النزاع، وفي منتصف تسعينيات القرن الماضي، قدم جـون ماريـسـكا

الأرمنية على هذا الممر في مايو ١٩٩٢، مما مكنها من تأمين طريق بري مباشر بين أرمينيا وقره باغ، ليصبح الممر منذ ذلك الحين الشريان الرئيسي الذي يربط الإقليم بأرمينيا حتى نهاية تلك المرحلة من الصراع، للمزيد ينظر :

Robert O. Freedman, Op.Cit,pp, 93-94;

ينظر الملحق رقم (٧)

(1) Richard Giragosian, Op.cit,p.50.

(2) Svante E. Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Op.Cit, 2001,p.87.

(3) Quited in , Thomas de Waal,Op.Cit,p.109.

الفصل الثالث

(John J. Maresca) الممثل الأمريكي السابق لدى مجموعة مينسك التابعة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي (CSCE)، رؤيته لحل النزاع في عمله المعنون الفرص الضائعة في التفاوض بشأن صراع ناغورني كاراباخ^(١)، وأكد ماريسكا على ضرورة أن تؤدي الولايات المتحدة دوراً داعماً في عملية حفظ السلام، مع إمكانية وجود عدد محدود من المستشارين المدنيين ضمن هيكلها، كما دعا إلى أن تكون الولايات المتحدة وسيطاً محايداً وميسراً للحل، مقترحاً تعيين مبعوث خاص يتمتع بصلاحيات الوصول إلى مراكز صنع القرار في واشنطن وموسكو والعواصم الإقليمية لتعزيز فرص الحل، ومع ذلك، قوبل طلبه بالرفض^(٢).

تواصلت الجهود الدبلوماسية لاحتواء الصراع، ولعب مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، دوراً أساسياً في الجهود الدبلوماسية، وفي عام ١٩٩٢م، أطلق مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي مبادرة لجمع أرمينيا وإذربيجان إلى طاولة المفاوضات مما أدى إلى تشكيل مجموعة مينسك، التي أصبحت الآلية الأساسية للوساطة الدبلوماسية، وقد تأسس مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي خلال الحرب الباردة كمندى للحوار بين الكتلتين الشرقية والغربية، لكنه وسع دوره بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ليشمل جهود حل النزاعات في المناطق التي كانت خاضعة سابقاً للحكم السوفيتي، بما في ذلك الحرب المتصاعدة بين أرمينيا وإذربيجان، وبالنظر إلى الحاجة الملحة للتدخل الدولي، عقد مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي جلسة استثنائية في هلسنكي يوم ٢٤ آذار ١٩٩٢، وقرر تنظيم مؤتمر سلام في مينسك عاصمة بيلاروسيا، بهدف تسهيل المفاوضات بين الطرفين المتحاربين، وأدى هذا القرار إلى إنشاء مجموعة مينسك، التي كلفت بمراقبة محادثات السلام والجهود الدبلوماسية الرامية إلى احتواء الصراع^(٣).

ضمت مجموعة مينسك في البداية ١١ دولة عضوا هي بيلاروسيا المقررة لاستضافة مؤتمر السلام، وألمانيا دولة أوروبية كبرى ذات نفوذ دبلوماسي إيطاليا، السويد، فنلندا، تركيا كدولة إقليمية لها علاقات تاريخية مع إذربيجان، أرمينيا، إذربيجان، الولايات المتحدة كقوة عالمية

(1) https://lieber.westpoint.edu/complete-defeat-end-non-recognized-state-nagorno-karabakh/?utm_source=chatgpt.com

(2) Thomas de Waal, op cit, p.121.

(3) Richard Giragosian, Unveils Massive Aid Package to Armenia, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines, 9,N.o 237, 2005,p.79.

لمصالحها الخاصة في المنطقة، وفرنسا وروسيا القوة السوفيتية السابقة صاحبة النفوذ في القوقاز^(١)، وكان إدراج تركيا وروسيا في المجموعة أمرًا بالغ الأهمية، إذ إن لكل منهما علاقات تاريخية وسياسية عميقة بالمنطقة. فقد دعمت تركيا إذربيجان نظرًا للروابط الثقافية واللغوية بينهما، في حين احتفظت روسيا بعلاقات وثيقة مع أرمينيا بسبب مصالحها الاستراتيجية في جنوب القوقاز، وقد تمحورت الأهداف الرئيسية لمجموعة مينسك حول ثلاثة محاور رئيسية هي:

١. التوصل إلى وقف لإطلاق النار لمنع التصعيد العسكري.
٢. تسهيل انسحاب القوات المسلحة من المناطق المحتلة.
٣. إنشاء إطار لاتفاق سلام تفاوضي يضمن الاستقرار الدائم.

ومع ذلك، واجهت المجموعة منذ بدايتها عقبات دبلوماسية كبيرة حالت دون تحقيق تقدم ملموس، إذ كان أحد أكبر العوائق التي واجهتها مجموعة مينسك هو التباين العميق في مواقف أرمينيا وإذربيجان بشأن وضع ناغورني كاراباخ إذ أصرت باكو على أن ناغورني كاراباخ جزء لا يتجزأ من أراضي إذربيجان، مستندة إلى مبادئ السيادة ووحدة الأراضي بموجب القانون الدولي وعدت التدخل الأرميني بمثابة عدوان خارجي ورفضت أي محاولات لفصل الإقليم عن الدولة الأذرية، بينما دعمت يريفان حق تقرير المصير للأرمن في ناغورني كاراباخ، بحجة أن سكان الإقليم يواجهون تهديدات وجودية من إذربيجان، مستشهدة بمذابح عرقية سابقة مثل مجازر سومغايت وباك^(٢) (١٩٨٨-١٩٩٠م)، فضلاً عن ذلك، سعت السلطات الأرمنية في

(1) Paul Goble, Op.Cit,pp. 21-22.

(2) Knutsen Torbjorn, Op.Cit,1997,p.64.

(3) مجزرة باك (المعروفة أيضًا باسم يناير الأسود): تشير إلى الأحداث العنيفة التي وقعت في ليلة ١٩-٢٠ كانون الثاني ١٩٩٠ في باك عاصمة أذربيجان، عندما غزت القوات السوفيتية المدينة لقمع الحركة المتزايدة للمطالبة بالاستقلال ضد الحكم السوفيتي، وخلال هذه العملية، قُتل أكثر من ١٣٠ مدنيًا وأصيب المئات في محاولة من الجيش السوفيتي لقمع المطالب المتزايدة بالاستقلال عن الاتحاد السوفيتي وسط تصاعد التوترات القومية، دخلت القوات السوفيتية المدينة دون إعلان حالة الطوارئ مسبقًا، مما أدى إلى العديد من الضحايا المدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال وكبار السن، وتعرف المجزرة أيضًا باسم "يناير الأسود"، وتعد لحظة

ستيباناكيرت عاصمة الإقليم إلى تمثيل مباشر في المفاوضات، مطالبةً بالاعتراف بها كطرف مستقل، إلا أن إذربيجان رفضت ذلك تمامًا، مؤكدةً أن المفاوضات يجب أن تكون بين باكو ويريغان فقط، وليس مع حكومة الإقليم، وأدى هذا الخلاف حول التمثيل السياسي إلى تعطيل انعقاد مؤتمر مينسك، اذ رفضت إذربيجان الاعتراف بشرعية قيادة ناغورني-كاراباخ في المحادثات^(١).

ورغم محاولات مجموعة مينسك فرض هدنة فشلت اتفاقيات وقف إطلاق النار مرارًا بسبب:^(٢)

١. انعدام الثقة بين الطرفين - اذ كان كل طرف يشتبه في أن الطرف الآخر يستخدم المفاوضات لكسب الوقت لتحقيق مكاسب عسكرية.
٢. عدم وجود آلية تنفيذ - لم تكن لدى مجموعة مينسك قوة عسكرية لفرض وقف إطلاق النار.
٣. التدخلات الإقليمية - اذ قدمت تركيا وروسيا دعمًا سياسيًا وعسكريًا غير مباشر لإذربيجان وأرمينيا، مما زاد من تعقيد المفاوضات^(٣).

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة التي حملتها الجهود الدبلوماسية لمجموعة مينسك في عام ١٩٩٢، فإن الإخفاقات المبكرة كشفت عن أوجه قصور رئيسة في الدبلوماسية متعددة الأطراف عند التعامل مع النزاعات القومية المعقدة من وجهة نظري، كان من الممكن تحقيق نتائج أكثر فاعلية لو أن مجموعة مينسك تبنت نهجًا أكثر حزمًا في فرض وقف إطلاق النار، أو لو تم إشراك أطراف إقليمية مؤثرة بطريقة أكثر توازنًا، بدلاً من التدخلات التي عززت الانقسام

محورية في نضال أذربيجان من أجل الاستقلال، الذي تحقق في عام ١٩٩١ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتحيي أذربيجان هذه الذكرى سنويًا لتكريم ضحايا المجزرة، للمزيد ينظر:

Charles W. Kegley, and Eugene R. Wittkopf, World Politics: Trend and Transformation. Belmont, CA: Thomson Wadsworth, 2006, p.101.

(1) The Washington Post ,Jan 17, 1990; The Washington Post, p.1.

(2) Igor Ivanov, The New Russian Identity: Innovation and Continuity in Russian Foreign Policy, Op.Cit, pp, 7-8.

(3) Igor Ivanov, Op.Cit, p.11.

بين الطرفين، كما أن أحد الإشكالات الرئيسة تمثل في غياب آلية تنفيذ فعالة، إذ لم تكن هناك قوة حفظ سلام قادرة على فرض قرارات المجموعة، مما جعل اتفاقيات وقف إطلاق النار مجرد بيانات سياسية غير ملزمة، تُنتهك عند أول فرصة سانحة لأي طرف لتعزيز مكاسبه العسكرية، فضلاً عن ذلك، ويبدو أن المجموعة أخطأت عندما تعاملت مع النزاع بوصفه مجرد صراع سياسي بين دولتين، دون إعطاء أهمية كافية للديناميكيات الداخلية لناغورني - كاراباخ، لذا كان ينبغي أن يكون هناك تمثيل مباشر لقيادة الإقليم، رغم اعتراض إذربيجان، لأن تجاهل هذا العنصر أدى إلى تعقيد عملية السلام بدلاً من تبسيطها.

ولقد بدا وكأن فشل الجهود الدبلوماسية زاد من احتمالات التوصل إلى حل عسكري نهائي^(١) وبحلول نهاية أيار ١٩٩٢، ومع اقتراب المرحلة الأولى من الحرب من نهايتها، أدت ثلاثة عوامل رئيسية في تحقيق النصر العسكري الأرمني، كان العامل الأول هو البنية الضعيفة والعدد المحدود من الضباط العسكريين المؤهلين في الجيش الأذري، الأمر الذي دفع الأذريين إلى الاعتماد على المرتزقة الأفغان و"نصائح الضباط الأتراك المتقاعدين"^(٢) وكان العامل الثاني هو تفوق جيش كاراباخ في خوض حرب العصابات في منطقة اعتبروها "أرضهم الأم"، فضلاً عن ذلك، كان الدعم العسكري الروسي حاسماً في توفير المساعدات والمعدات العسكرية، وكان العامل الثالث هو الدور الذي لعبته الجالية الأرمنية في تمويل الحرب في شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية. وكان البيان التالي الذي أدلى به صمويل بابايان (Samvel Babayan)^(٣)، وزير الدفاع السابق لجيش كاراباخ وقائده، بمثابة عرض جزئي لسياسة قيادة كاراباخ فيما يتصل

(١) Artashes Hakobjanian, Op.Cit, p.97.

(٢) Igor Ivanov, Op, City, p.16.

(٣) صاموئيل بابايان: (١٩٦٥) قائد عسكري وشخصية سياسية أرمنية من إقليم ناغورني قره باغ شغل منصب قائد جيش دفاع ناغورني قره باغ من عام ١٩٩٣ حتى عام ٢٠٠٠، وأدى دوراً رئيسياً في حرب ناغورني قره باغ الأولى (١٩٨٨-١٩٩٤)، حيث قاد عمليات مهمة مثل السيطرة على شوشي ولاتشين. أصبح لاحقاً شخصية سياسية نافذة في الإقليم، لكنه اعتقل في عام ٢٠٠٠ بتهمة التخطيط لاغتيال رئيس ناغورني قره باغ، للمزيد ينظر :

Helly Damien and Nicholas Whyte, Bringing Peace to EU's 'New Neighbors', International Crisis Group, 19 May, 2004, p.70.

الفصل الثالث

بالحرب والسلام في كاراباخ^(١) "إننا لن نستسلم للضغط من أي أحد. ولم يكن لدينا مجال للتنازل عندما يتعلق الأمر بسلامة وأمن وحرية شعبنا. وكانت قوة قواتنا المسلحة واحدة من الضمانات الرئيسية للسلام، وكان علينا أن نكون يقظين في انتظار الحل السياسي"^(٢).

يوضح هذا المبحث أن انهيار السيطرة السوفيتية خلق فراغاً استغلته الأطراف المتنازعة للدخول في مواجهة عسكرية مباشرة، وسرعان ما تطورت المواجهات من اضطرابات محلية إلى حرب شاملة بين أرمينيا وإذربيجان، مع سيطرة القوات الأرمنية على أجزاء واسعة من الإقليم، وتمهيداً لفهم مسار الحرب بشكل أشمل، من المهم الانتقال أولاً إلى دراسة العمليات العسكرية التي شكّلت العمود الفقري للمواجهة، قبل التطرّق إلى نتائجها الاجتماعية والإنسانية في المبحث التالي.

^(١) Herzig Edmund, Op.Cit,p.89.

^(٢) Quited in, Richard Hovannisan, Historical Memory and Foreign Relations, In The Legacy of History of Russia and the New States of Eurasia, Op,Cit,p.188.

المبحث الثاني

العمليات العسكرية (١٩٩٢-١٩٩٣م)

أولاً: المرحلة الثانية من الحرب عام ١٩٩٢م

أدت الهزائم العسكرية التي لحقت بالقوات الأذرية في عام ١٩٩٢م إلى تكثيف النقاش الداخلي في تركيا حول حياد أنقرة في الصراع الدائر في ناغورني-كاراباخ^(١)، وبدأ الأمر وكأن التدخل التركي المباشر لدعم إذربيجان ربما يخلق مشاكل خطيرة لأنقرة لأنه يعني إحياء التصورات الأرمنية بشأن السياسة القومية التركية العدائية في المنطقة^(٢)، ويعرض التحالف التركي مع حلف شمال الأطلسي للخطر أيضاً، إذ ليس من حقها الخروج عن خط السياسة الخارجية للحلف، وقد زعم ديميريل أن "تركيا لا تبالي بمعاونة الأذريين، وأن اتخاذ موقف من جانب تركيا من شأنها أن تجعل العالم بأسره يتراجع عن أرمنيا"^(٣).

ولم تعكس السياسة الرسمية التركية تجاه الصراع الأرمني-الأذري الرأي العام المحلي، الذي انتقد الخطوات المترددة التي اتخذها ديميريل، ذلك أن فشل تركيا في إظهار الدعم لإذربيجان ربما يؤدي إلى فقدان جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة ثقتها في "النموذج السياسي التركي" وفتح الطريق أمام النفوذ الإيراني في المنطقة في الوقت الذي حاول فيه أفعان الرأي العام في التدخل، انتقد رافي هوفانيسيان^(٤)، وزير خارجية أرمنيا، ديميريل، الذي حذر تركيا من العودة إلى حيادها وتجنب أخذ دور القوة العظمى الإقليمية، سيما وأن السياسة التركية تجاه إذربيجان أصبحت موضوع نقاش داخلي في تركيا، عندما هاجمت القوات الأرمنية ناخيتشيفان في أيار ١٩٩٢، ولم تمر تعهدات ديميريل بمساعدة ناخيتشيفان وتمكينها من التعامل مع الهجوم

(1) The Independent, 12 June 1992,p.4.

(2) John J. Maresca, Op.Cit,2000,p.211.

(3) Burhanettin Duran,Op,city,p.39.

(٤) رافي هوفانيسيان (١٩٥٩): سياسي ومحام ومؤرخ أمريكي من أصل أرمني، أصبح أول وزير للخارجية في أرمنيا المستقلة عام ١٩٩١، وهو أيضاً مؤسس حزب التراث، وهو حزب سياسي وطني ليبرالي في أرمنيا، ولد في الولايات المتحدة، ثم انتقل لاحقاً إلى أرمنيا وأصبح شخصية بارزة في السياسة الأرمنية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، للمزيد ينظر :

Rajan Menon,Op.Cit, pp.455-456.

الأرمني دون أن يلاحظها أحد، وفي تحذير موجه إلى تركيا، حذرت روسيا، نيابة عن رابطة الدول المستقلة تركيا من أي عمل استفزازي من شأنه أن يؤدي إلى اندلاع حرب إقليمية وكان الدافع وراء التحذير الروسي هو معاهدة الأمن الجماعي الموقعة في ١٥/ آيار ١٩٩٢م بين روسيا وأرمينيا والجمهوريات الإسلامية الأربع في آسيا الوسطى^(١).

أدت الانتخابات الرئاسية التي جرت في إذربيجان في حزيران ١٩٩٢م إلى وصول المعارضة القومية، الجبهة الشعبية لتحرير إذربيجان، إلى السلطة، ووعد أبو الفضل إلتشي بي، الرئيس الجديد والقومي المتشدد الذي حشد النخبين بشأن قضية ناغورني-كاراباخ، باستعادة المنطقة في غضون مدة قصيرة، وقد عكس السياسة الخارجية التي انتهجها سلفه موتالييوف، وتبنى سياسة معادية لروسيا وإيران ومؤيدة لتركيا، وهو الخيار السياسي الذي لم يعارض روسيا وإيران فحسب، بل وأخرج تركيا أيضاً^(٢)، وكانت سياسة إلتشي بي الخارجية هي توجيه تحالف الجمهورية الخارجي بعيداً عن روسيا ورابطة الدول المستقلة، وبدافع الهدف القومي الطويل الأمد المتمثل في تحقيق اتحاد شمال وجنوب إذربيجان، دعا إلتشي بي الأذريين في شمال غرب إيران إلى الانفصال عن الجمهورية الإسلامية والانضمام إلى إخوانهم في الشمال في تشكيل إذربيجان الكبرى^(٣).

كانت إذربيجان تنتظر إلى روسيا وإيران بوصفهما قوتين إقليميتين تحاولان التدخل في شؤونها الداخلية، وعلى الرغم من دعوة إلتشي بي إلى "الوحدة السياسية" مع إذربيجان الإيرانية وإنشاء دولة إذرية أكبر، واصلت إيران جهودها لإرساء السلام في شمال قوقاز، كما انتقدت إيران العدوان الأرمني ولكنها حاولت في الوقت نفسه ترسيخ موطئ قدم لها في المنطقة من خلال الحفاظ على علاقاتها السياسية والاقتصادية مع أرمينيا^(٤)، ولقد لجأ إلتشي بيه على الفور إلى العمليات العسكرية في شمال قوقاز، واستهدف الهجوم الأذري الذي بدأ في ١٢/حزيران

(1) Lieb Doug, The Limits of Neorealism: Marginal States and International Relations Theory, Harvard International Review, Vol. 26, 2004, pp. 28-30.

(2) Rajan, Menon, Op.Cit, p.33.

(3) Hamlet Matevosian, Op.Cit, p.65.

(4) Pavel Koryashkin, Op.Cit, p.88.

١٩٩٢م منطقتي مارتاكيرت وشوميان (جيرانبوي) في شمال ووسط شمال القوقاز، وللمرة الأولى منذ عام ١٩٨٨، سقطت شمال قوقاز في أيدي إذربيجان، وبتسليحها بأسلحة ثقيلة تلقاها من ترسانة الجيش السوفييتي، استولى الأذريين على ما يقرب من ٨٠ % من مقاطعة مارتاكيرت وخلفوا ما يقرب من (٤٠) ألف لاجئ من أصل أرمني، وقد ترك حجم الدمار انطباعاً بين الأرمن بأن شمال القوقاز خالية من سكانها الأرمن هو الهدف النهائي لإذربيجان، وخشي الأرمن في كاراباخ أن يعانون في نهاية المطاف من مصير ناخيتشيفان^(١).

أطلقت الهجمات الأذرية موجة جديدة من اللاجئين الأرمن فضلاً عن (١٨٠) ألف لاجئ غادروا إذربيجان بالفعل منذ عام ١٩٨٨م، ورفع إلتشي بي سقف مطالباته إلى المطالبة بجنوب أرمينيا، حتى بحيرة سيفان في الشمال، وهو المطلب الذي منع الآمال النهائية في التوصل إلى اتفاق تسوية. وأصبح الأرمن مقتنعين بأن الموافقة على شروط السلام لاتقل عن خطورة القتال، حتى لو كانت تصريحات إلتشي بي القومية التوسعية تكتيكية من أجل تعزيز الروح المعنوية للقوات الأذرية وتأمين الشعبية له في الداخل، اذ خلقت مخاوف أمنية بين القوى الإقليمية، وشعرت إيران بالقلق فيما يخص استقرارها الداخلي وحدودها مع إذربيجان، وإذا تم حشد الملايين من الأذريين الذين يعيشون داخل إيران، فقد يتسببون في مشكلة أمنية على طول حدودها مع إذربيجان^(٢)، وعلى نحو مماثل، تضاعفت مخاوف روسيا بشأن التصعيد العسكري في جنوب القوقاز إذ ان انتصاراً عسكرياً إزرياً آخر قد يهدد الأمن الداخلي لروسيا وسلامة أراضيها، وخاصة فيما يتصل بالأقليات الناطقة بالتركية، وعلى هذا فأن محاولة إلتشي بي في تحقيق مطالبه الإقليمية، سيجعله أمام مواجهة إيران وروسيا اللذان يوقفان تقدمه العسكري، فضلاً عن ذلك، فإن مزاعم إلتشي بي "دفعت إيران وروسيا إلى تبني موقف مؤيد للأرمن في صراع ناغورني- كاراباخ، وكان عليه أن يتصرف بطريقة آلية وبإصرار، فقد كانت قضية ناغورني- كاراباخ، التي كانت تشكل قضية مهمة في السياسة الداخلية الأذرية، بمثابة الدليل على شدة

(1) Robert Legvold, Russia's Unformed Foreign Policy, Foreign Affairs, Vol. 80, 2001, pp. 66-67.

(2) Ivan Lebedev, Need for Nagorno-Karabakh Settlement Pressing-Mediator, ITAR-TASS News Agency, 11 January, 2002, p.99.

القتال^(١)، إذ اعتقد الأذريين أنهم ليس لديهم ما يخسرونه، لأنهم فقدوا أراضيهم ووجودهم العرقي في المنطقة، وكانت الحرب معركة عرقية قاتلتوا فيها من أجل كل شيء، ويمكن تطبيق الحجة نفسها على الأرمن، الذين لم يكونوا أقل تصميمًا والتزامًا من الأذريين^(٢).

وفي هذه المرحلة، برزت ملامح تعاون عسكري "إسرائيلي" بالتشكل آنذاك، فقد سعت إذربيجان إلى بناء علاقات مع قوى إقليمية ودولية تؤمن لها الدعم السياسي والعسكري. وكانت "إسرائيل" من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال إذربيجان، وسعت إلى إقامة علاقات استراتيجية معها، وبالنسبة "لإسرائيل"، كانت إذربيجان ذات أهمية استراتيجية، إذ إنها تقع على حدود إيران وتمتلك موارد طاقة هائلة، فضلاً عن كونها دولة ذات أغلبية شيعية لكن علمانية الهوية، وهو ما جعلها شريكاً مثالياً لموازنة النفوذ الإيراني في القوقاز^(٣).

وقد بدأت بوادر التعاون الأمني بين الطرفين في وقت مبكر جداً، ففي عام ١٩٩٢م، تم افتتاح السفارة الإسرائيلية في باكو، وكانت من أوائل السفارات الأجنبية هناك، وهو ما عكس حرص "إسرائيل" على توطيد علاقتها بهذه الدولة الناشئة، في المقابل، لم تفتح إذربيجان سفارة لها في تل أبيب حتى العقد التالي، بسبب حساسياتها تجاه العالم الإسلامي^(٤)، وقد اشارت تقارير استخباراتية عدة وتحقيقات صحفية إلى أن "إسرائيل" بدأت منذ ذلك الحين بتقديم الدعم التقني والمعلوماتي لإذربيجان، لا سيما في مجالات التجسس الإلكتروني والاتصالات العسكرية، وفقاً لتحليلات منشورة لاحقاً، ومنها دراسة للباحث الكسندر مورنيسون (Alexander Murinson)، فإن "إسرائيل" زودت إذربيجان منذ بداية التسعينات بأنظمة اتصالات عسكرية متقدمة مكنت الجيش الأذري من تعزيز بنيته التحتية، في ظل تخطيط الجيش الأرمني بين البنية السوفيتية القديمة وضعف التمويل، كذلك، كما اشارت تقارير عدة إلى أن هناك شركات إسرائيلية

(1) https://www.cfr.org/global-conflict-tracker/conflict/nagorno-karabakh-conflict?utm_source=chatgpt.com

(2) Richard W. Mansbach, The Global Puzzle: Issues and Actors in World Politics. Boston, New York: Houghton Mifflin Company, 2000, p. 121.

(3) Stephen Blank, Israel and Azerbaijan's Furtive Embrace, The Central Asia-Caucasus Analyst, 2004, pp. 312-315.

(4) Svante E. Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Op. Cit, p. 100.

خاصة، بدأت ببيع أسلحة وذخائر إلى باكو منذ عام ١٩٩٢، في وقت كانت فيه إنذربيجان تحت الحظر الدولي ولم تكن قادرة على شراء الأسلحة من مصادر غربية علنية^(١).

أما على المستوى الرسمي، فقد تبنت "إسرائيل" موقفاً محايداً رسمياً من النزاع الأرمني - الأذري، ولم تعلن دعمها الصريح لأي طرف، غير أن علاقاتها الضعيفة مع أرمينيا "التي لم تقم علاقات دبلوماسية معها حتى عام ١٩٩٢م"، استمرت متوترة بسبب اعتراف "إسرائيل" المحدود بالإبادة الأرمنية دفعت تل أبيب إلى توخي الحذر في علاقاتها مع يريفان، وقد فسرت بعض التحليلات هذا الحذر كجزء من سياسة "إسرائيل" الإقليمية لتجنب استفزاز تركيا أو المساس بعلاقاتها الناشئة مع باكو^(٢).

شكلت النكسة العسكرية في ناغورني-كاراباخ تحدياً للاستقرار السياسي الداخلي في أرمينيا، ولأسيما إيان بناء الدولة بعد الشيوعية والمعارضة السياسية الداخلية لتير بتروسيان (Ter Petrosyan)^(٣)، وقد تجاهلت النخبة القومية الحاكمة في حركة القوميين الأرمن المطالب الشعبية بالاستقالة، وأعلنت الحكومة أن الاستقرار الداخلي هو الأولوية القصوى للبلاد وأنه لن يُسمح لأي قوى، سواء داخلية أم خارجية، بتهديد سلامة الدولة، وقد تعاملت الحكومة مع الضغوط النفسية والسياسية من خلال

(1) Thomas De Waal, Black Garden, Op.Cit, p.355.

(2) Alexander Murinson, Israel's Strategy in the Caucasus: The Importance of Azerbaijan. Middle East Review of International Affairs, Vol. 10, No. 3, 2006, pp.210-215.

(٣) كان لهزيمة ناغورني-كاراباخ تأثير كبير على الوضع الداخلي في أرمينيا، سياسياً وكان هناك ضغط متزايد من المعارضة التي انتقدت إدارة الرئيس تير بتروسيان بسبب فشلها في إدارة الحرب بشكل فعال وتحقيق النصر. وكان المعارضون يرون أن الحكومة تقتصر على القيادة القوية والفعالة، ما أدى إلى الخسارة في الصراع أما داخلياً، فقد زادت هذه الهزيمة من حدة الانقسامات السياسية، حيث نشأت صراعات حادة بين مؤيدي بتروسيان ومعارضيه. وقد أثرت هذه الانقسامات سلباً على استقرار البلاد في فترة كانت تحاول فيها بناء مؤسساتها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى ذلك، فإن تدهور الوضع الأمني والمشاكل الاقتصادية الناتجة عن الحرب ساهمت في زيادة السخط الشعبي وارتفاع التوترات السياسية في البلاد، للمزيد ينظر:

Lynn Miller, The Idea and the Reality of Collective Security, Global Governance, Vol, 5, 2000, pp.303-304.

التأكيد على الحاجة إلى النضال الوطني الأرمني في حرب ناغورني-كاراباخ، وربما النضال الوطني مهدداً في حالة عدم الاستقرار السياسي الداخلي، وفضلاً عن ذلك، كانت هناك قضية أخرى حافظت على الاستقرار الداخلي غير المستقر وهي خطر الخسارة الكاملة للاستقلال واحتمال التهديد التركي الوشيك^(١).

واصلت القوات الأذرية في أيلول ١٩٩٢م تقدمها واستولت على مناطق استراتيجية في لاتشين وشوشي، آخر مدينة مأهولة بالسكان الأذريين في ناغورني-كاراباخ، الأمر الذي زاد من قدرتها على منع حركة المرور وقوافل المساعدات من العبور من أرمينيا إلى ناغورني-كاراباخ، ونجح الهجوم المضاد الأرمني في وقف تقدم إنريجان وخفف من الخطر الذي كان يهدد ممر لاتشين، وخلال شهر أيلول والأشهر التالية استقر الوضع العسكري^(٢)، وأثبتت الأدوات العسكرية أنها أقوى من الجهود الدبلوماسية، فقد رفض الأرمن والأذريين في ناغورني-كاراباخ الالتزام بالدعوات الإيرانية والروسية لوقف القتال، ويمكن أن يعزى ذلك إلى سببين:

أولاً: تلقى طرفا الصراع الدعم الأجنبي، ولاسيما من روسيا، لمواصلة الحرب وكانا يأملان في الخروج منتصرين^(٣).

ثانياً: أدى المخزون العسكري للجيش السوفييتي الذي صادرتة كلتا القوميتين إلى استمرارهما في القتال المطول، إذ أن انهيار الاتحاد السوفييتي في كانون الأول ١٩٩١ كان له تأثير سلبي على

^(١)Suny Ronald Grigor, The Fall of a President, AIM: Armenian International Magazine, Vol. 9, 1995, pp. 19-20.

^(٢)https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/09668136.2023.2214708?utm_source=chatgpt.com#abstract

^(٣) كان دعم روسيا لكلا الطرفين في حرب ناغورني كاراباخ عام ١٩٩٢ - أي أرمينيا وأذربيجان - قراراً معقداً واستراتيجياً نابعاً من عوامل عدة سياسية وعسكرية متشابكة منها الحفاظ على النفوذ في جنوب القوقاز، فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١، سعت روسيا إلى الحفاظ على نفوذها في جمهورياتها السابقة. ومن خلال دعمها للطرفين، وضعت نفسها كقوة لا غنى عنها في المنطقة، ما أجبر أرمينيا وأذربيجان على الاعتماد عليها في الدعم العسكري والسياسي والدبلوماسي. بالإضافة إلى ذلك، كانت السياسة الروسية في ذلك الوقت منقسمة. فبعض الفصائل داخل الجيش والحكومة وأجهزة الاستخبارات الروسية كانت لها مصالح متضاربة، بعض المسؤولين العسكريين دعموا أرمينيا نتيجة العلاقات التاريخية واللوبي الأرمني القوي في موسكو، بينما دعم آخرون أذربيجان أحياناً بطرق غير قانونية لتحقيق مكاسب مالية أو للحفاظ على نفوذ موسكو هناك، للمزيد ينظر :

Alec Rasizade, Op. Cit, pp. 119-120.

السيطرة على القوات المسلحة السوفييتية^(١) وكانت قاذفات الصواريخ والدبابات وناقلات الجند المسلحة وغيرها من الأدوات العسكرية "إما بيعت أو أقرضتها أو وجدت طريقها بطريقة أخرى إلى أيدي المقاتلين من الجانبين"^(٢).

وكان من التطورات الرئيسية في جهود الوساطة لحل الصراع بين ناغورني-كاراباخ الاتفاق الذي توصلت إليه الأمم المتحدة في أواخر عام ١٩٩٢م لجعل مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي الهيئة الدولية الرائدة لحل الصراع بين ناغورني-كاراباخ، الذي شارك في تيسير المفاوضات منذ صيف عام ١٩٩٢م في شكل مجموعة مينسك التي تضم ١٢ عضواً، يسترشد بالمبادئ المتفق عليها في وثيقة هلسنكي الختامية لعام ١٩٧٥م، والتي تضمنت حرمة الحدود الدولية، والسلامة الإقليمية للدول الأعضاء، وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير للشعوب^(٣).

حضر المناقشات التمهيدية التي عقدت في روما بين حزيران وأيلول ١٩٩٢ أعضاء منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، ولم يتوصل المندوبون الأرمن والأذريين إلى أرضية مشتركة إذ ان النزاع حول الوضع الرسمي لممثلي الأرمن في شمال قوقاز لم يُحل، ورفض المندوبون الأذريين بشكل قاطع التفاوض مع الممثلين الأرمن من شمال قوقاز، زاعمين أن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تهدد سيادة إذربيجان. مع الاصرار على أن جمهوريتي أرمينيا وإذربيجان هما المفاوضين الوحيدين في هذه القضية^(٤) وقد جادلت أرمينيا بأن المسؤولين الأرمن والأذريين قد مثلوا بالفعل كلا المجتمعين في ناغورني-كاراباخ، وكانت هناك صعوبة أخرى أعاقَت المناقشات بين الأطراف المتحاربة وهي الوضع النهائي لناغورني-كاراباخ^(٥)، فقد أصرت أرمينيا على تحديد الوضع القانوني المستقبلي بعد وقف الأعمال العدائية بشكل دائم ونشر قوات حفظ سلام دولية في ناغورني-كاراباخ. ومع ذلك، وفقاً لإذربيجان، فإن أي تفويض لقوة حفظ سلام من شأنه أن يقلل من سيادتها على المنطقة. لذلك، يجب توضيح الوضع القانوني

(1) The Washington Post (pre-1997 Fulltext); Nov 28, 1991,p.67.

(2) Alec Rasizade,Op.Cit,p.124.

(3) Moorad Mooradian, and Daniel Druckman, Op.Cit,pp.709-710.

(4) Lalg Papazian, Op.Cit,p.342.

(5) Moorad Mooradian, and Daniel Druckman ,Op,City,p.716.

لناغورني- كاراباخ أولاً كشرط مسبق لأي محادثات أخرى مع أرمينيا، وبسبب هذه القضايا الخلافية، لم تحقق اجتماعات مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي لعام ١٩٩٢، أي تقدم في التوفيق بين الاختلافات الأساسية بين الطرفين^(١).

وعلى الرغم من عدم التوصل إلى نتائج فورية من وساطة مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، فقد تدخلت وزارة الخارجية الروسية لإحياء جهود صنع السلام التي بدأت في موسكو في ٢٠ شباط ١٩٩٢م، وبعد مفاوضات مكثفة وبمشاركة بافيل غراشيف (Pavel Grachev)^(٢)، وزير الدفاع الروسي، تم التوصل إلى اتفاق في ١٩ أيلول ١٩٩٢، والذي دعا إلى وقف إطلاق النار والانسحاب التدريجي للقوات المسلحة الأرمنية والأذرية من منطقة الصراع، ومع ذلك، أدى عدم تنفيذ هذا الاتفاق إلى تصعيد المواجهات خارج حدود ناغورني- كاراباخ وهدد باندلاع أزمة دولية^(٣).

كان الموقف المتشدد للقوميين العرقيين الأرمن والأذريين في كاراباخ واضحاً في المرحلة الثانية من الحرب، ظل كلا الطرفين ثابتاً على مواقفه. قاتل الأرمن في كاراباخ للحفاظ على استقلالهم المعلن، في حين حاول الأذريين بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير أرمينيا جاهدين استعادة السيادة الأذرية على ناغورني- كاراباخ، ثبت أنه من الصعب على مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي أو روسيا التفاوض على وقف إطلاق نار دائم لأن الأطراف المتحاربة لم تكن راغبة في

^(١)Razmik Panossian, The Irony of Nagorno-Karabakh: Formal Institutions versus Informal Politics, Op. Cit, p. 156.

^(٢) بافيل غراشيف (١٩٤٨ - ٢٠١٢): جنرال روسي ووزير دفاع سابق، عُرف بدوره في الجيش السوفيتي ثم الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ولاسيما خلال توليه منصب وزير الدفاع الروسي بين عامي (١٩٩٢ - ١٩٩٦) في عهد الرئيس بورييس يلتسين ارتبط اسمه بالحرب الشيشانية الأولى، حيث تعرض لانتقادات شديدة بسبب التخطيط العسكري الفاشل وسوء إدارة العمليات، سيما في معركة غروزني، كما طارده اتهامات بالفساد خلال فترة ولايته ما أدى في النهاية إلى إقالته من منصبه، للمزيد ينظر:

Archie Brown, The End of the Soviet Union, The Last Empire: The Final Days of the Soviet Union Serhii plokhy journal of Cold War Studies, Vol. 17, No. 4, Fall 2015, pp. 158-159.

^(٣)Paul R. Viotti, and Mark V. Kauppi, International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond. Boston, London, Toronto, Sydney, Tokyo, Singapore: Allyn and Bacon, 1999, p. 54.

المفاوضات طالما لم تصل إلى طريق مسدود يضر بالطرفين، فضلاً عن ذلك، كان كلا الطرفين يؤمن بقوة بعدالة قضيته^(١).

ثانياً: دور مجلس الأمن الدولي في صراع ناغورني- كاراباخ

أثارت الأوضاع في ناغورني- كاراباخ قلق المجتمع الدولي، اذ تصاعد الصراع بين الأرمن والأذريين إلى حرب شاملة، وما أن بدأ كنزاع إقليمي في السنوات الأخيرة من الاتحاد السوفيتي سرعان ما تحول إلى أحد أكثر النزاعات عنفاً وتعقيداً في الفضاء ما بعد السوفيت، ومع سقوط آلاف الضحايا وتشريد أعداد هائلة من المدنيين، وتزايد التوترات الإقليمية أصبح هذا الصراع تحدياً كبيراً ليس فقط للأطراف المعنية مباشرة، بل أيضاً للدول المجاورة والجهات الفاعلة الدولية الكبرى. وأمام خطورة الوضع وفشل المفاوضات الثنائية في تحقيق السلام تعالت الدعوات إلى تدخل دولي، ومع استمرار العنف دون توقف، وصل النزاع في النهاية إلى أروقة الأمم المتحدة عام ١٩٩٢، مما شكّل لحظة حاسمة في مساره الدبلوماسي والسياسي^(٢).

في رسالة مؤرخة ٩ أيار ١٩٩٢ موجهة إلى رئيس مجلس الأمن بطرس غالي^(٣)، نقل ممثل إنديجان نص بيان صادر عن رئيس جمهورية إنديجان بشأن "الوضع الخطير في ناغورني- كاراباخ نتيجة للهجمات المكثفة التي تشنها القوات الأرمنية"، وذكر ممثل إنديجان

(1) Azerbaijan-Turkey، APS Review Oil Market Trends, vol 55, 3 July, 2000, p.452.

(2) Kenneth Weisbrode, Central Eurasia: Prize or Quicksand: Contending views of instability in Karabakh, Ferghana and Afghanistan, New York: Oxford University Press Inc, 2001, p.89.

(3) بطرس بطرس غالي: دبلوماسياً وأكاديمياً مصرياً، وشغل منصب سادس أمين عام للأمم المتحدة من عام ١٩٩٢ حتى ١٩٩٦، وكان أول عربي وأول إفريقي يتولى هذا المنصب، لعب بطرس غالي دوراً بارزاً في الدبلوماسية الدولية، خصوصاً خلال فترة ما بعد الحرب الباردة، ويُعرف بدوره في تعامل الأمم المتحدة مع النزاعات في رواندا والصومال والبلقان، كما شغل سابقاً منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية في مصر، وشارك في مفاوضات كامب ديفيد، للمزيد ينظر :

Simon Chesterman, Secretary or General, The UN Secretary-General in World Politics, Cambridge: Cambridge University Press, 2007, pp. 113-117.

أن الهجمات أسفرت عن احتلال وتدمير مدينة شوشا مع خسائر فادحة في الأرواح. وزعم أن الهجوم الضخم، المدعوم بالقوات الجوية والدبابات، شكل انتهاكاً صارخاً لسيادة إذربيجان وسلامة أراضيها وتهديداً خطيراً للسلام، وبناءً على ذلك، فقد لفت انتباه المجلس على وجه السرعة إلى "الوضع الخطير للغاية" ^(١) وأضاف أن القوات الأرمنية قطعت الطريق الوحيد الذي يربط تلك المدينة ببقية إذربيجان، وقد أضر هذا الحادث الاستفزازي بشكل خطير بنتائج الاجتماع الثلاثي الأخير في طهران بين إذربيجان وأرمينيا برعاية إيرانية، والذي تم الاتفاق فيه على ضرورة وقف إراقة الدماء، وفي نظر الرئيس، كانت المسألة واضحة، إن عصابة من الانفصاليين والقوميين المتحمسين من خانكيندي (KhanKendi) وحمايتهم، ليس فقط من أرمينيا تلعب بمصائر الشعوب، وتستمر في الاعتماد على القوة وتأجيج نيران الكراهية والحرب، وقد أبطلت العمليات الجديدة للانفصاليين جهود حفظ السلام التي تبذلها الأمم المتحدة، ومؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، والمنظمات الدولية الأخرى، وعدد من رؤساء الدول الذين كانوا يسعون إلى تطبيع الوضع في كاراباخ وعلى الحدود الأذرية الأرمنية، وحذر الرئيس من أن تدمير المدينة أو الاستيلاء عليها سوف يستدعي رد فعل مناسب لا محالة، وأن معركة شوشا قد تتطور إلى صراع واسع النطاق، وناشد مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، ورؤساء الاتحاد الروسي، ودول أخرى في رابطة الدول المستقلة، وتركيا وإيران، والمجتمع الدولي بأسره، كبح جماح المعتدي ^(٢).

وقد نقل ممثل أرمينيا رسالة في ٩ أيار من رئيس أرمينيا إلى مجلس الأمن أشار فيها إلى أن بلاده تلقت انتباه المجلس إلى الوضع في إقليم ناغورني - كاراباخ، واستمرار الحصار المفروض على أرمينيا وإقليم ناغورني - كاراباخ، وتهديد التدخل الخارجي المحتمل في المنطقة. وفي رسالته، ذكر رئيس أرمينيا أن بلاده تلقت انتباه المجلس إلى الوضع وفقاً للمادة ٣٥ ^(٣) من ميثاق الأمم المتحدة، وعلى الرغم من أن أرمينيا ليست طرفاً في النزاع في ناغورني - كاراباخ وجمهورية

(1) Svante E.Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Op.Cit,p.28.

(2) Alexander Iskandaryan, The Karabakh Conflict: From Soviet Past to Post-Soviet Uncertainty, Caucasus Survey, 2012,p.321.

(3) John Armstrong, Nations before Nationalism, Hutchinson, John and Smith Anthony D., eds. Nationalism. Oxford: Oxford University Press, 1994,pp.140-141.

الفصل الثالث

إذربيجان، فإنها تعرضت لهجمات عبر الحدود وحصار غير قانوني من جانب الأخيرة. وبناءً على ذلك، طلبت أرمينيا من مجلس الأمن على وجه التحديد: (أ) إرسال قوات حفظ السلام إلى جمهورية ناغورني-كاراباخ (ب) إصدار أوامر باتخاذ التدابير الأخرى التي يراها ضرورية لإجبار رفع الحصار الاقتصادي، والحفاظ على السلام والأمن الدوليين واستعادتهما، وحماية حقوق الإنسان. كما طلبت أرمينيا من المجلس اتخاذ التدابير اللازمة لضمان احترام جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لالتزاماتها بموجب الميثاق والامتناع عن أي تدخل في المنطقة^(١) وفي الختام، أشار رئيس أرمينيا إلى أن إقليم ناجورنو كاراباخ وإذربيجان اتفقا على وقف إطلاق النار، ولو مؤقتاً، من خلال جهود الوساطة التي بذلتها إيران مؤخراً. ولكن هذه الاتفاقات في رأيه لم تكن كافية فقد أصبح وجود قوة دولية لحفظ السلام أمراً ضرورياً إذا كان سكان ناجورنو كاراباخ يعتقدون أن وقف إطلاق النار سوف يُحترم، وأن عملية السلام الدائمة سوف تتحقق، وأن حقوق الإنسان سوف تُكفل، وأرمينيا على قناعة بأن الصراع سوف يستمر في التصعيد، في غياب الضمانات الدولية التي لا يمكن أن توفرها إلا قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، مما يعرض أمن المنطقة، وفي نهاية المطاف، أمن العالم للخطر^(٢).

وفي جلسته ٣٠٧٢ المعقودة في ١٢ أيار ١٩٩٢م، أدرج المجلس في جدول أعماله البند المعنون "الحالة فيما يتصل بناغورني-كاراباخ"، فضلاً عن الرسالتين المؤرختين ٩ و ١١ أيار ١٩٩٢م، على التوالي، من ممثلي إذربيجان وأرمينيا، ونظر المجلس في البند في الجلسة ذاتها، ولفت رئيس النمسا انتباه أعضاء المجلس إلى وثيقتين أخريين تتعلقان بالبند المدرج على جدول الأعمال. ثم ذكر أنه بعد المشاورات بين أعضاء المجلس، تم تفويضه بالإدلاء بالبيان التالي نيابة عن المجلس: ^(٣) "يشعر أعضاء المجلس بقلق عميق إزاء التقارير الأخيرة عن تدهور الوضع فيما يتصل بإقليم ناجورنو كاراباخ وانتهاكات اتفاقات وقف إطلاق النار التي تسببت

(1) Report from human right watch , Azerbaijan. Seven Years of Conflict in Nagorno-Karabakh. United States, 1994,p.87.

(2) Erik Melander, The Nagorno-Karabakh Conflict Revisited, Journal of Peace Research, Vol. 38, No. 4, 2001,p.158.

(3) United nation , Letter dated 9 May 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed to the President of the Security Council.

في خسائر فادحة في الأرواح وأضرار مادية واسعة النطاق، وعواقبها على بلدان المنطقة ، ويشيد أعضاء المجلس ويدعمون الجهود المبذولة في إطار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، فضلاً عن الجهود الأخرى الرامية إلى مساعدة الأطراف في التوصل إلى تسوية سلمية وتقديم المساعدة الإنسانية^(١).

زعم ممثل إذربيجان في رسالته الموجهة إلى مجلس الأمن في الأول من حزيران، أن القوات المسلحة الأرمنية لجأت إلى استخدام الأسلحة الكيميائية في الأحداث الأخيرة في ناخيتشيفان، الجيب الأذري في أرمينيا، وقد نفى ممثل أرمينيا في الأمم المتحدة الاتهامات المتعلقة باستخدام بلاده للأسلحة الكيميائية وطلب إرسال فريق من الخبراء إلى مناطق الصراع لتقييم الوضع^(٢) ، وفي خطابين مؤرخين في ١١ /حزيران عام ١٩٩٢م موجّهين على التوالي إلى الأمين العام ورئيس مجلس الأمن، أفاد ممثل إذربيجان بأن (٣٦) وثيقة قد سُلمت إلى بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة التي ذهبت إلى إذربيجان في نهاية أيار أشارت إلى نتائج الاختبارات التي أجرتها وزارة الصحة الأذرية على استخدام الأسلحة الكيميائية^(٣)، وطلبت إذربيجان توزيع تقرير بعثة تقصي الحقائق كوثيقة من وثائق مجلس الأمن، كما طلبت أن تتاح الفرصة لممثل إذربيجان، بصفتها المبادرة بإنشاء البعثة، للمشاركة في اجتماع المجلس لمناقشة التقرير وإلقاء كلمة فيه، وفقاً للمادة (٣٢) من ميثاق الأمم المتحدة^(٤).

وفي مذكرة وجهها الأمين العام إلى مجلس الأمن في ٢٤ تموز عام ١٩٩٢ أشار الأمين العام إلى أنه أبلغ المجلس، أثناء المشاورات غير الرسمية التي جرت في ١٩ حزيران

(1) James Fearon , Rationalist explanations for war, International Organization, Vol.49, Issue 3 ,1995,P.121.

(2) Kenneth Waltz, Realist Thought and Neorealist Theory, In Controversies in International Relations: Realism and the Neoliberal Challenge, ed. Charles W. Kegley, Jr. New York: St. Martin's Press, 1995, p.36.

(3) https://www.newyorker.com/news/our-columnists/the-violent-end-of-nagorno-karabakhs-fight-for-independence?utm_source=chatgpt.com.

(4) United nation , Identical letters dates 11 June 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed respectively to the Secretary-General and the President of the Security Council.

الفصل الثالث

١٩٩٢، بقراره إرسال بعثة إلى المنطقة للتحقيق في الادعاءات التي قدمتها إذربيجان بشأن استخدام الأسلحة الكيميائية من جانب القوات المسلحة الأرمنية في نيسان وأيار ١٩٩٢. وفي مذكرته، نقل تقرير بعثة الخبراء التي زارت إذربيجان وأرمينيا في المدة مابين من (٤ - ٨) تموز ١٩٩٢م، أشار إلى أن الخبراء قرروا عدم تقديم أي دليل على استخدام الأسلحة الكيميائية إلى الفريق^(١).

وفي رسالة مؤرخة ٢٠ آب ١٩٩٢م موجهة إلى رئيس مجلس الأمن، لفت ممثل أرمينيا الانتباه إلى الوضع المتدهور بسرعة والخطر في أرمينيا وناغورني-كاراباخ وإلى فشل مفاوضات مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي في التوصل إلى اتفاق فعال لوقف إطلاق النار. وطلب عقد اجتماع عاجل للمجلس بغرض النظر في خطوات محددة نحو استقرار الوضع. وفي رسالته، أفاد ممثل أرمينيا بأن القتال العنيف استمر في ناغورني-كاراباخ والمناطق الحدودية بين إذربيجان وأرمينيا^(٢) وزعم أن إذربيجان استمرت في قصف السكان المدنيين في العاصمة، وفي الوقت نفسه، كانت تتفذ هجمات عدوانية ضد أرمينيا نفسها، في محاولة لإشراكها بشكل مباشر في الصراع، ولم يتحقق سوى تقدم ضئيل في المفاوضات التي أجريت تحت رعاية مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي منذ كانون الثاني عام ١٩٩٢م، وأشار الممثل إلى أنه في أعقاب البيان الرئاسي الصادر في ١٢ أيار، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة أن إذربيجان لن تستأنف المحادثات مع أرمينيا^(٣).

وقد طلب ممثل أرمينيا في ١٢/ تشرين الأول ١٩٩٢م عقد اجتماع عاجل للمجلس للنظر في المشاركة المباشرة للأمم المتحدة في الجهود الرامية إلى إحلال السلام في ناغورني-كاراباخ، وأعرب عن دعم أرمينيا الكامل لجهود مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي ولاسيما جهود عملية مينسك، ولكنه لاحظ أن اتفاق وقف إطلاق النار لم يتم التفاوض عليه بنجاح تحت رعايته

(1) James Fearon, and David Laitin, Violence and the Social Construction of Ethnic Identity: Review Essay, International Organization 54, no. 4, 2000, p.90.

(2) United nation, Letter dated 20 August 1992 from the Permanent Representative of Armenia to the United Nations addressed to the President of the Security Council.

(3) That Controversial G-word; Turkey and the Armenians; Turkish Twitchiness about Armenians, The Economist. 3 February, 2001, p.134.

في آب، ومع ذلك، فإن اجتماعاً عقد في ٢١ أيلول في سوتشي بروسيا لدعم عملية السلام في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، بين ممثلي الاتحاد الروسي وأرمينيا وإذربيجان، أسفر عن توقيع اتفاق لوقف إطلاق النار، ليدخل حيز التنفيذ في ٢٦ أيلول، وعلى الرغم من أن هذا الاتفاق قد تعرض بالفعل لانتهاكات خطيرة، فإن أرمينيا تعتقد أنه إذا تم وضع آليات فعالة فهناك أمل في إمكانية تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار بنجاح^(١)، وقد استشهد الممثل بدعم إذربيجان لتعبيرها عن استعدادها للدخول في اتفاق وقف إطلاق نار دائم، ووفقاً لاتفاق سوتشي، لقبول مراقبين في المنطقة، وتأكيداً منها على أن الوقت المناسب للتدخل المباشر للأمم المتحدة قد حان، ناشدت أرمينيا الأمم المتحدة أن تقدم خبرتها وآلياتها القائمة للتوصل إلى اتفاق وقف إطلاق نار دائم وتنفيذه، وطلبت على وجه التحديد أن يعين الأمين العام في أقرب وقت ممكن ممثلاً خاصاً وأن يرسل إلى المنطقة فريق مراقبين تابع للأمم المتحدة لمساعدة الطرفين على التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار ومراقبة الوضع بعد ذلك^(٢).

وفي جلسته المعقودة في ٢٧/ تشرين الأول ١٩٩٢م، أدرج المجلس في جدول أعماله الرسالة المؤرخة ١٢ تشرين الأول/ ١٩٩٢ الموجهة من ممثل أرمينيا، ونظر المجلس في هذا البند في الجلسة ذاتها، ولفت فرنسا انتباه أعضاء المجلس أيضاً إلى رسالة مؤرخة ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٢ موجهة من ممثل إذربيجان، إذ أكدت إذربيجان مجدداً أنها لا تزال تفضل التسوية السلمية للنزاع على أساس المبادئ التي وضعها مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي^(٣)، وأعربت عن

(1) United nation , Letter dated 12 October 1992 from the Permanent Representative of Armenia to the United Nations addressed to the President of the Security Council.

(2) Stephen K. Batalden, and Sandra L. Batalden, The Newly Independent States of Eurasia: Handbook of Former Soviet Republics. Phoenix, AZ: Oryx, 1993,p.200.

(3)Michael Croissant, Op.Cit,p. 60.

الفصل الثالث

تفاوضها فيما يتصل بتسريع عملية التسوية في إطار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي^(١)، ثم ذكر الرئيس أنه، بعد التشاور بين أعضاء المجلس، تم تفويضه بالإدلاء بالبيان التالي نيابة عن المجلس^(٢) "ويعرب المجلس عن قلقه العميق إزاء الوضع الخطير الذي لا يزال سائداً في إقليم ناغورني-كاراباخ والمناطق المحيطة به، وكذلك إزاء ما نجم عن ذلك من خسائر في الأرواح وتدمير للممتلكات، على الرغم من اتفاق وقف إطلاق النار المبرم في سوتشي في ٢١ أيلول ١٩٩٢. ويؤكد المجلس مجدداً على بنود بيانه الصادر في ٢٦ آب ١٩٩٢ بشأن الوضع المتعلق بإقليم ناغورني-كاراباخ، ولاسيما دعمه للجهود التي يبذلها مؤتمر مينسك بشأن قضية ناغورني-كاراباخ في إطار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي. ويحث المجلس بقوة جميع الأطراف وغيرها من الجهات المعنية على تنفيذ وقف إطلاق النار فوراً ورفع جميع الحصارات. ويطلب عقد مؤتمر مينسك على الفور وإجراء مفاوضات سياسية وفقاً لقواعد الإجراءات التي وضعها الرئيس. ويحث جميع الأطراف وغيرها من الجهات المعنية على التعاون الوثيق مع مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي والمشاركة الإيجابية في المؤتمر من أجل التوصل إلى تسوية شاملة لمنازعاتها في أقرب وقت ممكن، ويرحب المجلس باعتزام الأمين العام إرسال ممثل إلى المنطقة لتقييم المساهمة التي يمكن للأمم المتحدة أن تقدمها في دعم جهود مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي وفي تقديم المساعدة الإنسانية"^(٣).

تناول هذا المبحث أهم المحطات العسكرية في الحرب، من اذ طبيعة المعارك، وتوزيع السيطرة الميدانية بين الطرفين، وخسائر الطرفين خلال العمليات. وقد شكل هذا التصعيد العسكري نقطة تحول في مجريات الصراع، وخلق واقعاً إنسانياً مأساوياً، سيكون محور المبحث التالي حول الآثار الاجتماعية والإنسانية للحرب.

(1) British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Armenia-Azerbaijan Hostilities and International Implications – Date: 22/10/1992 – Doc No: FCO/EEU/92/317.

(2) Quited in, United nation, Letter dated 24 October 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed to the President of the Security Council.

(3) Brecher, Michael. Crises in World Politics. Oxford: Pergamon Press, 1993, p.89.

المبحث الثالث

مجريات الحرب الأرمنية - الأذرية (١٩٩٣-١٩٩٤)

أولاً : المواقف الدولية لإحلال السلام في إقليم ناغورني - كاراباخ

نجح الأرمن في نيسان ١٩٩٣ في استعادة العديد من القرى في منطقة مارتاكيرت في ناغورني - كاراباخ، كما تمكنوا من الاستيلاء على أراض استراتيجية خارج حدود ناغورني - كاراباخ، حتى كيلبجار في الغرب وفيزولي في الجنوب الشرقي^(١)، وتم عزل كيلبجار عن بقية إذربيجان، باستثناء ممر عمر فوق جبال موروف، وعكس الهجوم الأرمني معظم التقدم الذي أحرزه الجيش الأذري خلال هجومه في عام ١٩٩٢م ثلاثة أهداف حاسمة:^(٢)

١. جرى طرد القوات الأذرية من معظم منطقة مارتاكيرت، مما سمح بعودة النازحين الأرمن.

٢. ضمان الاستحواذ على خزان سرسانغ ومحطة الطاقة الكهرومائية، التي كانت تشكل مصدرًا للطاقة.

٣. تم احتلال الجناح الشرقي لكلبجار، مما أدى إلى قطع منفذها الرئيسي إلى إذربيجان، طريق ترتر - كيلبجار^(٣).

وقد أدانت إيران وتركيا ومجلس الأمن الدولي الغزو الأرمني، الذي أضاف إلى عدد اللاجئين واقترب من حدود إيران، ومع تزايد التوترات الدولية في جنوب القوقاز في ٣٠ نيسان

⁽¹⁾Roger Petersen, Understanding Ethnic Violence: Fear, Hatred, and Resentment in Twentieth-Century Eastern Europe. Cambridge: Cambridge University Press, 2002,p.184.

⁽²⁾Ian Bremmer, Reassessing Soviet Nationalities Theory, Bremmer, Ian and Taras, Ray, eds. Nations and Politics in the Soviet Successor States. Cambridge: Cambridge University Press, 1993,pp.10-11.

⁽³⁾Craig Calhoun, Nationalism and Ethnicity, American Review of Sociology 19, 1993,pp. 211-239.

الفصل الثالث

١٩٩٣، أصدر مجلس الأمن القرار (٨٢٢)^(١)، الذي دعا إلى وقف فوري لإطلاق النار وانسحاب جميع القوات المحتلة من منطقة كلباجار وغيرها من المناطق المحتلة مؤخرًا في إذربيجان، ويبدو أن هذا القرار المتعلق بالصراع الأرمني الأذري قد حمى مبدأ حرمة الحدود الدولية وأكد الدور الأساسي لمؤتمر الأمن والتعاون الأوربي في حل الصراع بين ناغورني-كاراباخ وإذربيجان^(٢).

وبالتزامن مع صدور القرار (٨٢٢)، صاغت روسيا وتركيا والولايات المتحدة خطة سلام ثلاثية وعرضتها على الأطراف المتحاربة، وقد دعت هذه الخطة فيما إلى جدول زمني لبدء وقف إطلاق النار لمدة (٦٠) يومًا، وانسحاب القوات الأرمنية من كلباجار واستئناف المفاوضات، وقد تم تعديل الخطة لاحقًا وقبلوها من قبل أرمينيا وإذربيجان، ولكن تم رفضها من قبل القيادة الأرمنية في كاراباخ بذريعة أنها لا توفر ضمانات أمنية للأرمن في شمال إذربيجان. وقد صرح روبرت كارواتشاريان، رئيس لجنة الدفاع عن الدولة في شمال إذربيجان التي تم إنشاؤها في عام ١٩٩٢، قائلاً: "يجب أن يأخذ السلام الذي يتم إحلاله في المنطقة في الاعتبار المصالح الأساسية لشعب كاراباخ"^(٣)، وتحت الضغط السياسي من يريفان، تم تعديل موقف القيادة في كاراباخ، إلا أن القرار (٨٢٢) لم يتم تنفيذه^(٤).

استغلت القوات الأرمنية في كاراباخ الفوضى السياسية المتكررة في إذربيجان وشنت هجومًا جديدًا على بلدة أغدام في حزيران ١٩٩٣م، وهي مدينة يبلغ عدد سكانها (٥٠,٠٠٠) نسمة، في شرق ناغورني-كاراباخ، في إذربيجان ذاتها، لإنشاء منطقة أمنية حول ناغورني-كاراباخ، ونتيجة لهذه النكسة العسكرية أطاح القائد الشعبي للجيش سورات حسينوف بإيلتشي بيه،

(1) UN Security Council Resolution 822 (1993).

(2) David Carment, and Patrick James, Internal Constraints and Interstate Ethnic Conflict: Toward a Crisis-Based Assessment of Irredentism, The Journal of Conflict Resolution, Vol. 39, No.1, 1995, p. 20-84.

(3) Carrère-D'Encausse, Hélène, When the Prison of Peoples' was opened, Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context. Boulder: Westview Press, 1992, pp.87-88.

(4) Ibid, p.91.

الفصل الثالث

وتم جلب حيدر عليلف إلى السلطة في الثالث من تشرين الأول عام ١٩٩٣، وخلال الهجوم الأرمني على أعدام، ذكرت منظمة هيومن رايتس ووتش: "ارتكبت عدة انتهاكات لقواعد الحرب، بما في ذلك أخذ الرهائن، وإطلاق النار العشوائي، والتهجير القسري للمدنيين. وبعد الاستيلاء على المدينة، تعرضت للنهب والحرق عمداً بأوامر من السلطات الأرمنية في كاراباخ، وهو انتهاك خطير آخر لقواعد الحرب"^(١).

وفي أواخر تموز ١٩٩٣ ومع سقوط أعدام، استولت القوات الأرمنية في كاراباخ على أراضي إذرية إضافية. وقد جددت هذه المكاسب الإقليمية الانتقادات الدولية لأرمينيا". وأسفرت مبادرة دبلوماسية تركية جديدة في الأمم المتحدة عن صدور القرار رقم (٨٥٣) في ٢٩ تموز عام ١٩٩٣ م^(٢)، الذي أدان استيلاء أرمينيا على أراضي جديدة وذكر الأطراف بمتطلبات انسحاب "قوات الاحتلال" من إذربيجان وفي إطار استمرار موقفها المتحدي المتمثل في عدم الامتثال لقرارات الأمم المتحدة، شنت قوات كاراباخ الأرمنية هجوماً في جنوب غرب إذربيجان^(٣) وفي المدة من آب إلى تشرين الأول ١٩٩٣ م، وفي مواجهة جيش إذري منسحب ومحبط، استولى المهاجمون على مناطق قوباتلي وجبرائيل وفيزولي وزنجلان الأذرية، واحتلوا مساحات شاسعة من الأراضي الواقعة بين الحدود الجنوبية لإقليم كاراباخ الشمالي والحدود الأذرية الإيرانية^(٤)، ومن وجهة نظر أذرية، دمرت قوات كاراباخ الأرمنية أثناء هجماتها القرى والممتلكات الأذرية، وأخلت السكان المدنيين بالقوة، وأخذت الرهائن، وانتهكت "قواعد الحرب وارتكبت أعمال عنف في القرى الأذرية"^(٥)، وقد أدى هذا الهجوم الأرمني الضخم على المدن والقرى الأذرية إلى تحويل ما يقدر

(1) Quoted in: David Carment, The International Politics of Ethnic Conflict: The Interstate Dimensions of Secessions and Irredenta in the Twentieth Century, a Crisis-based Approach. Ph.D. dissertation, McGill University, 1994, pp.77-79.

(2) UN Security Council Resolution 853 (1993).

(3) Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context. Boulder: Westview Press, second edition, 1994, p.53.

(4) House of Lords Debate, Subject: Armenia and Nagorno-Karabakh - Date: 28/10/1993 - Doc No: Hansard/HL/93/289.

(5) https://brooklynworks.brooklaw.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1932&context=bjil&utm_source=chatgpt.com

الفصل الثالث

بنحو (١٠٠٠,٠٠٠) إنري إلى لاجئين في بلدهم، بما في ذلك النازحون داخلياً من إقليم كاراباخ الشمالي، وخلق مشكلة إنسانية كانت تتجاوز قدرات إذربيجان على التعامل معها^(١) وفي عام ١٩٩٣م، أغلقت تركيا معبر أليكان (Alikan)، الحدودي مع أرمينيا في إظهار للتضامن مع إذربيجان بسبب دعم أرمينيا للانفصاليين الأرمن من إقليم كاراباخ العرقي^(٢).

وعليه، يمكن القول إن عدم امتثال القيادة الأرمنية في كاراباخ للقرارين (٨٢٢) و (٨٥٣) واستمرارها في الاستيلاء على الأراضي الأذرية يمكن أن يعزى إلى الافتقار إلى العمل الدولي وعدم كفاية الضغوط من جانب منظمة الأمن والتعاون الأوروبي لإلزام أرمينيا بقبول القرارين (٨٢٢) و (٨٥٣).

لقد كان من الواضح أن الأمم المتحدة لم تتمكن من التوصل إلى حل وسط بين الأطراف المتحاربة. حتى بدا الأمر وكأن الأمم المتحدة أثبتت عجزها عن التحرك بسرعة وحسم النزاع، ولقد كانت محاولات القوات الأرمنية في كاراباخ لحل الصراع عسكرياً سبباً في عدم وجود أي حافز للتوصل إلى تسوية تقوم على التنازلات المتبادلة، وعلى حد تعبير جون جيه ماريسكا، السفير الأميركي السابق لدى مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي: "لقد كان هناك زعماء وطنيون على الجانبين استمروا في الضغط من أجل تحقيق شكل من أشكال النصر، ولكن هؤلاء الناس لم يقدموا لبلدانهم أي خير، بل عملوا على إطالة أمد المعاناة فحسب"^(٣).

وفضلاً عن تحركات الأمم المتحدة، جاءت مبادرات دبلوماسية أخرى لمواجهة التطورات العسكرية من إيران وروسيا وتركيا، ففي ظل التهديد بتدفق اللاجئين الأذريين على طول حدودها

(1) Clifford Geertz, Primordial and Civic Ties, Hutchinson, John and Smith, Anthony D., eds. Nationalism, Oxford: Oxford University Press, 1994, pp. 29-30.

(2) Ernest Gellner, Nationalism and Modernization, Hutchinson, John and Smith Anthony D., eds. Nationalism. Oxford: Oxford University Press, 1994: 55-57.

(3) Quited in , Minorities at Risk: A Global View of Ethnopolitical Conflicts. Washington, D.C.: United States Institute of Peace Press, 1993, pp.44-46.

الشمالية^(١)، أدانت إيران العدوان الأرمني ودفعت بوحداتها العسكرية إلى الحدود الأذرية لتسهيل الإغاثة الإنسانية للنازحين ومنع دخولهم إلى إيران، كما مارست ضغوطاً على قيادة قره باغ لوقف الهجوم، وأعلنت صراحة أنه "إذا كان سلامهم وأمن حدودهم معرضين للتهديد، فإن قادتهم لا يستطيعون أن يسمحوا للوضع بأن يتحسن"، كما عززت تركيا قواتها العسكرية على طول حدودها مع أرمينيا، ونقلت رسالة سياسية مفادها استعدادها لحماية سلامة أراضي إذربيجان، وعلى الرغم من أن التوغل الإيراني في الأراضي الأذرية أثار قلق تركيا، فقد حاولت ممارسة ضبط النفس، وقالت بلغة دبلوماسية أنه يجب أن يُنظر إلى الأمر بوصفه أمراً طبيعياً بالنسبة للدول الإقليمية، التي تأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر بالهجمات الأرمنية، أن تتخذ التدابير التي تراها ضرورية لحماية أمنها وأمن المنطقة، طالما أنها تحترم وحدة إذربيجان وسيادتها وسلامة أراضيها، وفي أواخر تموز ١٩٩٣، تدخلت روسيا أيضاً ممثلة بمفاوضها السياسي فلاديمير كازيمиров (Vladimir Karimirov)، في الصراع بين إذربيجان وأرمينيا،^(٢) إذ التقى بممثلين عن أرمينيا وإذربيجان وأرمينيا الشمالية لفرض خطة سلام روسية. وبعد جهود مكثفة، تضمنت المسودة الأولية ما يلي: وقف الأعمال العدائية، وإنشاء منطقة عازلة يتم فيها نشر مراقبين دوليين، وانسحاب القوات الأرمنية من الأراضي المحتلة، الأمر الذي من شأنه أن يخلق بدوره الظروف الملائمة لعودة النازحين، والمفاوضات بشأن تسوية سياسية طويلة الأجل، بما في ذلك الوضع المستقبلي لجمهورية ناغورني-كاراباخ^(٣).

وبعد أن فشل الرئيس علفيف، الذي خلف إلتشي بيه في الثالث من تشرين الأول ١٩٩٣، في تحقيق أي تقدم ملموس نحو التوصل إلى تسوية، التقى يلتسين وشرع في اتباع نهج

(1) Michael Hechter, and Margaret Levi, Ethno-regional Movements in the West, Hutchinson, John and Smith, Anthony D. eds. Nationalism, Oxford: Oxford University Press, 1994, pp. 184-185.

(2) British Embassy, Yerevan, To: FCO London – Subject: Armenian Military Actions in Karabakh – Date: 12/04/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/165.

(3) Quited in , Hah, Chong-Do and Jeffrey Martin, Toward a Synthesis of Conflict and Integration Theories of Nationalism, World Politics, Vol. 27, No. 3 , 1995, pp. 361-362.

ذي مسارين، فأولاً، شجع جهود روسيا الرامية إلى التوصل إلى خطة سلام محتملة، وثانياً، بادر إلى إجراء محادثات مباشرة مع القيادة الأرمنية في كاراباخ. واستجاب أركادي جوكاسيان (Arkadi Ghukasyan)، وزير خارجية جمهورية كاراباخ غير المعترف بها، لمبادرة عفيف، وفي ٩/١٣ عقدت لأول مرة محادثات بين إذربيجان وكاراباخ في موسكو تحت رعاية وزارة الخارجية الروسية، وحتى الآن، رفضت إذربيجان مقابلة ممثلي أرمينيا من كاراباخ، خوفاً من أن يؤدي هذا إلى إضفاء الشرعية على استقلال جمهورية كاراباخ، وأسفرت المحادثات عن اتفاق لوقف إطلاق النار استمر حتى الخامس من تشرين الثاني^(١).

ولقد أدى الهجوم الأرمني الجديد في تشرين الأول ١٩٩٣ إلى الاستيلاء على المزيد من الأراضي الأذرية على طول نهر أراكس (Araks)، وللحد من المخاطر المحتملة لتصعيد الحرب، تبنى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم (٨٧٤) في الرابع عشر من تشرين الأول عام ١٩٩٣ م^(٢)، الذي كان مشابهاً للغاية للقرارين السابقين، إذ أكد على حرمة الحدود الدولية، وأدان القتال وأعرب عن قلقه الشديد إزاء المعاناة الإنسانية^(٣)، ومن المؤكد أن مبدأ تقرير المصير الوطني، فضلاً عن الأمل في التحرير الذي جلبه للأرمن، جلب معه أيضاً بعض نقاط الضعف والمشاكل التي شكلت تهديداً للسلام والنظام الإقليميين، والواقع أن تقرير المصير العرقي للأرمن في شمال إذربيجان كان يعني ضمناً الانفصال عن إذربيجان، وهدد سلامة أراضيها، وحاول ترسيم حدود جغرافية جديدة على أسس عرقية، وكان القرار رقم (٨٧٤) مختلفاً في أنه لم يفرض أي قيود على حرية التعبير، بل كان يهدف إلى إضفاء طابع عرقي على هذه الحدود ودعا جميع الدول في المنطقة إلى الامتناع عن أي عمل عدائي وعن أي تدخل

(1) Economist Intelligence Unit, 1995-1996. Country Profile: Georgia, Armenia, Azerbaijan, London, UK: 1996, p.101

(2) UN Security Council Resolution 874 (1993).

(3) British Embassy, Baku, To: FCO London – Subject: Azerbaijani Reaction to UN Resolution 874 – Date: 18/10/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/430.

أو تدخّل من شأنه أن يؤدي إلى توسيع دائرة الصراع وتقويض السلام والأمن في المنطقة^(١).

جاء التحدي لقرارات الأمم المتحدة من الجانب الأذري، إذ شن هجومًا مضادًا غير متوقع في تشرين الأول ١٩٩٣، وبدعم من المرتزقة الأفغان، إذ لم يتمكن الأذريين من عكس الوضع العسكري الراهن في ساحة المعركة، وصدت قوات كاراباخ الأرمنية الهجوم وشنّت هجومًا مضادًا احتلت فيه منطقة بطول ٤٠ كيلومترًا على الضفة الشمالية لنهر أراكس على طول الحدود الأذرية الإيرانية، ومع سقوط زانجلان، أصبحت كل جنوب غرب إذربيجان تحت سيطرة القوات الأرمنية في كاراباخ، نزح ما يقدر بنحو ٦٠ ألف إذري وأجبروا على الفرار إلى إيران^(٢)، وفي مواجهة تصعيد الأعمال العدائية وتفاقم الأزمة الإنسانية، دعت مجموعة مينسك التابعة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي مرة أخرى إلى اتخاذ "تدابير عاجلة" لإنهاء الصراع بين ناغورني-كاراباخ وإذربيجان. وفي تشرين الأول عام ١٩٩٣م، دعت منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في اقتراح سلام إذربيجان إلى إنهاء حصارها للسكك الحديدية وخطوط الأنابيب إلى أرمينيا كشرط مسبق لانسحاب القوات الأرمنية في كاراباخ من أراضيها،^(٣) كما طُلب من إذربيجان الاعتراف بقيادة كاراباخ كطرف في الصراع، وقد عدت إذربيجان الاقتراح غير مقبول لأنه لم يذكر مشكلة اللاجئين، ولم يأخذ في الاعتبار قضية ممر لاتشين ولم يدعو إلى الانسحاب غير المشروط. وعلى هذا النحو، ظلت جهود صنع السلام التي تبذلها منظمة الأمن والتعاون الأوروبي عقيمة، ومن الجدير بالذكر أن الإغاثة الإنسانية كجزء من عملية السلام الأوسع نطاقاً كانت غائبة، وكان من الممكن أن تكون مثل هذه الإغاثة من جانب وكالات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة أو المنظمات غير

^(١)Ted Robert Gurr, Peoples Against States: Ethnopolitical Conflict and the Changing World System, International Studies Quarterly, Vol, 38 , 1994,pp.347-348.

^(٢) Ted Robert and Harff, Barbara. Ethnic Conflict in World Politics. Boulder: Westview Press, 1994,p.100.

^(٣)Rudolph Rummel, Power kills: democracy as a method of nonviolence. New Brunswick, N.J.: Transaction Publishers, 1997.p.101.

الحكومية بمثابة جزرة سياسية تستخدم لتشجيع الخصوم على وقف القتال والبدء في مفاوضات جادة^(١).

أصدر مجلس الأمن في ١٢/ تشرين الثاني ١٩٩٣م، في ضوء انزعاجه من تصاعد التوتر على الحدود الإيرانية، القرار رقم (٨٨٤)^(٢)، الذي كرر فيه دعواته السابقة وطالب الطرفين الطرفين "بمواصلة السعي إلى تسوية تفاوضية للصراع في إطار عملية مينسك التابعة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوربي، و"الجدول الزمني المعدل" كما عدله اجتماع مجموعة مينسك التابعة لمؤتمر الأمن والتعاون الأوربي في فيينا، في المدة من ٢ إلى ٨ / تشرين الثاني ١٩٩٣^(٣)، وعلى الرغم من المحاولات الدولية العديدة للوساطة، لم ينجح سوى عدد قليل منها في فرض وقف إطلاق نار قصير الأمد. وكانت أغلب مشاريع صنع السلام قد ولدت ميتة، لأن الأطراف التي تفاوضت عليها كانت تفتقر إلى آليات التنفيذ والوسائل الفعالة لمراقبتها. فمثلاً، لم تتمكن أي من الدولتين من التوصل إلى اتفاق سلام، ولم يكن لدى الأمم المتحدة ولا مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي قوة احتياطية لحفظ السلام جاهزة للانتشار، وكان كلاهما يفتقر إلى الأموال اللازمة للقيام بنوع المهمة التي ربما كانا يرغبان فيها في ناغورني- كاراباخ، فضلاً عن ذلك، كان الافتقار إلى الإرادة السياسية لدى الأطراف المتحاربة ورفضها المستمر لبعض أحكام خطط السلام سبباً في فشلها، فقد أصرت القيادة الأرمنية في كاراباخ على انفصالها واستقلالها عن إذربيجان، في حين ظلت باكو ثابتة على رفضها التفاوض بشأن القضايا المتعلقة بسيادتها وسلامة أراضيها^(٤).

⁽¹⁾Richard Giragosian, Armenian, Azerbaijani Diplomats discuss Nagorno-Karabakh at PACE Meeting, Op.Cit, p.199.

⁽²⁾ UN Security Council Resolution 884 (1993).

⁽³⁾Geysar Gurbanov, Op.Cit, p.189.

⁽⁴⁾Joan Esteban, and Debraj Ray, On the salience of ethnic conflict, The American economic review, Vol.98, Issue 5, 2008, p.88.

وعلى الرغم من عجز المجتمع الدولي عن وقف القتال، فقد أبدى مستويات عالية من القلق إزاء احتمال اندلاع حرب إقليمية كبرى في منطقة القوقاز^(١)، وعلى هذا فقد أكدت القرارات الأربعة الصادرة عن مجلس الأمن مبدأ حرمة الحدود الدولية، لأن رسم الحدود على أساس الجنسية كان قضية حساسة للغاية بالنسبة للمجتمع الدولي، وكان من المستحيل تقريباً أن يتم ذلك، وأي تغيير في الحدود من شأنه أن يزيد من الفوضى، وأن يكون استفزازياً، وقد يؤدي إلى ظهور مطالب جديدة بالانفصال العرقي والحروب. ومع احتلال القوات الأرمينية في كاراباخ لمزيد من الأراضي واقتربها من الحدود الإيرانية، اتخذت القوات المسلحة الإيرانية مواقع على طول حدودها مع أرمينيا، وكانت روسيا حريصة أيضاً على حماية ما عدته منطقة نفوذها الحصري في منطقة القوقاز، الأمر المهم الذي ينبغي الإشارة إليه في هذه المرحلة هو أن حرب كاراباخ لم تتصاعد إلى حرب إقليمية بسبب التزام الأطراف الإقليمية بضبط النفس من جانب إيران وروسيا وتركيا^(٢).

ثانياً : المراحل الأخيرة من الحرب (١٩٩٣-١٩٩٤).

استخدم الرئيس علفيف قضية ناغورني- كاراباخ لأغراض انتخابية وشعبية، وأعلن أن استعادة كاراباخ كانت على رأس أولوياته. وتراجع عن موقفه التصالحي السابق تجاه القيادة الأرمينية في كاراباخ وأصر على الانسحاب غير المشروط لقوات كاراباخ من ممر لانتشين كشرط مسبق للمفاوضات المستقبلية^(٣) وفي ١٨ كانون الأول ١٩٩٣م، شن الجيش الأذري هجوماً واسع النطاق على جميع الجبهات، منتهكاً بذلك اتفاق وقف إطلاق النار الذي بادرت إليه مجموعة مينسك وروسيا، ولم تسفر القوات الأذرية إلا عن نتائج محدودة، إذ استولت على بعض القرى الاستراتيجية في منطقة مارتاكيرت (Martakert) وعلى الحدود الأذرية الإيرانية، على حساب خسائر بشرية فادحة قدرت بما بين ٦٠٠٠ و ١٠٠٠٠ قتيل^(٤)، ومن بين المكاسب الأولية

(1) Nasib Nassibli, Azerbaijan's geopolitics and oil pipeline issue, Perceptions: Journal of International Affairs, Vol.4, Issue 4, 2000, p.199.

(2) Joan Esteban, and Debraj Ray, Op.Cit, p.96.

(3) Powell, Robert and David Lake. Strategic choice and international relations. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1999. pp.255-257.

(4) Rachel Seher, Op.Cit, p.322.

الفصل الثالث

للقوات الأذرية تقاطع السكك الحديدية الحيوي في هوراديز (Horadiz) والمرتفعات الاستراتيجية حول أغدام ومارتاكيرت. وقُدِّرت الخسائر الأرمنية بما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قتيل، وكان التدخل الأجنبي في القتال لا يمكن إنكاره، إذ قاتل المرتزقة الأفغان إلى جانب الأذريين، بينما ساعدت وحدات الجيش النظامي والمتطوعين من جمهورية أرمينيا والشتات الأرمني القوات الأرمنية في كاراباخ. وفي شباط ١٩٩٤، أثناء زيارة إلى لندن، أكد تير بتروسيان أن "أرمينيا ستتدخل عسكرياً".^(١)

وفضلاً عن تأييده لمقترحات السلام التي قدمتها منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، دعا تير بتروسيان المملكة المتحدة، التي لم تكن عضواً في مجموعة مينسك، إلى تعزيز الجهود الدولية نحو التوصل إلى تسوية سلمية، ولقد حاولت إذربيجان أيضاً حشد الدعم الدبلوماسي الدولي لموقفها السياسي الرسمي. ففي خطوة تتعلق بالسياسة الخارجية، أعلن الرئيس علييف أثناء زيارته لتركيا في شباط ١٩٩٣ أن "إذربيجان دولة واحدة، ودولتان"، ويبدو أنه سعى إلى الحصول على الدعم التركي حتى لا يترك تحت رحمة أي حل مستقبلي بوساطة روسية، وذلك لأنه كان "يشك في النوايا الروسية ويرى أن دعمها لأرمينيا يشكل وسيلة فجأة للضغط على إذربيجان وثروتها النفطية للعودة إلى المجال الاقتصادي والأمني لموسكو"^(٢) وأعرب علييف عن استعداده لقبول نشر قوات حفظ السلام الروسية في منطقة الصراع تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون الأوروبي فقط، وانضم إلى وحدات عسكرية أخرى من الدول الأعضاء في منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وزعم البعض أن علييف كان يلعب بالورقة التركية كلما كان ذلك يناسب أغراضه". وبعد أن طرد (١٦٠٠) خبير عسكري تركي من إذربيجان وفرض لوائح تأشيرة جديدة على الرعايا الأتراك الذين يدخلون إذربيجان قبل بضعة أشهر فقط، قرر فجأة تغيير سياسته الخارجية تجاه تركيا، وتهدف زيارته أيضاً إلى إنهاء مدة الفتور في العلاقات الثنائية مع تركيا التي أعقبت الإطاحة بالتشيبيبه^(٣).

(1) Rauf ,Characteristics Of Collective Memory, Ethnic Conflicts, Historiography, And The Politics Of Memory. Journal of Russian & East European Psychology, Vol. 46 ,2008,pp.116-118.

(2) George Downs, and David Rocke , Op.Cit,pp.142-144.

(3) Larry Diamond, and Marc Plattner, Op.Cit,p.177.

الفصل الثالث

في أعقاب التصعيد العسكري العنيف في ربيع 1994، ولا سيما معارك مارتاكيرت وتقدم القوات الأرمنية باتجاه تيرتر وشوميان، توصلت الأطراف المتحاربة إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في 12/أيار 1994 تم توقيع ما عُرف بـ بروتوكول بيشكيك بوساطة روسية ورعاية برلمانية من مجموعة الدول المستقلة وبمشاركة ممثلين عن أذربيجان وأرمينيا وناغورني-كاراباخ، وقد نص الاتفاق على وقف شامل لإطلاق النار ابتداءً من منتصف ليل 12 أيار، وتجميد مواقع القوات على خطوط التماس، ورغم هشاشته وغياب آليات مراقبة دولية فعالة، فقد شكّل هذا الاتفاق الإطار العملي لإنهاء العمليات العسكرية الكبرى في حرب كاراباخ الأولى، واستمر العمل به مع خروقات متكررة من الطرفين^(١).

وفيما يلي جدولاً يوضح التسلسل الزمني للأحداث الرئيسية في حرب ناغورني كاراباخ

جدول رقم (١) (١٩٨٨-١٩٩٤م)^(٢).

التاريخ	الحدث	الأثر
كانون الثاني 1988	بدء المظاهرات الأرمنية في ناغورني كاراباخ تصعيد التوترات الأرمنية الإذرية	تصعيد التوترات الأرمنية الإذرية
كانون اول 1989	المجلس الأعلى لأرمينيا يصوت على الاتحاد مع ناغورني كاراباخ تصعيد سياسي للمطالبة الإقليمية	التصعيد السياسي للمطالبة الإقليمية
كانون الثاني 1990	حملة القمع التي شنتها القوات السوفيتية في باكو في يناير/كانون الثاني ١٩٩٠ نزوح جماعي للأرمن من إذربيجان	نزوح جماعي للأرمن من إذربيجان
ايار 1992	استيلاء القوات الأرمنية على	انتصار استراتيجي لأرمينيا وتحول

(1) George Downs, and David Rocke, Op.Cit, p.151.

(2) Human Rights Watch –Azerbaijan: Seven Years of Conflict in Nagorno-Karabakh. Op.Cit, pp.11-13.

الفصل الثالث

في التوازن	شوشا انتصار استراتيجي للأرمن وتحول في التوازن	
نهاية الأعمال العدائية واسعة النطاق	اتفاق وقف إطلاق النار في مايو ١٩٩٤ بوساطة روسيا لإنهاء الأعمال العدائية واسعة النطاق	أيار 1994

يوضح هذا الجدول أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي شكلت مفاسل التحول في النزاع، منذ بداية الاحتجاجات في ١٩٨٨م وحتى اتفاق وقف إطلاق النار عام ١٩٩٤م .

ولقد أدرك الروس أن تكاليف استمرار القتال سوف تفوق كثيراً أي فوائد محتملة، على الرغم من أن القوات الأرمنية في كاراباخ خرجت منتصرة، وتمكن الأذريين فقط من الاحتفاظ بنقطة انطلاق المعركة في هوراديز. كما تعهد الممثلون البرلمانيون لأرمينيا وإذربيجان وجمهورية كاراباخ المعلنة من جانب واحد، والذين وقعوا على البروتوكول تحت رعاية الجمعية البرلمانية الدولية لرابطة الدول المستقلة، بقبول قوات حفظ السلام لمراقبة وقف إطلاق النار^(١)، وكانت المراحل الثلاث التي تصورها الروس بوصفها الحل الوحيد للصراع في كاراباخ هي "دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ ونشر قوات التدخل، وانسحاب القوات من الأراضي المحتلة، واستعادة خطوط الاتصالات، وعودة اللاجئين، والتفاوض بشأن وضع كاراباخ"^(٢).

ومع وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه في ١٢/أيار، دخلت الأطراف المتحاربة في مفاوضات بدت أكثر جدية من المحاولات السابقة، ولكن عملية السلام لم تشمل الأطراف الداخلية فحسب (أرمينيا وإذربيجان والقيادة الأرمنية في كاراباخ)، بل وأيضاً الأطراف الخارجية (منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وإيران، وروسيا، وتركيا)، وكان من المرجح للغاية أن تحاول الأطراف الخارجية التأثير على عملية السلام وفقاً لمصالحها الإقليمية. فضلاً عن ذلك فإن المصالح المتضاربة للقوى الإقليمية، وخاصة روسيا، تضع احتمالات التوصل إلى تسوية سلمية

(1) Steven Grosby, Op.Cit, pp.66-67.

(2) Jonathan Goodhand ,From wars to complex political emergencies: Understanding conflict and peace-building in the new world disorder, Third World Quarterly, Vol.20, Issue 1 ,1994, pp.70-71.

للصراع بين ناغورني-كاراباخ وإذربيجان في خطر^(١)، إلا أن الالتزام بالسلام في الإطار الذي توفره منظمة الأمن والتعاون الأوربي (التي أعيدت تسميتها بمنظمة الأمن والتعاون الأوربي في قمة بودابست في عام ١٩٩٤م)^(٢)، بقي السبيل الوحيد المتاح لإجراء مفاوضات مستقبلية وتحقيق السلام. وكان التزاماً على القوى الإقليمية ومنظمة الأمن والتعاون الأوربي أن تواجه التحدي المتمثل في قبول تغيير الحدود المعترف بها دولياً من خلال استخدام القوة^(٣) ولقد دارت مناقشات حول ما إذا كانت القوى الإقليمية والأمم المتحدة قادرة في هذه المرحلة من الصراع على إجبار الأرمن في كاراباخ على الانسحاب دون قيد أو شرط من الأراضي الأذرية المحتلة. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن هذا يعني ضمناً أن الأرمن في كاراباخ سوف يؤكدون على الأقل تأسيس جمهوريتهم المستقلة إما بحكم الأمر الواقع، مع عدم قدرة إذربيجان على قلب التوازن العسكري القائم في العقود المقبلة، أو بحكم القانون، مع موافقة إذربيجان رسمياً من خلال اتفاق مكتوب على الحكم الذاتي الكامل لإذربيجان^(٤).

ثالثاً: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية للحرب

كانت الحرب في ناغورني-كاراباخ واحدة من أكثر النزاعات تدميراً في حقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي، إذ لم تقتصر آثارها على عدد القتلى فحسب، بل شملت أيضاً عمليات نزوح واسعة النطاق، إذ اضطر مئات الآلاف من الأذريين والأرمن إلى الفرار من منازلهم نتيجة للقتال العنيف والتطهير العرقي والمجازر التي ارتكبت خلال النزاع، وكان عام ١٩٩٢م من أكثر الأعوام دموية من الناحية الإنسانية، إذ شهد مجازر وعمليات نزوح جماعي^(١)، ومن أهم هذه الأحداث مجزرة كوجالي التي وقعت في ٢٦ شباط ١٩٩٢، عندما هاجمت القوات الأرمنية،

(1) James Fearon, and David Laitin. Ethnicity, Insurgency, and Civil War. American Political Science Review, Issue 01, 2003, pp. 118-120.

(2) Emma Elfverson, and Johan Brosché, Communal conflict, civil war, and the state: Complexities, connections, and the case of Sudan. African Journal on Conflict Resolution, Vol. 12, Issue 1, 2012, pp. 290-292.

(3) British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Ceasefire Developments and Peace Negotiations – Date: 18/08/1994 – Doc No: FCO/EEU/94/512.

(4) Yael Tamir, The Enigma of Nationalism, World Politics, Vol. 47, 1995, PP. 418-420.

(1) Karen Von Hippel, The Resurgence of Nationalism and Its International Implications. The Washington Quarterly, Vol. 17, No. 4 (Autumn 1994): pp. 184-187.

بمساعدة وحدات من الفوج ٣٦٦ الروسي، المدينة ذات الأغلبية الأذرية، ووفقاً للمصادر الأذرية، قتل (٦١٣) مدنيًا، بينهم (٦٣) طفلاً و (١٠٦) نساء، أثناء محاولتهم الفرار، وقد خلفت هذه المجزرة أثرًا عميقًا في الذاكرة الأذرية، وأدت إلى نزوح عشرات الآلاف من السكان، وبعد سقوط شوشا في آيار ١٩٩٢، والسيطرة الأرمنية على لاتشين، استمر نزوح الأذريين بشكل جماعي خوفًا من مزيد من العنف، وأصبحت العديد من المناطق شبه خالية من سكانها الأصليين^(١).

وبحلول عام ١٩٩٣، سيطرت القوات الأرمنية على سبع مناطق إذرية خارج ناغورني-كاراباخ، مما أدى إلى أزمة إنسانية غير مسبوقة، وكانت لحظة سقوط كلبجار في نيسان ١٩٩٣ من أكثر المحطات مأساوية، إذ اضطر أكثر من ٦٠,٠٠٠ إذري إلى الهروب عبر الجبال في ظروف مناخية قاسية، مما أدى إلى وفاة العديد منهم بسبب البرد والجوع، وفي تموز ١٩٩٣، أدى سقوط أغدام إلى نزوح أكثر من ١٢٠,٠٠٠ شخص، إذ دمرت المدينة بالكامل تحت القصف العنيف. وفي اب من العام نفسه، أجبرت المعارك في فضولي وجبرائيل حوالي ١٠٠,٠٠٠ إذري آخر على مغادرة منازلهم. ومع استمرار القتال، اضطر نحو ٥٠,٠٠٠ آخرين إلى الفرار بعد سقوط قوبادلي (Qubadli) زانغيلان (Zangilan) وغورانبوي (Goranboy)، في أواخر ١٩٩٣، إذ لجأ بعضهم إلى إيران هربًا من الحرب^(٢).

وعند توقيع وقف إطلاق النار في آيار ١٩٩٤، كان أكثر من (٦٠٠,٠٠٠) إذري قد نزحوا داخليًا، عاش معظمهم في مخيمات اللاجئين والمدارس المهجورة، والمباني غير المكتملة، في ظروف إنسانية بائسة. كما نزح حوالي (٣٠,٠٠٠) إلى (٤٠,٠٠٠) أرمني، معظمهم من إذربيجان، إلا أن حجم النزوح الأذري كان أكبر بكثير بسبب السيطرة الأرمنية على مناطق واسعة^(١)، وأدت عمليات النزوح الجماعي هذه إلى تغيير ديموغرافي كبير في المنطقة، مما أسهم في زيادة التوترات العرقية بين الأذريين والأرمن لسنوات لاحقة. ظل مئات الآلاف من النازحين

(1) Yael Tamir, Op.Cit, p.425.

(2) J.S.Olson, ed. An Ethnohistorical Dictionary of the Russian and Soviet Empires. Westport, CT: Greenwood Press, 1994, p.43.

(1) Smith Graham, The Soviet State and Nationalities Policy, Smith, Graham, ed. The Nationalities Question in the Post-Soviet States. New York: Longman, 1996, pp.121-123.

الفصل الثالث

الأذريين بلا حل دائم لسنوات طويلة، إذ أصبحوا أحد أكبر المجموعات النازحة في العالم، مما جعل أزمة اللاجئين إحدى القضايا السياسية والإنسانية الأكثر تعقيداً في مدة ما بعد الحرب^(١).

وفيما يلي جدولاً يوضح أعداد اللاجئين والنازحين داخلياً^(٢).

جدول رقم (٢)

السنة	لاجئون أرمن من إذربيجان	لاجئون إذريون من أرمينيا/كاراباخ	نازحون داخلياً في إذربيجان
1988	0	0	0
1989	185000	160000	10000
1990	200000	180000	30000
1992	210000	250000	400000
1994	220000	300000	500000

يعكس هذا الجدول الكلفة الإنسانية للنزاع، من خلال تتبع أعداد اللاجئين والنازحين، ويُظهر تصاعد الأزمة السكانية خلال الحرب.

كان نظام التعليم من أكثر القطاعات تضرراً، ففي إذربيجان تعرضت المدارس والجامعات في مناطق النزاع، خاصة في مدن مثل أعدام وفصولي وكلجار، للتدمير أو الهجر، إذ فر آلاف الطلاب والمعلمين بسبب الحرب، وجد النازحون داخلياً صعوبة في الحصول على التعليم، إذ اضطروا للعيش في مخيمات مؤقتة أو ملاجئ تفتقر إلى المرافق الأساسية، حاولت الحكومة الأذرية التخفيف من هذه الأزمة من خلال إنشاء مدارس بديلة للأطفال النازحين، إلا أن جودة التعليم تدهورت بسبب ازدحام الفصول الدراسية ونقص الموارد والمعاناة النفسية للطلاب وفي أرمينيا، استنزفت الحرب موارد الدولة، مما أدى إلى نقص التمويل في المدارس والجامعات، خاصة خلال الانهيار الاقتصادي الذي أعقب الحرب في التسعينيات^(١)، كما واجهت

(1) Oles M. Smolansky, Russia and Transcaucasia: The Case of Nagorno-Karabakh, Rubenstein, Alvin Z. and Smolansky, Oles M. eds. Regional Power Rivalries in the New Eurasia: Russia, Turkey and Iran. New York: M.E.Sharpe, 1995, pp.203-205.

(2) Thomas De Waal, Black Garden, p.89.

(1) Carrère-D'Encausse, Hélène. The Nationality Question in the Soviet Union and Russia. Oslo: Scandinavian University Press, 1995, p.321.

المؤسسات الصحية تحديات هائلة، في إذربيجان عانت المستشفيات في المدن القريبة من جبهات القتال من نقص حاد في الموارد، ولم تكن قادرة على استيعاب أعداد كبيرة من الجرحى إذ تعرضت العديد من المرافق الطبية للتدمير أو التخلي عنها، بينما أدى نزوح الأطباء والمرضى إلى تفاقم الأزمة في مخيمات اللاجئين، وانتشرت الأمراض بسبب تردي الظروف الصحية، وعانى العديد من العائلات النازحة من سوء التغذية وانعدام الرعاية الطبية. أما في أرمينيا، فقد أدت الأزمات الاقتصادية الناجمة عن الحرب إلى نقص شديد في الإمدادات الطبية والمعدات، مما جعل المستشفيات تكافح لتوفير الحد الأدنى من الرعاية الصحية، لا سيما مع تزايد أعداد المحاربين القدامى الذين عانوا من إعاقات دائمة^(١).

كان أحد الآثار الفورية للحرب هو الدمار الذي لحق بالبنية التحتية الرئيسية، لا سيما في مناطق النزاع في ناغورني-كاراباخ والمناطق الأذرية المحيطة التي احتلتها القوات الأرمنية، فقد تعرضت مدن مثل أغدام وفضولي وجبرائيل وكلجار للدمار الكامل، إذ تحولت بلدات وقرى بأكملها إلى أنقاض، ودمرت الطرق والجسور ومحطات الطاقة وأنظمة الري أو تركت في حالة سيئة، مما جعل من المستحيل تقريباً على السكان النازحين العودة وإعادة بناء حياتهم^(٢)، كما أدى فقدان الأراضي الزراعية والمنشآت الصناعية إلى إضعاف القاعدة الاقتصادية لإذربيجان، إذ أصبحت العديد من المناطق التي كانت تساهم في الناتج المحلي الإجمالي للبلاد غير قابلة للاستخدام، في أرمينيا^(٣)، على الرغم من أن البلاد لم تتعرض مباشرة للدمار داخل حدودها، إلا أن التأثير الاقتصادي كان شديداً، فقد استنزفت تكلفة تمويل المجهود الحربي موارد الدولة، مما أدى إلى عجز في الميزانية، وتضخم، وتراجع اقتصادي، وجرى توجيه جزء كبير من الموارد

(1) Andranik Migranian, Experts Critique Russian Foreign Policy, Editorial. Current Digest of Post Soviet Press, Vol . 45, No. 7, 1993, pp. 16-17.

(2) Robert Goodin, The Oxford Handbook of Political Science. Oxford: Oxford University Press, 2011, p. 43.

(3) British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Humanitarian Crisis in Nagorno-Karabakh – Date: 05/05/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/405.

المالية المحدودة للدولة نحو النفقات العسكرية، مما ترك مجالاً ضئيلاً للاستثمار في البنية التحتية والتنمية الاقتصادية^(١).

قبل الحرب، كانت إذربيجان وأرمينيا جزءاً من نظام اقتصادي سوفياتي مترابط يسهل التجارة وحركة البضائع عبر الحدود، ومع ذلك، أدى النزاع إلى إغلاق طرق النقل الرئيسية، بما في ذلك السكك الحديدية والطرق السريعة، مما أثر بشدة على النشاط الاقتصادي. كما أدى الحصار الذي فرضته إذربيجان وتركيا على أرمينيا إلى عزل البلاد عن الأسواق الإقليمية، مما حد من وصولها إلى طرق التجارة الدولية وزاد من اعتمادها على الواردات المكلفة من دول مثل إيران وجورجيا^(٢)، وعانت إذربيجان أيضاً من العزلة الاقتصادية بسبب الحرب، إذ فقدت الموارد الطبيعية القيمة، بما في ذلك الأراضي الزراعية الخصبة والخزانات المائية والودائع المعدنية. كما أن النزاع أدى إلى تراجع الاستثمار الأجنبي، إذ تجنب المستثمرون التعامل مع بلد غارق في صراع إقليمي غير محسوم، مما أعاق تقدم إذربيجان الاقتصادي في السنوات الأولى من استقلالها^(٣).

فضلاً عن ذلك، عانت كل من أرمينيا وإذربيجان من نكسات كبيرة في قطاعي الصناعة والزراعة بسبب الحرب في إذربيجان، تم التخلي عن العديد من المصانع والمنشآت الإنتاجية الموجودة في المناطق المتأثرة بالحرب أو تعرضت للدمار، مما أدى إلى فقدان آلاف الوظائف^(١) كما تضرر الإنتاج الزراعي، الذي كان يمثل جزءاً رئيسياً من الاقتصاد في المناطق المحتلة، بسبب الألغام الأرضية وتدمير أنظمة الري وتشريد المزارعين، تأثرت صناعات القطن والحبوب والثروة الحيوانية التي كانت مزدهرة في

(1) The End of the Soviet Empire: The Triumph of the Nations. New York: Harper Collins, 1993,p.19.

(2) John H. Miller, Cadres Policy in Nationality Areas: Recruitment of CPSU First and Second Secretaries in Non-Russian Republics of the USSR , Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context. Boulder: Westview Press, 1993,pp. 183-185

(3) The Ethnic Sources of Nationalism, Survival vol.35, (Spring 1993):pp. 48-49

(1)Smith D. Anthony, Culture, community and territory: the politics of ethnicity and nationalism, International Affairs,Vol. 72,No. 3 , 1996, pp.450-453.

الفصل الثالث

مناطق مثل أعدام وفضولي، مما أدى إلى انعدام الأمن الغذائي وزيادة الاعتماد على المنتجات الزراعية المستوردة، وخلفت الحرب وتداعياتها مستويات عالية من الفقر والبطالة في كل من إذربيجان وأرمينيا في إذربيجان، أدى نزوح ما يقرب من مليون شخص إلى أزمة إنسانية، إذ اضطر الكثير منهم للعيش في ملاجئ مؤقتة دون القدرة على العثور على وظائف مستقرة^(١)، وواجهت الحكومة الأذرية تحديًا هائلًا في توفير الخدمات الأساسية للنازحين، مما زاد من الضغوط الاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد بالفعل، وكانت فرص العمل نادرة خاصة لأولئك الذين فقدوا منازلهم وسبل عيشهم بسبب النزاع^(٢).

(1) Malkhassian, Mark. Gharabagh, Detroit: Wayne State University Press, 1996,p.62.

(2) Tamara Dragadze, Azerbaijan and the Azerbaijanis, Smith, Graham, ed. The Nationalities Question in the Post-Soviet States, New York: Longman, 1996,pp.269-271.

الخاتمة

تعود جذور الصراع في إقليم ناغورني-كاراباخ الى إرث تاريخي طويل ومعقد، فلم يكن هذا الصراع وليد اللحظة أو نتيجة تطورات سياسية حديثة، إنما بسبب تراكمات عقود من الصراع السياسي والتدخلات الإثنية في جنوب القوقاز، إذ شهدت المنطقة ساحة للصراع منذ الحقبة القاجارية والعثمانية بين إمبراطوريات عدة، بسبب تدخل المصالح الإقليمية مع الهويات الدينية والعرقية، وبرزت في هذا السياق تصورات متضاربة بين الأرمن والإندر حول الانتماء التاريخي والسيادي للإقليم، كما عززت الثورة البلشفية حالة الفراغ السياسي في الإمبراطورية الروسية، وأدت إلى انهيار السلطة المركزية التي كانت تحكم مختلف القوميات بقبضة من حديد، الأمر الذي دفع الجماعات العرقية في منطقة القوقاز إلى السعي لتأسيس كياناتها القومية المستقلة مستندة إلى مطالب تاريخية وهوية ثقافية مميزة، وشكل الأقليم أحد أهم بؤر التوتر والصدام بسبب موقعه الجغرافي الحساس وغالبية سكانه الأرمن.

وبعد الحرب العالمية الأولى فشلت الوساطات البريطانية في التوصل إلى صيغة توافقية لحسم تبعية الأقليم خلال تواجد القوات البريطانية المؤقت جنوب القوقاز أثر انسحاب القوات العثمانية، فلم تُولَ لندن الاهتمام الكافي لهذا الصراع، وعدته مسألة هامشية لا تستحق الانخراط الجاد ضمن أولوياتها في منطقة كانت تنسحب منها تدريجياً، وبعد تأسيس الاتحاد السوفييتي ضم السوفيت الأقليم الى جمهورية إنذربيجان كحلاً أدرياً على الرغم من الأغلبية الأرمنية في الإقليم لأمثيازات الإستراتيجية من كسب الدعم التركي لإنذربيجان البلشفية.

اتسمت العلاقات الاجتماعية داخل الأقليم ابان الحقبة السوفيتية بالتعايش القسري بين الأرمن والإندر تحت مظلة الحكم الشيوعي، إذ فرضت السلطات السوفيتية سياسة قمع صارمة تجاه كل شكل من أشكال الاعتراض أو التعبير عن الهوية القومية، لاسيما من جانب سكان الأرمن الذين رأوا في التبعية الإدارية لبأكو ظلاً تاريخياً، رافقت سياسة التذويب الثقافي التي انتهجها الاتحاد السوفيتي مع محاولات مستمرة لتغيير التركيبة السكانية في ناغورني-كاراباخ، إذ سعت السلطات السوفيتية، بالتعاون مع حكومة بأكو، إلى تقليص الوجود الأرمني في الإقليم من خلال تشجيع توطين الأذريين في المناطق الأرمنية. تم توفير الحوافز الاقتصادية والوظيفية للأذريين في محاولة لتغيير التوازن الديموغرافي بما يتماشى مع المصالح السياسية لحكومة

إذربيجان في المقابل، وجرى تعطيل المشاريع التنموية التي قدمها الأرمن المحليون، سواء على مستوى البنية التحتية أو التقدم الاجتماعي والاقتصادي، مما زاد من شعور الأرمن بالإقصاء والتهميش. كما اتبعت السلطات السوفييتية، "سياسة فرض الأمر الواقع" في التعامل مع الإقليم عبر الإبقاء على الوضع الإداري القائم دون تعديل، إذ ظل الإقليم تابعاً لجمهورية إذربيجان الاشتراكية، وقد ساهمت هذه السياسة في ترسيخ حالة من الجمود السياسي والإداري، أدت مع مرور الوقت إلى تراكم مشاعر الاستياء والإحباط بين الأرمن، سيما في ظل التمييز المنهج الذي عانوا منه في تخصيص الميزانيات، وغياب المشاريع التنموية التي كان يمكن أن تساهم في تخفيف حدة التوتر، وما زاد من الهوة بين المركز وسكان الإقليم.

ظهرت بوادر معارضة صامتة في ستينيات القرن العشرين تمثلت في إرسال مذكرات احتجاج من قبل شخصيات أرمنية من ناغورني - كاراباخ إلى السلطات السوفييتية العليا، ولاسيما إلى الكرملين ولجنة الحزب الشيوعي السوفييتي. طالبت بإعادة النظر في الوضع الإداري للإقليم ونقل تبعيته إلى أرمينيا، لكنها قوبلت بالتجاهل التام أو الردود الرسمية الباردة، ولم تنتظر موسكو إلى تلك المطالب بوصفها دعوات لإصلاح سياسي مشروع، بل تعاملت معها كأخطار محتملة على الاستقرار الداخلي للدولة السوفييتية متعددة القوميات.

استعاد الأرمن في ناغورني - كاراباخ قضيتهم القومية بقوة مع بروز سياسة البروسترويك والغلاسنوست التي أطلقها الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف في منتصف الثمانينيات، إذ شكل هذا المناخ الجديد فرصة نادرة لإعادة فتح الملفات السياسية المؤجلة ومنها قضية كاراباخ، وقد شهد عام ١٩٨٧م تصاعداً ملحوظاً في الحراك الشعبي الأرمني داخل الإقليم وفي أرمينيا نفسها، إذ انتقلت المطالب من الشكاوى التنموية إلى الدعوة الصريحة بنقل التبعية السياسية إلى أرمينيا، وساهم الانفتاح الإعلامي النسبي في تغطية هذه المطالب، مما أعطى زخماً جديداً للصراع القومي وأدخله مرحلة جديدة من العلنية، بعد عقود من القمع والتهميش. كما اتخذ المجلس الشعبي في الإقليم خطوة تصعيدية غير مسبوقة في عام ١٩٨٨م عندما تقدم بطلب رسمي إلى القيادة السوفييتية والبرلمان الأرمني يعلن فيه رغبته بالانفصال عن جمهورية إذربيجان والانضمام إلى جمهورية أرمينيا الاشتراكية، وقد اعتمد المجلس في طلبه على مبررات

تاريخية وقومية، مستشهداً بالهوية الأرمنية لسكان الإقليم، إلا أن هذه الخطوة قوبلت برفض قاطع من البرلمان الأذري، الذي عدها انتهاكاً صارخاً للسيادة الأذرية، ومنذ ذلك الحين، بدأت شرارة المواجهة المباشرة بين الطرفين، وانتقل الصراع من طور المطالب الإدارية والحقوقية إلى طور النزاع القومي المفتوح، ما مهد الطريق لأندلاع الصراع الدموي لاحقاً.

أدى تصاعد العنف في أواخر الثمانينيات إلى موجة نزوح متبادلة بين الأرمن والأذريين، وقد أجبر عشرات الآلاف من الأرمن على مغادرة إنزيبجان، كما هجر الأذريين من أرمينيا وكاراباخ، مما ساهم في تطهير عرقي متبادل عزز من الانغلاق القومي لكل طرف، وأدى هذا التبادل السكاني القسري إلى غلق أي أفق للتعايش السلمي في المستقبل القريب، وتحول النزاع من قضية إدارية داخل الاتحاد السوفييتي إلى صراع عرقي قومي ذي طابع وجودي، اذ بدأ يُنظر إليه في كلا الجمهوريتين كقضية بقاء، وليس مجرد خلاف حدودي أو إداري. وعندما إنهارت مؤسسات الدولة السوفييتية تدريجياً في مطلع التسعينيات، ومع هذا الانهيار، تفككت أيضاً الهياكل السياسية التي كانت تضبط الصراعات القومية، وهو ما فتح الباب واسعاً أمام عسكرة النزاع في ناغورني - كاراباخ. ومع إعلان كل من أرمينيا وإنزيبجان استقلالهما في ١٩٩١، تحولت الأزمة من نزاع داخلي في دولة موحدة إلى حرب مفتوحة بين دولتين مستقلتين، ووجد الأرمن في كاراباخ أنفسهم يقاتلون من أجل الانفصال والانضمام إلى أرمينيا، بينما رأت باكو في ذلك تهديداً مباشراً لسيادتها ووحدة أراضيها، وهكذا دخل الصراع مرحلة الحرب الشاملة التي شهدت تعبئة شعبية وتسليحاً واسعاً للطرفين، وانخرط قوى خارجية بشكل غير مباشر فيها.

تكثفت جهود الوساطة الدولية في مطلع التسعينيات بهدف احتواء النزاع المتصاعد في الإقليم، سيما بعد أن تحولت المواجهات إلى حرب مفتوحة بين الجانبين برزت في هذا السياق مبادرات عدة، كان تدخل "مجموعة مينسك" التابعة لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي، لتقود عملية تفاوضية بين الطرفين، كان لروسيا دوراً محورياً فيها، وعلى الرغم من تعثر المفاوضات في بداية الامر لأنعدام الثقة بين الجانبين، إلا ان التقدم العسكري الذي أحرزته القوات الأرمنية في الإقليم وخارجته مثل ضغطاً كبيراً على الأذريين، الذين قبلوا على تقبل الانخراط الجاد في المحادثات، وفي أيار ١٩٩٤، تم التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق نار

برعاية روسية، وجرى توقيعه بين أرمينيا وإذربيجان وجمهورية ناغورني - كاراباخ غير المعترف بها دولياً، إذ أنهى هذا الاتفاق رسمياً العمليات العسكرية، لكنه لم يُنه جذور النزاع، ذو الملفات الجوهرية، وفي مقدمتها الوضع القانوني للإقليم وحق العودة للاجئين، مؤجلة إلى مفاوضات لاحقة لم تُكتب لها نتائج حاسمة في ذلك الحين.

الملاحق

ملحق رقم (١)

كاراباخ أثناء توسع الإمبراطورية الساسانية القرن الخامس^(١)

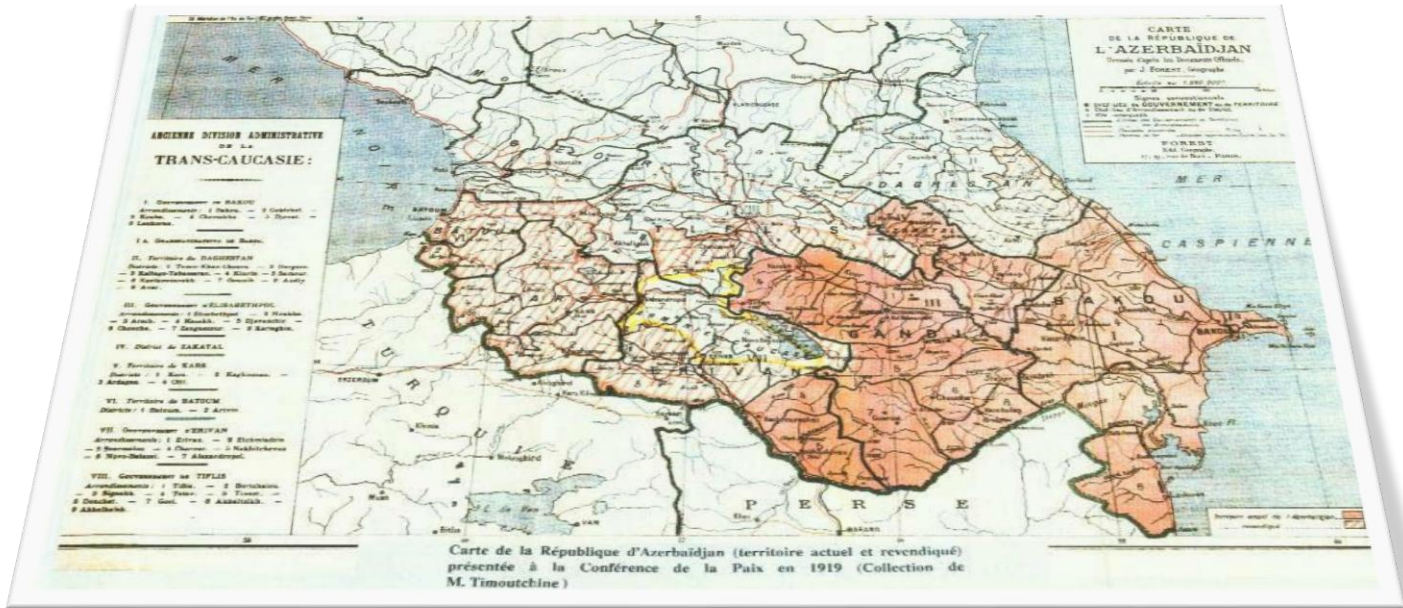


⁽¹⁾ <https://www.polgeonow.com/2020/12/nagorno-karabakh-control-map-after-ceasefire-withdrawals.html?m=1>

ملحق رقم (٢)

الحدود الإقليمية لأذربيجان المقدمة في مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٨ من قبل

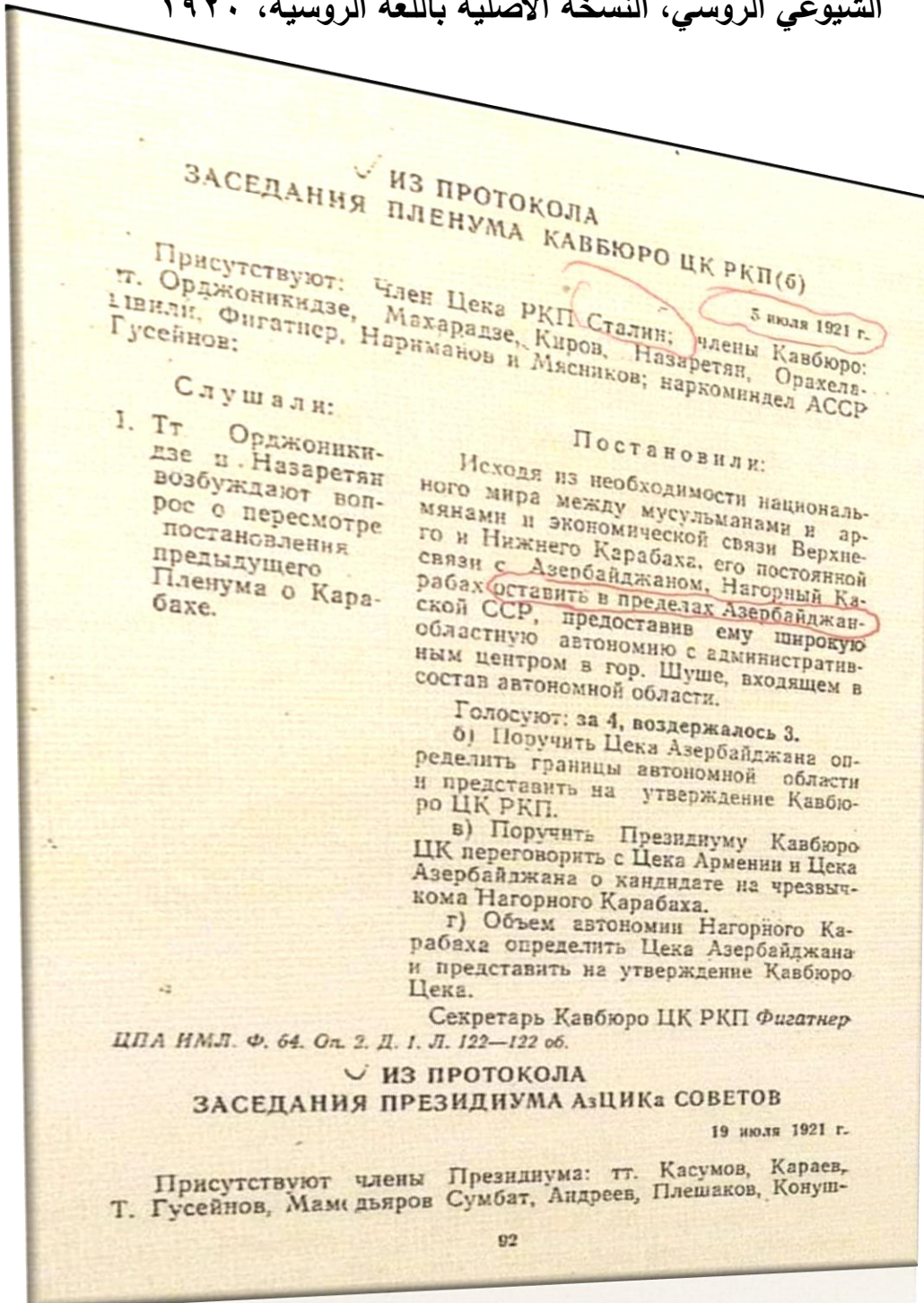
الوفد الأذربيجاني (جمهورية أذربيجان)^(١)



⁽¹⁾<https://www.google.com/search?q=map+for+Nagorno-Karabakh&client=ms-android-samsung-gs->

الملحق رقم (٣)

مقتطفات من محاضر الاجتماع العام للمكتب القوقازي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي، النسخة الأصلية باللغة الروسية، ١٩٢٠



ملحق رقم (٤)

النسخة الأصلية من القرار النهائي الذي اتخذته مكتب القوقاز في جلسته المنعقدة في ٥ يوليو/تموز ١٩٢١: "يجب أن تظل ناغورني كاراباخ ضمن جمهورية أذربيجان السوفيتية مع حكم ذاتي إقليمي واسع النطاق"

(a) Karabakh shall remain within Azerbaijan.	Voted for: Narimanov, Makharadze, Nazaretian; Against: Orjonikidze, Miasnikov, Kirov, Figatner.
(b) A plebiscite shall be organized throughout the territory of Karabakh and involve the entire Armenian and Muslim population.	Voted for: Narimanov, Makharadze.
(c) The mountainous part of Karabakh shall be part of Armenia.	Voted for: Orjonikidze, Miasnikov, Figatner, Kirov.
(d) The plebiscite shall be limited to Nagorno-Karabakh and the Armenian population.	Voted for: Orjonikidze, Miasnikov, Figatner, Kirov, Nazaretian. Decided: To consider Nagorno-Karabakh part of Armenia and limit the plebiscite to Nagorno-Karabakh.
6. Statement of Comrade Narimanov: since the Karabakh issue is very important for Azerbaijan I deem it necessary to transfer it to the C.C. R.C.P. for a final decision.	Since the Karabakh issue stirred up serious disagreements, the Caucasian Bureau of the C.C. R.C.P. believes it necessary to transfer the final agreement to the C.C. R.C.P.
Comrade Orakhelashvili was absent when the Karabakh issue was put to the vote. Secretary of the Caucasian Bureau of the C.C. R.C.P. Figatner.	

EXTRACTS FROM THE MINUTES OF THE PLENARY MEETING OF THE CAUCASIAN BUREAU OF THE C.C. R.C.P.(B.), EVENING SESSION 4 July, 1921	
Attended by ²⁵ : Member of the C.C. R.C.P. Stalin; members of the Caucasian Bureau: comrades Orjonikidze, Makharadze, Narimanov, Miasnikov, Kirov, Nazaretian, Orakhelashvili and Figatner. Secretary of the Komsomol Caucasian Bureau Breytman, members of the C.C. of Georgia: Tsintsadze, Mdivani and Svanidze.	
Heard:	Decided:
5. The Karabakh question. The discussion revealed two points of view; the following issues were put to the vote:	

ملحق رقم (٥)

ناغورني كاراباخ كمنطقة تتمتع بالحكم الذاتي ضمن جمهورية أذربيجان

السوفييتية ١٩٢٨ (١)



(1) <https://www.google.com/search?q=map+for+Nagorno-Karabakh&client=ms-android-samsung-gs->

ملحق رقم (٦)

صور من مذبحة كوجالي^(١)



^(١)Christophe R.Thornton. Genocide's Deadly Cycle: Letter from the Caucasus, The Sewanee Review,Vol. 122, no. 4,Published By: The Johns Hopkins University Press,2014,p.177

ملحق رقم (٧)

خريطة توضح موقع ممر لاتشين المهم^(١)



⁽¹⁾Doha Institute. Nagorno-Karabakh, Arab Center for Research and Policy Studies.
<https://www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/nagorno-karabakh>.
Accessed January 25, 2025.



قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الغير منشورة

- وثائق الأرشيف البريطاني

1. British Embassy, Baku, To: FCO London – Subject: Azerbaijani Reaction to UN Resolution 874 – Date: 18/10/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/430.
2. British Embassy, Moscow To: FCO London – Subject: Armenia-Azerbaijan Hostilities and International Implications – Date: 22/10/1992 – Doc No: FCO/EEU/92/317.
3. British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Ceasefire Developments and Peace Negotiations – Date: 18/08/1994 – Doc No: FCO/EEU/94/512.
4. British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Humanitarian Crisis in Nagorno-Karabakh – Date: 05/05/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/405.
5. British Embassy, Moscow, To: FCO London – Subject: Impact of Soviet Disintegration on Regional Conflicts – Date: 10/06/1991 – Doc No: FCO/EEU/91/210.
6. British Embassy, Yerevan, To: FCO London – Subject: Armenian Military Actions in Karabakh – Date: 12/04/1993 – Doc No: FCO/EEU/93/165
7. From: British Embassy, Moscow — To: FCO London — Subject: Soviet Policy Toward Nagorno-Karabakh Unrest — Date: 15/02/1990 — Doc No: FCO/EEU/90/102.
8. House of Lords Debate, Subject: Armenia and Nagorno-Karabakh – Date: 28/10/1993 – Doc No: Hansard/HL/93/289

ثانياً: الوثائق المنشورة

١- وثائق الأمم المتحدة

1. United nation , Letter dated 9 May 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed to the President of the Security Council.
2. United nation , Identical letters dates 11 June 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed respectively to the Secretary-General and the President of the Security Council.

3. United nation, Letter dated 20 August 1992 from the Permanent Representative of Armenia to the United Nations addressed to the President of the Security Council.
4. United nation , Letter dated 12 October 1992 from the Permanent Representative of Armenia to the United Nations addressed to the President of the Security Council.
5. United nation, Letter dated 24 October 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed to the President of the Security Council.
6. UN Security Council Resolution 822 (1993).
7. UN Security Council Resolution 853 (1993).
8. UN Security Council Resolution 884 (1993).
9. UN Security Council Resolution 874 (1993).

٢- وثائق المخابرات المركزية الأمريكية

- 1- Central Intelligence Agency. Unrest in the Caucasus and the Challenge of Nationalism. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150001-9. Published August 1, 1988.
- 2- Central Intelligence Agency. The Soviet Nationalities Problem and Gorbachev's Reform Agenda. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150002-0. Published September 15, 1988.
- 3- Central Intelligence Agency. Azerbaijan and Armenia: Rising Tensions in the South Caucasus. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150003-1. Published October 10, 1988.
- 4- Central Intelligence Agency. Ethnic Tensions in the Soviet Union: A Growing Challenge. Document No. CIA-RDP91B00776R000600150008-6. Published March 20, 1989..
- 5- Charles E. Allen (NIO for Warning) Intelligence Community – Highlights of MWR for March 1988, covering Karabakh tensions – CIA-RDP91B00776R000400020015-0 – 20 Apr 1988.
- 6- CIA Domestic Policy Division Senior Leadership – July 1988 Warning Report, covering mass protests in Stepanakert – CIA-RDP91B00776R000400110016-9 – Jul 1988.
- 7- CIA National Intelligence Council ,Senior Policy Makers / Zheleznovodsk Communiqué: ceasefire attempt between Armenia and Azerbaijan over Nagorno-Karabakh / CIA-RDP91B00232R000500230009-8 / September 23, 1991.

- 8- CIA Directorate of Intelligence National Intelligence Officers / Operation Ring: Soviet military crackdown and deportation in Nagorno-Karabakh / CIA-RDP91B00232R000300120004-5 / April 30, 1991.
- 9- CIA Directorate of Intelligence , Intelligence Community / Shootdown of Mi-8 peace helicopter near Karakend, escalation of Nagorno-Karabakh conflict / CIA-RDP91B00232R000600200012-7 / November 20, 1991

ثالثاً: الرسائل والاطاريح :

1- الرسائل والاطاريح الجامعية باللغة العربية:

- ١- سارة سهيل حسين، انهيار الاتحاد السوفيتي وتطور العلاقات الروسية الأوروبية (١٩٩٠-١٩٩٩)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة سامراء ، ٢٠٢٤.

٢- الرسائل والاطاريح باللغة الانكليزية

- 1- David Carment, ' The International Politics of Ethnic Conflict: The Interstate Dimensions of Secessions and Irredenta in the Twentieth Century, a Crisis-based Approach' Ph.D. dissertation, McGill University, 1994.

رابعاً : الكتب العربية والمعرية:

- ١- أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر تلجي وطارق عبد الجليل ، مراجعة: نافع وبرهان كوروغلو، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠.
- ٢- احمد عبده طرايبك، كاراباخ طريق السلام للقوقاز، دار النبلاء للابداع الثقافي، القاهرة، ٢٠١٤.
- ٣- أكرم الحوراني، دراسات في الجغرافيا السياسية لروسيا الاتحادية، جامعة دمشق، ٢٠٠٥.
- ٤- جراهام فولر، الجمهورية التركية الجديدة تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات مترجمة ، أبو ظبي، ٢٠٠٩.
- ٥- جورج بوشكيان، تاريخ الأرمن في القوقاز، دار هايك للنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

- ٦- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٩، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٧- ريتشارد هوفهانيسيان، تاريخ أرمينيا الحديث، ترجمة: أنطوان أرتين، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧.
- ٨- سليم حداد، منطقة بحر قزوين وأهميتها الاستراتيجية في العلاقات الدولية، دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة، دمشق، ٢٠٠٣.
- ٩- عبد الكريم بكار، مقدمة في علم الاجتماع السياسي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠١٠.
- ١٠- محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني شخصية فذة في تاريخ الإسلام، ط ٧، دار القلم، بيروت، ٢٠١٠.
- ١١- محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج ١، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٩٨٩.
- ١٢- محمد نور الدين أفاية، القوقاز: تقاطع النار والهوية، المركز الثقافي العربي، الرباط، ٢٠٠٨، ص ١١٤.
- ١٣- مروان قبلان، القوقاز: صراعات قومية وتدخلات دولية، مركز الإمارات للدراسات، أبو ظبي، ٢٠٠٢.
- ١٤- مصطفى الزين، أتاتورك أمة في رجل، بيروت، ١٩٦٤.

خامساً : الكتب باللغة الأجنبية:

١- الكتب الأرمينية

1. Yeghishe Ishkhanian, Lernayin Gharabagh (1917-1920), Mountainous Karabakh (1917-1920), Yerevan Armad Press, 1999.
2. Rafayel Ishkhanyan, Nash 'at Al Arman Wa-Tarikhuhum Al-Qadim [The Origins of the Armenians and their Early History, Beirut, The Armenian Catholicossate of the House of Cilicia, 1986.
3. Firuz Kazemzadeh, The Struggle for Transcaucasia (1917-1921), Birmingham: Templar Press, 1951.

4. V. N. Kazimirov, Mir Karabakhu, Posrednichestvo Rossii v Ureguliravini Nagorno Karabakhskogo Konflikta. Moscow: Mejdunarodie Otnosheniya, 2009.
5. Raymond H. Kévorkian, Le génocide des Arméniens. Publisher. Paris : Odile Jacob. 2006.
6. Nasiman yaqublu “Müsavat Partiyasının tarixi: Müsavat Partiyasının 100 illiyinə” (Adiloğlu), 2012.
7. Streck Maximilian, Armenien, Kurdistan und Westpersien, nach den babylonischassyrischen Keilschriften , Publisher ,München, 1898.
8. Kirakos Gandzakets'i. Patmutyun hayots. History of Armenia, (Critical edition by K. Melik'-Ohanjanyan), Erevan, 1961.
9. Mirza Dzhemal Dzhevanshir Karabagskii, Istoriia Karabaga, Baku, 1959.

٢- الكتب الاذرية

- 1- Y. G. Barsegov, Nagorny Karabakh v mezhdunarodnom prave i mirovoy poli- tike, Moscow, Krug, 2008.
- 2- Deletroz, Alain, Nagorny Karabakh: Put' k Miru Lezhit Cherez Referendum, International Crisis Group, 2005.
- 3- A. G. Elibegova, Strategicheskaya rol' osi Moskva Yerevan Tegeran v formirovanii geopoliticheskoy kartiny Zakavkaz'ya, Vestnik Rossiyskogo univer- siteta druzhby narodov, Seriya: Politologiya (2), 2009
- 4- Erich Feigl, Un Mythe de la Terreur - Le Terrorisme Arménien, ses Origines et ses Causes (Salzburg: Druckhaus Nonntal, 1991
- 5- Oleg Khlevniuk, Vital'evich. In Stalin's shadow : the career of "Sergo" Ordzhonikidze, Publisher. Armonk, N.Y. : M.E. Sharpe, 1995.
- 6- İlhan Tekeli, Bir Cumhuriyet öyküsü : Kadrocuları ve Kadro'yu anlamak. Publisher. Nişantaşı, İstanbul : Türkiye Ekonomik ve Toplumsal Tarih Vakfı, 2003.

٣- الكتب الألمانية

- 1- Jürgen Arnold, Die Rechtsstellung der nationalen Gebietseinheiten der Sowjet- union, Köln 1993.

4-الكتب الانجليزية

1. A.R. Hovhanisian, History of Armenia from the Paleolithic Age to the End of the Eighth Century B.C., Erevan, 1951.
2. Alison Vacca, Non-Muslim Provinces under Early Islam: Islamic Rule and Iranian Legitimacy in Armenia and Caucasian Albania, Cambridge University Press, Cambridge, 2017.
3. Andrea Chandler, and Charles F. Futado Jr., eds. Perestroika in the Soviet Re-publics: Documents on the National Question. Boulder, CO: Westview Press, 1992.
4. Anny Bakalian, Armenian Americans: From Being to Feeling Armenian, New York, Routled, 1993.
5. Anton Bebler, Frozen conflicts in Europe, France and Taylor, New York, 2015.
6. Antonio Cassese, Self-determination of peoples: A legal reappraisal, Cambridge, 1995.
7. Armen Aivazian, Possible Solutions to the Nagorno-Karabagh Problem: a Strategic Perspective, In The Making of Nagorno-Karabagh: From Secession to Republic, ed. Levon Chorbajian, New York, Palgrave, 2001.
8. Artashes Hakobjanian, The Quest of Karabakh through Centuries of Struggle, Yerevan, Zangak, 2004.
9. Aryeh Neier, The International Human Rights Movement, A History, Publisher. Princeton University Press, 2012.
10. Audre Altstadt, The Azerbaijani Turks : power and identity under Russian rule, Publisher. Stanford, Calif : Hoover Institution Press, Stanford University, 1992.
11. B. Agathangelos. History of the Armenians. translated by R.W. Thomson, State University of New York Press Publishing House, Albany, 1976.
12. B. B. Piotrovskiĭ, Urartu, Publisher, London, Barrie & Rockliff, 1969.
13. Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism. London New York: Verso, 1991.

14. Boris Kagarlitsky, Farewell Perestroika ,London, Verso, 1990.
15. Brenda Shaffer, Borders and brethren : Iran and the challenge of Azerbaijani identity, Publisher,Cambridge, Mass: MIT Press, 2002.
16. Brubaker Rogers, Nationalism Reframed: Nationhood and the National Question in the New Europe ,Cambridge: Cambridge University Press, 1996.
17. C. E.Bosworth, Islamic Dynasties, Edinburgh, 1967.
18. C.Daniel, The Helsinki Effect: International Norms, Human Rights, and the Demise of Communism, Frances &Taylor new York, 2001.
19. Cárdenas J.Emililio, Cañas, María F., The Limits of Self-Determination, in: Danspeckgruber (ed.), The Self-Determination of Peoples Community, Nation and State in an Interdependent World, London 2002.
20. Caroline Cox, and Eibner, John (eds), Ethnic Cleansing in Progress: War in Nagorno-Karabakh (London: Institute for Religious Minorities in the Islamic World, 1993.
21. Carrère d'Encausse, Hélène,The end of the Soviet empire : the triumph of the nations, New York , BasicBooks,New York, 1993.
22. Carrère-D'Encausse, Hélène, The Nationality Question in the Soviet Union and Russia, Oslo: Scandinavian University Press, 1995.
23. Carrère-D'Encausse, Hélène,When the Prison of Peoples' was opened, Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context, Boulder: Westview Press, 1992.
24. Charles W. Kegley, and Eugene R. Wittkopf,World Politics: Trend and Transformation, Belmont, CA: Thomson Wadsworth,2006.
25. Christopher walker, Armenia and Karabagh : the struggle for unity, Publisher.London , Minority Rights Group.1991.
26. Clifford.Geertz , "Primordial and Civic Ties." Hutchinson, John and Smith D. Anthony, eds. Nationalism. Oxford: Oxford University Press, 1994.
27. Dale F. Eikelman, Russia's Muslim Frontiers: New Directions in Cross-Cultural Analysis, Indiana: Indiana University Press,1993

28. David Brown, Contemporary Nationalism: Civic, Ethnocultural and Multicultural Politics ,London and New York: Routledge, 2000.
29. David Lang, Marshall, A modern history of Soviet Georgia, Publisher, New York, Grove Press, 1962.
30. David M. Lang, Armenia: Cradle of Civilization, London: George Allen and Unwin Ltd, 1970.
31. David M. Kotz, and Wier, Fred (eds), Revolution from Above: The Demise of the Soviet System ,London: Routledge, 1997.
32. Donald L. Horowitz, Ethnic Groups in Conflict ,Berkeley: University of California Press, 1985.
33. Donald Rayfield, Edge of empires : a history of Georgia, Publisher. London : Reaktion Books, 2012.
34. E. F. Knight, The awakening of Turkey : a history of the Turkish revolution, Publisher London , J. Milne, 1925.
35. Edgar O. Ballance, Wars in the Caucasus, London, Macmillan Press Ltd. 1997.
36. Eduard Abrahamyan, Gyumri murders threaten to disrupt Armenia's relations with Russia, The Central Asia-Caucasus Analyst, February, 2001.
37. Elizabeth Fuller, Azerbaijan at the Crossroads, London: Royal Institute of International Affairs, 1994
38. Emil Aslan Souleimanov, The South Caucasus 2021: Oil, Democracy and Geopolitics, Central European University Press, 2021.
39. Eric Hobsbawm, Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality, second edition , New York, Cambridge University Press, 1992.
40. Ernest Gellner , Nations and Nationalism ,Oxford: Blackwell, 1983.
41. Ernest Gellner, Nationalism , London: Phoenix, 1997.
42. Ernest Gellner, Nationalism and Modernization." Hutchinson, John and Smith D. Anthony , eds. Nationalism. Oxford: Oxford University Press, 1994.

43. Francine Hirsch, *Empire of Nations: Ethnographic Knowledge and the Making of the Soviet Union*, New York, Cornell University Press, 2005.
44. G. A. Bournoutian, *The Khanate of Erevan under Qajar Rule (1795- 1828)*, New York, 1992.
45. G. A. Ezov', *Snosheniia Petra Velikogo s' armianskim narodom* The Relations of Peter the Great with the Armenian People, St. Petersburg, 1898.
46. George A. Bournoutian, in: Suny (ed.), *Transcaucasia, Nationalism and Social Change: Essays in the History of Armenia, Azerbaijan and Georgia*, An Arbor 1996.
47. George Rawlins, *History of Herodotus*, A new English version, London, John Murray, 1862.
48. Georgi Derluguian, *Bourdieu's secret admirer in the Caucasus: a world-system biography*, Chicago: University of Chicago Press, 2005.
49. Gerard J. Libaridian, ed. *The Karabagh File: Documents and Facts on the Region of Mountainous Karabagh (1918-1989)*, Toronto: Zoryan Institute for Contemporary Armenian Research & Documentation, 1989.
50. Geysar Gurbanov, *Nagorno-Karabakh Conflict: The Golden Apple of Discord or a Toy That, Two Have Failed to Share, Europe's Next Avoidable War: Nagorno-Karabakh*, ed., Michael Kambeck, Sargis Ghazaryan, New York, Palgrave Macmillan, 2013.
51. Gürün Kamuran, , *The Armenian File: The Myth of Innocence Exposed*, K. Rustem, Nicosia, Oxford University Press, 1985..
52. Haig E. Asenbauer, *On the right of self-determination of the Armenian people of Nagorno-Karabakh*, Armenian Prelacy, New York, 1996.
53. Haig Ghazarian, *The Treaties of Moscow and Kars in 1921 and their Tragic Role in Armenians' Fate*, Yerevan: Edit Press, 2010.
54. Hanlon Querine, *The three images of ethnic war*, Publisher, Westport, Conn, Praeger, Security International, 2009.

55. Hasan-Jalalian, Alban olkasinin gysa tarikhi .A Short History of the Country of Albania. Azeri translation by Z. Bunyatov, Baku, 1992.
56. Henri J. Barkey,Turkey and the New Middle East: A Geopolitical Exploration, NY: Hammond Press,1996.
57. Herzfeld Ernst,Zoroaster and his world, Publisher.New York, Octagon Books,1974.
58. Herzig Edmund,The New Caucasus: Armenia, Azerbaijan, and Georgia, London, The Royal Institute of International Affairs,1999.
59. Herzig, Edmund,The New Caucasus: Armenia, Azerbaijan, and Georgia. London, The Royal Institute of International Affairs,1999.
60. Igor Ivanov, Vneshnaya Politika Rossii v Epokhu Globalizachii, Stati i Vustupleniya, Moscow, Olma Press,2002.
61. Igor M. Diakonoff, The Pre-History of the Armenian People ,New York, Caravan Books,1984.
62. Igor M. Diakonoff, The Paths of History, Cambridge University Press, Cambridge, 1999.
63. Irina Ghaplanyan, Post-Soviet Armenia: The New National Elite and the New National Narrative, London: Taylor and Francis, 2017.
64. J.L. Black,Vladimir Putin and the New World Order: Looking East, Looking West, Lanham, MD: Rowman and Littlefield PublisheVla,2004.
65. J.S.Olson, ed. An Ethnohistorical Dictionary of the Russian and Soviet Empires. Westport, CT: Greenwood Press, 1994,
66. James E. Dougherty, and Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations, New York,Harper Collins Publishers, 1990.
67. Janett Morgan,Greek perspectives on the Achaemenid Empire, Persia through the looking glass, Publisher.Edinburgh , Edinburgh University Press,2016.
68. Jeff Chinn, and Kaiser, Robert, Russians as the New Minority: Ethnicity and Nationalism in the Soviet Successor States ,Boulder: Westview Press, 1996.

69. Jemal Jevanshir, Karabagh Tarikhi (Azeri version), Baku, 1959.
70. Joan DeBardeleben, Russian Politics in Transition, Boston, New York: Houghton Mifflin Company, 1997.
71. John Armstrong, Nations before Nationalism, Hutchinson, John and Smith Anthony D. eds. Nationalism. Oxford, Oxford University Press, 1994.
72. John H. Miller, "Cadres Policy in Nationality Areas: Recruitment of CPSU First and Second Secretaries in Non-Russian Republics of the USSR, Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context. Boulder: Westview Press, 1993.
73. John J. Maresca, The International Community and the Conflict over Nagorno-Karabakh, In Opportunities Missed, Opportunities Seized: Preventive Diplomacy in the post-Cold War World, ed. Bruce W. Jentleson. New York: Rowman and Littlefield Publishers, Inc, 2000.
74. Justin McCarthy, Death and Exile: The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims (1821-1922), Toronto: Federation of Canadian Turkish Associations, 1995.
75. Justin McCarthy, The Armenian Rebellion at Van, Salt Lake City: University of Utah. McQuaig, Linda, 2019.
76. Kamal Makili, Contested Territories and International Law - A Comparative Study of the Nagorno-Karabakh Conflict and the Aland Islands Precedent, Francis and Taylor, New York: 2020.
77. Karen Dawish, & Bruce parrott, Conflict, Cleavage and Change in Central Asia and the Caucasus, Glasgow: Cambridge University Press, 1997.
78. Kari Levitt, Silent Surrender: The Multinational Corporation in Canada, Montreal: McGill-Queens University Press. 1970.
79. Karl W. Deutsch, Nationalism and Social Communication: An Inquiry into the Foundations of Nationality Cambridge and London, MIT Press, 1996.
80. Kenneth Waltz, Realist Thought and Neorealist Theory, In Controversies in International Relations: Realism and the Neoliberal Challenge, ed. Charles W. Kegley, Jr. New York: St. Martin's Press, 1995.

81. Kenneth Weisbrode, Central Eurasia: Prize or Quicksand?: Contending views of instability in Karabakh, Ferghana and Afghanistan. New York: Oxford University Press Inc, 2001.
82. Khazaradze, N. The "Western Muski" in Central Anatolia, Orientalia, Istorija i jazyki Drevnego Vostoka, pamjati I.M. Diakonova, St Petersburg, 2002.
83. Khorenats'i, Movsēs, History of the Armenians, Trans: R.W. Thomson. Cambridge, MassachuseR, 1979.
84. Knutsen Torbjorn, A History of International Relations Theory, Manchester, New York, Manchester University Press, 1997.
85. Kourosh Rahimkhani, Mehrzad Boroujerdi, Postrevolutionary Iran: A Political Handbook, Published by, Syracuse University Press, 2018.
86. Krüger Heiko, The Nagorno-Karabakh Conflict: *A Legal Analysis*, Springer, New York, 2010.
87. Kurilovicz and H. Hittite, and Further Extensions on to Armenian, *Analecta Indoeuropaea Cracovensia*. Vol. II: Kurilowicz Memorial Volume. Part 1. Cracow. 1995.
88. Lalig Papazian, , A People's Will: Armenian Irredentism Over Nagorno- Karabakh." In *The Making of Nagorno-Karabakh: From Secession to Republic*, ed. Levon Chorbajian, New York: Palgrave, 2001..
89. Ian Bremmer, Reassessing Soviet Nationalities Theory, Bremmer, Ian and Taras, Ray, eds. *Nations and Politics in the Soviet Successor States*, Cambridge: Cambridge University Press, 1993
90. Ian Q. R. Thomas, *The Promise of Alliance: NATO and the Political Imagination*. Rowman & Littlefield, Lanham, MD, 1997.
91. Larry Diamond , and Plattner, Marc. *Electoral systems and democrac*, Johns Hopkins University Press, 2006.
92. Laurence Broers, *Armenia and Azerbaijan: Anatomy of a Rivalry*, Edinburgh University Press, 2019.
93. Levon Chorbajian, Patrick Donabedian, Claude Mutafian, *The Caucasian Knot: The History and Geopolitics of Nagorno-Karabakh*, Zed Books, 1994.

94. Liudmila Gatagova, The Russian Empire and the Caucasus, The Genesis of Ethnic Conflicts, London: Macmillan, 2000.
95. M. Abigian, History of the Ancient Armenian Literature, Erevan Published .arminia, 1944.
96. M. Chahin, The kingdom of Armenia, Publisher.Croom Helm, New Jersey, USA, 1987.
97. M.Chahin, The kingdom of Armenia, Publisher.New York : Dorset. 1991.
98. Mahir Khalifa-zadeh, History of Azerbaijan Timeline and facts, published by analysis and media center, Canada, 2017.
99. Mahmed Iskenderov, Azerbaijan A Land in Bloom, Publisher London, Soviet Booklets, 1959.
100. Mark Malkhassian, Gharabagh, Detroit: Wayne State University Press, 1996.
101. Markar Melkonian, My Brother's Road: An American's Fateful Journey to Armenia, I.B. Tauris, 2005.
102. Marshall Alexm, The Caucasus under Soviet rule, Publisher. London, New York, Routledge, 2010.
103. Martin McCauley, Three Treaties, Alexandropol, Moscow and Kars (1920-1921), Beirut, Technopress Modern, 1 Thr. (No year).
104. Mary Boyce, history of Zoroastrianism, Publisher. Leiden, Brill, 1975.
105. Masih R. Joseph, and Krikorian, Robert O. Armenia at the Crossroads, Amsterdam: Harwood Academic Publishers, 1999.
106. Michael Brecher, Crises in World Politics, Oxford, Pergamon Press, 1993.
107. Michael Croissant, The Armenia-Azerbaijan Conflict: Causes and Implications, Westport, CT: London: Praeger Publishers, 1998.
108. Michael E. Brown, Cote, Owen R., Jr., Lynn-Jones, Sean M. and Miller, Steven E. (eds), Nationalism and Ethnic Conflict Cambridge, MA: MIT Press, 1996.
109. Michael Hechter, and Margaret Levi, Ethno-regional Movements in the West, Hutchinson, John and Smith, Anthony D. eds. Nationalism. Oxford, Oxford University Press, 1994.

110. Michael Sturmer & Blackwill, Robert D. Allies Divided: Transatlantic Policies for the Greater Middle East, Cambridge, MA: MIT Press. 1997.
111. Mikhail Gorbachev, Memoirs, New York and London: Doubleday, 1996.
112. Minorities at Risk: A Global View of Ethnopolitical Conflicts. Washington. D.C.: United States Institute of Peace Press, 1993
113. Mostashari Firouzeh, 'On the religious frontier ' Tsarist Russia and Islam in the Caucasus', Publisher. I.B. Tauris ' New York ' 2006, p. 213.
114. Nadia Diuk, and Adrian Karatnycky, New Nations Rising: The Fall of the Soviets and the Challenge of Independence, New York: John Wiley & Sons, 1993.
115. Nahaylo, Bohdan and Swoboda, Victor .Soviet Disunion: A History of the Nationalities Problem in the USSR ,New York: Hamish Hamilton Ltd., 1990.
116. National Identity in a Muslim Community, Cambridge: Cambridge University Press, 1985.
117. Neil Wilson, Georgia, Armenia & Azerbaijan. Publisher. Hawthorn, Vic. London : Lonely Planet, 2000, p. 31.
118. Nicholas V. Riasanovsky , A History of Russia. New York: Oxford University Press, 2005.
119. Norman Davies, Beneath another sky : a global journey into history, Publisher, London Allen Lane, an imprint of Penguin Books, 2016.
120. Oles M. Smolansky, Russia and Transcaucasia: The Case of Nagorno-Karabakh, Rubenstein, Alvin Z. and Smolansky, Oles M. eds. Regional Power Rivalries in the New Eurasia: Russia, Turkey and Iran. New York: M.E. Sharpe, 1995.
121. Oles Smolansky, Regional power rivalries in the new Eurasia : Russia, Turkey, and Iran, Publisher, Armonk M.E. Sharpe, New York, 1995.
122. Orel, Şinasi and Süreyya Yuca, The Talat Pasha Telegrams: Historical Fact or Armenian Fiction? K. Rustem, Nicosia: Oxford University Press. 1996.

123. Otto Luchterhandt, , Nagorno-Karabakh's Right to State Independence According to International Law Boston: Armenian Rights Council, 1993.
124. Paul Dukes, The making of Russian absolutism(1613-1801), Publisher.London , New York , Longman,1982.
125. Paul J.Leaderach, , Building Peace: Sustainable Reconciliation in Divided Societies Washington DC: US Institute of Peace Press, 1997.
126. Paul R. Brass,Ethnicity and Nationalism: Theory and Comparison London, Sage, 1991.
127. Paul R. Viotti,and Mark V. Kauppi, International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond. Boston, London: Toronto, Sydney, Tokyo, Singapore: Allyn and Bacon,1999.
128. Paula Hartz,Zoroastrianism, Publisher,New York , Chelsea House Publishers,2009.
129. Peter Balakian ‘ The Burning Tigris: The Armenian Genocide and America's Response, New York: HarperCollins,2003.
130. Peter Roudik‘ Culture and customs of the Caucasus, Greenwood Press, Westport Conn‘2009,p.21.
131. Powell, Robert and David Lake. Strategic choice and international relations. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1999.
132. Rachel Denber, ed. The Soviet Nationality Reader: The Disintegration in Context, Boulder: Westview Press, second edition, 1994.
133. Raffi Hovannisian,Nagorno Karabagh: A White Paper, Washington, D.C.: Arme-nian Assembly of America, 1997.
134. Razmik,Panossian, The Irony of Nagorno-Karabakh: Formal Institutions versus Informal Politics‘ In Ethnicity and Territory in the Former Soviet Union: Regions in Conflict, eds. James Hughes and Gwendolyn Sasse, London, Frank Cass,2002.
135. Razmik.Panossian, The Armenians: From Kings and Priests to Merchants and Commissars, New York: .Columbia University Press, 2006.

136. Richard W. Mansbach, *The Global Puzzle: Issues and Actors in World Politics*. Boston, New York, Houghton Mifflin Company, 2000.
137. Richard G. Hovannisian, *Armenia's Road to Independence*. In *The Armenian People from Ancient to Modern Times, Volume II*, edited by Richard G. Hovannisian, New York: Palgrave Macmillan, 1997.
138. Richard G. Hovannisian, *The Republic of Armenia (1918-1919)*, Berkeley: University of California Press, 1971.
139. Richard G. Hovannisian, *The Republic of Armenia: Between Crescent and Sickle: Partition and Sovietization*, Berkeley: University of California Press, 1996.
140. richard g. Hovannisian, *armenia on the road to independence*, Publisher, university of california press, 1969.
141. Richard Giragosian, *Nagorno-Karabakh: International Political Dimension*, In *The Making of Nagorno-Karabakh: From Secession to Republic*, ed. Levon Chorbajian. New York: Palgrave, 2001.
142. Richard Giragosian, *Secession and Security in the South Caucasus*, published by Francis and Taylor, NY, 1999.
143. Richard Hovannisan, *Historical Memory and Foreign Relations*, In *The Legacy of History of Russia and the New States of Eurasia*, ed. S. Frederick Starr. Armonk, NY: M.E. Sharpe, 1994.
144. Richard Hovannisian, *Armenia on the road to independence 1918*, Publisher. Berkeley, University of California Press, 1967.
145. Richard Sakwa, *Russian Politics and Society* London, Routledge, 2002.
146. Robert Blackwill, and Michael Sturmer, *Allies Divided: Transatlantic Policies for the Greater Middle East*, Cambridge, MA: MIT Press, 1994.
147. Robert H. Donaldson, and Joseph L. Noguee, *The Foreign Policy of Russia: Changing Systems, Enduring Interests*, Armonk, New York; London: M.E. Sharpe, 2002.
148. Robert H. Hewsen, *The Geography of Ananias of Širak (Ašxarhac'oyc')*: The Long and the Short Recensions, Reichert, Wiesbaden, 1992.

149. Robert Keohane, and Joseph Nye S. Power and Interdependence. Glenview, IL: Scott, Foresman, 1989.
150. Robert Service, History of Modern Russia: From Tsarism to the Twenty-First Century. London: Penguin Books, 2009.
151. Robert Strayer, , Why Did the Soviet Union Collapse: Understanding Historical Change London: ME Sharpe, 1998.
152. Roger Petersen, Understanding Ethnic Violence: Fear, Hatred, and Resentment in Twentieth-Century Eastern Europe. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.
153. Ronald Suny, Grigor. The Baku Commune (1917-1918), class and nationality in the Russian Revolution. Publisher. Princeton, N.J., Princeton University Press, 1972.
154. Rost, Yuri, Armenian tragedy, Publisher : Weidenfeld and Nicolson, London, 1990.
155. Rouben P. Adalian, Armenia and Karabagh Factbook. Washington, D.C.: Armenian Assembly of America, 1996.
156. Roudik, Peter, Culture and customs of the Caucasus, Westport, Conn, Greenwood Press, 2009.
157. Roving Revolutionaries, Armenians and the Connected Revolutions in the Russian, Iranian, and Ottoman Worlds, Oakland: University of California Press, 2019.
158. Roy Allison, Russia and the New States of Eurasia, In Contemporary Russian Politics, ed. Archie Brown. Oxford, New York, Oxford University Press, 2001.
159. Rudolph Rummel, Power kills: democracy as a method of nonviolence. New Brunswick, N.J.: Transaction Publishers, 1997.
160. S. Glinka, The Account of the Immigration of Armenians from Azerbaijan into Russia, Moscow, 1831.
161. Simon Chesterman, Secretary or General, The UN Secretary-General in World Politics, Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
162. Simon Gerhard, Nationalism and Policy Toward the Nationalities in the Soviet Union from Totalitarian Dictatorship to Post-Stalinist Society, Boulder, Westview Press, 1991.

163. Simon Gerhard, Nationalism and Policy Toward the Nationalities in the Soviet Union from Totalitarian Dictatorship to Post-Stalinist Society ,Boulder: Westview Press, Pres.
164. Smith D. Anthony , The Ethnic Revival ,Cambridge: Cambridge University Press, 1981.
165. Smith D. Anthony,Nations and Nationalism in a Global Era ,Cambridge: Polity.Press, 1995 .
166. Smith Graham, Law, Vivian, Wilson, Andrew, Bohr, Annette and Allworth, Edward ,Nation-Building in the Post-Soviet Borderlands ,Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
167. Smith, Graham. "The Soviet State and Nationalities Policy, Smith, Graham, ed. The Nationalities Question in the Post-Soviet States. New York: Longman, 1996.
168. Smith, Samantha.Journey to the Soviet Union. Publisher.Boston , Little, Brown.1985.
169. St Antony's International Review, Published By: St. Antony's International Review,2010.
170. Stephen Cornell, and Hartmann, Douglas, Ethnicity and Race: Making Identities in a Changing World,London and New Delhi: Pine Forges Press, 1998.
171. Stephen K. Batalden, and L. Sandra Batalden, The Newly Independent States of Eurasia: Handbook of Former Soviet Republics. Phoenix, AZ: Oryx, 1993.
172. Suny G. Ronald , Looking Toward Ararat: Armenia in Modern History .Bloomington: Indiana University Press, 1993.
173. Suzanne Goldenberg ,Pride of Small Nations: The Caucasus and Post- Soviet Disorder, London: Zed Books Ltd,1994.
174. Svante E. Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Routledge Curzon, 2001.
175. Svante E.Cornell, Small Nations and Great Powers: A Study of Ethnopolitical Conflict in the Caucasus, Routledge, London, 2001.
176. Tadeusz Swietochowski, Russia and Azerbaijan: A Borderland in Transition, Columbia University Press, New York, 1995.
177. Tamara Dragadze, Azerbaijan ,London.Melisende, 2000.

178. Tamara Dragadze, Azerbaijan and the Azerbaijanis. Smith, Graham, ed. The Nationalities Question in the Post-Soviet States. New York, Longman, 1996.
179. Ted Robert and Harff, Barbara. Ethnic Conflict in World Politics. Boulder: Westview Press, 1994.
180. The End of the Soviet Empire: The Triumph of the Nations, New York, Harper Collins, 1993.
181. Thomas De Waal, Black Garden: Armenia and Azerbaijan through Peace and War, New York: New York University Press, 2003.
182. Thomas de Waal: Armenia and Azerbaijan Through Peace and War, NYU Press, New York, 2003..
183. Thomas Goltz, Azerbaijan Diary: A Rogue Reporter's Adventures in an Oil-Rich, War-Torn, Post-Soviet Republic ,London: ME Sharpe, 1998.
184. Tobias Schumacher, Armenia, Azerbaijan and the Nagorno-Karabakh conflict: why the 'black garden' will not blossom any time soon, published by Francis and Taylor, New York, 2016.
185. Tor ukkvoll, Arming the Ayatollahs: Economic Lobbies in Russia's Iran Policy." Problems of Post-Communism, Vol. 49 No. 6, 2002.
186. Troyat, Henri. Catherine The Great. New York : Berkley Books, 1986.
187. United nation , Letter dated 9 May 1992 from the Permanent Representative of Azerbaijan to the United Nations addressed to the President of the Security Council.
188. Vahakn Dadrian, The history of the Armenian genocide: ethnic conflict from the Balkans to Anatolia to the Caucasus. New York: Oxford: Berghahn Books, 2003.
189. Van der Leeuw, Charles, Azerbaijan: A Quest for Identity, London, Curzon Press, 2000.
190. Vartan Matiossian. Azzi-Hayasa on the Black Sea, Another Puzzle of Armenian Origins. Frances & Taylor, New York, 1982.
191. Vladimir Harutiunian, Events in the Nagorno-Karabakh, Yerevan, Armenian SSR Academy of Sciences, 1990.

192. Volkogonov, Dmitriï Antonovich. The rise and fall of the Soviet empire , political leaders from Lenin to Gorbachev ,Publisher, London , HarperCollins,1999.
193. Willem Floor, M.Safavid government institutions, Publisher.Costa Mesa, Calif : Mazda Publishers,2001.
194. William C. ulican, The Medes and Persians, Publisher, New York , Praeger,1965.
195. William Pfaff, The Wrath of Nations: Civilizations and the Furies of Nationalism. London and New York: Simon & Schuster, 1993.
196. William Taubman, Khrushchev : the man and his era, Publisher. New York , Norton, 2003.
197. Wilson, Neil. Georgia, Armenia & Azerbaijan. Publisher. Hawthorn, Vic. London : Lonely Planet. 2000.
198. Yale H. Furguson, and Richard W. Mansbach, The Elusive Quest Continues: Theory and Global Politics, Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 2003.

سادساً: الدراسات والبحوث المنشورة باللغة العربية:

- ١- حسن علي خضير، موقف تركيا من الصراع الأذري -الارمني على اقليم ناغورني كاراباخ (١٩٩١-١٩٩٩)، مجلة جامعة تكريت، المجلد ٣٢، العدد ٢، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢٥.
- ٢- ستيفان لورانت، اتاتورك الذئب الأشهب، ترجمة: فيصل عبد الله، مجلة المناهل، السنة الأولى، العدد ٣، بغداد، ١٩٣٧.
- ٣- محمد السيد سليم، التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية، مجلة السياسة الدولية، السنة ٤٢ العدد ١٧٠، ٢٠٠٧.
- ٤- محمد طلعت، العلاقات التركية - الروسية، مجالات التقارب وقضايا الخلاف، رؤية تركية العدد ٢، ٢٠١٣.

٥- نور ابراهيم نجم ، وسام علي ثابت، دوافع السلطان عبد الحميد الثاني لتطوير الاستخبارات (١٨٧٦-١٩٠٩) ، مجلة الباحث ، ج ١ ، المجلد ٤٤ ، العدد ٣ ، جامعة كربلاء، ٢٠٢٥.

سابعاً: البحوث والمجلات المنشورة باللغة الانكليزية

1. A. N. Yamskov, Ethnic Conflict in the Transcaucasus: The Case of Nagorno-Karabakh, *Theory and Society*, Vol. 20, No. 5, Special Issue on Ethnic Conflict in the Soviet Union ,Oct, 1991.
2. Alec Rasizade ,Azerbaijan Descending into the Third World after a Decade of Independence, *Journal of Third World Studies*, Vol. 21, No. 1, 2004.
3. Aleksandr Bessmertnykh, Experts Critique Russian Foreign Policy, Editorial, *Current Digest of Post Soviet Press* , Vol. 45, No. 1, 1993.
4. Alexander Murinson, *Israel's Strategy in the Caucasus: The Importance of Azerbaijan*. *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 10, No. 3, 2006.
5. Alfred Erich Senn, Perestroika in Lithuanian Historiography: The Molotov-Ribbentrop Pact, Alfred Erich Senn, *The Russian Review*, Vol. 49, No. 1 Published By: Wiley ,Jan, 1990.
6. Andranik Migranian, , Experts Critique Russian Foreign Policy, Editorial. *Current Digest of Post Soviet Press*, Vol 45, No. 7, 1993.
7. Anita Singh, , The Diaspora networks of ethnic lobbying in Canada *Canadian Foreign Policy Journal*, Vol. 18, No. 3, Frances and Taylor. New York. 1992.
8. Anthony D. Smith, Culture, community and territory: the politics of ethnicity and nationalism, *International Affairs* Vol. 72, No. 3 1996.
9. Archie Brown, The End of the Soviet Union, *The Last Empire: The Final Days of the Soviet Union* Serhii plokhy *Journal of Cold War Studies*, Vol. 17, No. 4 Fall, 2015.
10. Atabaki, Touraj & Kane, John O. *Post-Soviet Central Asia*, New York: Taurus Academic Studies K1998.

11. Azerbaijan-Turkey, APS Review Oil Market Trends, vol . 55, 3 July, 2000.
12. Brian Caterino, Perestroika's Last Stand, PS: Political Science and Politics, Vol. 43, No. 4 , Published By: American Political Science Association , October 2010.
13. Brubaker, Rogers, Ethnicity without groups, European Journal of Sociology, Vol. 43, no. 2 , 2002.
14. Burhanettin Duran, The Transformation of Turkey's Political System and the Executive Presidency, Insight Turkey, Vol . 18, No. 4, presidential Turkey proposal , averages Draft , fall 2016.
15. Ceylan taklugul, Perceptions of State and Leadership in Post-Soviet Azerbaijan (1991–2009), Middle Eastern Studies, Vol. 48, No. 3, 2012
16. Christian Davenport, and David Armstrong, Democracy and the Violation of Human Rights: A Statistical Analysis from 1976 to 1996, American Journal of Political Science, Vol. 48, no. 3 , 2004.
17. Christophe R. Thornton, Genocide's Deadly Cycle: Letter from the Caucasus, The Sewanee Review, Vol. 122, no. 4, Published By: The Johns Hopkins University Press, 2014.
18. Craig Calhoun, Nationalism and Ethnicity, American Review of Sociology 99 (1993).
19. David Carment, and Patrick James, Internal Constraints and Interstate Ethnic Conflict: Toward a Crisis-Based Assessment of Irredentism, The Journal of Conflict Resolution, Vol. 39, No. 1 , 1995.
20. Dickran Kouyumjian The Armenian Church and Czarist Russia, B. Der Mugrdechian, ed. Between Paris and Fresno: Armenian Studies in Honor of. Costa Mesa, CA, 2008.
21. Emil Sanamyan, Armenia's Security Apparatus in the 1990, Caucasus Analytical Digest, No. 23, 2010.
22. Emma Elfversson, and Johan Brosché, Communal conflict, civil war, and the state: Complexities, connections, and the case of Sudan, African Journal on Conflict Resolution, Vol. 12, Issue 1, 2012.
23. Erik Melander, The Nagorno-Karabakh Conflict Revisited, Journal of Peace Research, Vol. 38, No. 4, 2001.

24. Farid Guliyev, Oil Wealth, Patrimonialism, and the Failure of Democracy in Azerbaijan, *Caucasus Analytical Digest*, No. 2, 2009.
25. Garnik Asatryan, Karen Yuzbashian *Iran & the Caucasus*, Vol. 13, No. 1 January 6, 1927 - March 5, 2009.
26. George Downs, and Rocke David, Conflict, Agency, and Gambling for Resurrection: The Principal-Agent Problem Goes to War, *American Journal of Political Science*, Vol.8, Issue .2, 1994.
27. Green, Donald and Seher, Rachel, What role does prejudice play in ethnic conflict, *Annual Review of Political Science*, Vol.6 ,2003.
28. Hah, Chong-Do and Jeffrey Martin, Toward a Synthesis of Conflict and Integration Theories of Nationalism, *World Politics*, Vol. 27, No. 3 , 1995.
29. Hannah Arendt ,Imperialism, Nationalism, Chauvinism, *The Review of Politics* ,Vol. 7, No. 4, Published By: Cambridge University Press ,Oct, 1945.
30. Hunter T. Shireen, *The Transcaucasus in Transition: Nation-Building and Conflict*, Washington DC: Centre for Strategic and International Studies, 1994.
31. Igor Ivanov, The New Russian Identity: Innovation and Continuity in Russian Foreign Policy, *The Washington Quarterly* ,vol.24,2001
32. Iulia Shevchenko, Ministerial Turnover in Russia(1990-2004), *Europe-Asia Studies*, Vol. 57, No. 3, May 2005.
33. J.Greppin, Early Greek Historical Fragments Pertinent to Armenian Matters, *Journal of the Society for Armenian Studies*, 1984.
34. J.Hemment, The Riddle of the Third Sector: Civil Society, International Aid, and NGOs in Russia', *Anthropological Quarterly*, Vol. 77, No. 2, 2004.
35. James DeTemple, Military Engagement in the South Caucasus, *Joint Force Quarterly* ,vol.51,2001.
36. James Fearon, and David Laitin, Violence and the Social Construction of Ethnic Identity: Review Essay, *International Organization* 54, no. 4, 2000.
37. James Fearon, and David Laitin, Ethnicity, Insurgency, and Civil War, *American Political Science Review*, Issue 01, 2003.

38. James Fearon, Rationalist explanations for war, International Organization, Vol.49, Issue. 3 ,1995.
39. Jim Bodgener, Central Asia: Turkey's Balancing Act, Middle East Economic Digest ,Vol.36,No.11, 20 March,1992.
40. Joan Esteban, and Debraj Ray, On the salience of ethnic conflict, The American economic review, Vol.98,No. 5,2008.
41. John M. Battle,Uskorenie, Glasnost' and Perestroika: The Pattern of Reform under Gorbachev,Soviet Studies,Vol. 40, No. 3, Published By: Taylor & Francis, Ltd. Jul, 1988.
42. Jonathan Goodhand ,From wars to complex political emergencies: Understanding conflict and peace-building in the new world disorder, Third World Quarterly, Vol.20, Issue 1,1994.
43. Jonathan Goodhand,From wars to complex political emergencies: Understanding conflict and peace-building in the new world disorder, Third World Quarterly, Vol.20, Issue. 1,1999.
44. Karen Von Hippel, The Resurgence of Nationalism and Its International Implications,The Washington Quarterly,Vol. 17,No. 4 ,Autumn 1994.
45. Levon H.Abrahamyan, ,The Karabagh Movement as Viewed by an Anthro-pologist, Armenian Review,Vol. 43, no. 2-3 , 1991
46. Lieb, Doug,The Limits of Neorealism: Marginal States and International Relations Theory, Harvard International Review,vol. 26 ,2004.
47. Liz Fuller, Armenian President Meets with EU Commissioner, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines 9(199). 21 October.2005
48. Lynn Miller, The Idea and the Reality of Collective Security, Global Governance,Vol. 5,2000.
49. Malkhassian, Mark,Gharabagh, Detroit: Wayne State University Press, 1996.
50. Maria Koinova, Diasporas and Secessionist Conflicts: Mobilization of the Albanian, Armeni and Chechen Diasporas, Ethnic and Racial Studies,Vol. 34, no. 2 ,February 2011.
51. Mark A. Uhlig,The Karabakh War,World Policy Journal, Vol. 10, No. 4 (Winter, 1993/1994).

52. Menon, Rajan, Structural Constraints on Russian Diplomacy, Orbis ,vol 45, No.4, 2001.
53. Monique Bolsajian, The Armenian Diaspora: Migration and its Influence on Identity and Politics, Global Societies Journal, Vol. 6, no. 1, 2018.
54. Moorad Mooradian, and Daniel Druckman, Hurting Stalemate or Mediation?: The conflict over Nagorno-Karabakh, (1990-1995), Journal of Peace Research, vol . 36, No.6, 1999.
55. Nasib Nassibli, Azerbaijan's geopolitics and oil pipeline issue, Perceptions: Journal of International Affairs, Vol.4, Issue. 4 , 2000.
56. Nelly Der Kiurghian, Letter. Armenian International Magazine, May 1991.
57. Nina Caspersen, Regimes and peace processes: Democratic (non) development in Armenia and Azerbaijan and its impact on the Nagorno-Karabakh conflict, Communist and Post- Communist Studies, Vol.45, Issue 1-2 , 2012.
58. Pat Leonard The American bibliography of Slavic and East European studies , Publisher, M.E.Sharpe, USA, 1996.
59. Paul Goble , Coping with the Nagorno-Karabakh Crisis: The Fletcher Forum of World Affairs, vol .16, No 2, 1992.
60. Peter Rutland, Democracy and Nationalism in Armenia, Europe-Asia Studies, Vol. 46, No. 5 , Published By: Francis & Taylor Ltd. (1994)
61. Rachel Seher, What role does prejudice play in ethnic conflict, Annual Review of Political Science, Vol.6 , 2003.
62. Rajan Menon, Structural Constraints on Russian Diplomacy, Orbis, Vol. 45 No.4, 2001.
63. Rauf , Characteristics Of Collective Memory, Ethnic Conflicts, Historiography, And The Politics Of Memory, Journal of Russian & East European Psychology, Vol. 46 , 2008.
64. Richard Giragosian, Azerbaijani, Iranian Presidents Meet to Inaugurate New Gas Pipeline, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines 9(237), 2005.
65. Richard Giragosian, Armenian, Azerbaijani Diplomats discuss Nagorno-Karabakh at PACE Meeting, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslines Vol.9, No.174, 1996

66. Robert Legvold, Russia's Unformed Foreign Policy, Foreign Affairs, vol 80, 2001
67. Robert O. Freedman, Russia and Iran: A Tactical Alliance, SAIS Review vol .17, No.2 October 1997.
68. Rogers Brubaker, and David Laitin, Ethnic and Nationalist Violence, Annual Review of Sociology 24, 1998.
69. Ron Hill, The Collapse of the Soviet Union, History Ireland, Vol. 13, No. 2 Published By: Wordwell Ltd, Mar - Apr, 2005.
70. Russell R. James, Armenian and Iranian Studies. Publisher. Belmont, MA : Armenian Heritage Press. 2004.
71. Smith D. Anthony, Culture, community and territory: the politics of ethnicity and nationalism, International Affairs, Vol. 72, No. 3 , 1996, pp.450-453.
72. Steven Grosby, The verdict of history: The inextinguishable tie of primordiality - a response to Eller and Coughlan, Ethnic and Racial Studies Vol.17, No. 1, 1994.
73. Suny, Ronald Grigor, The Fall of a President, AIM: Armenian International Magazine, vol 9. 1995.
74. Svante E. Cornell, Turkey and the Conflict in Nagorno-Karabakh: A Delicate Balance, Middle East Studies, vol. 34, No.1, 1998.
75. Ted Robert Gurr, Peoples Against States: Ethnopolitical Conflict and the Changing World System, International Studies Quarterly, Vol. 38 , 1994.
76. The Ethnic Sources of Nationalism, Survival vol.35, (Spring 1993).
77. Tor Bukkvoll, Arming the Ayatollahs: Economic Lobbies in Russia's Iran Policy, Problems of Post-Communism, Vol 49, 1992.
78. William C. Bodie, Anarchy and Cold War in Moscow's 'Near Abroad', Strategic Review 21, 1993.
79. William C. Bodie, 'Anarchy and Cold War in Moscow's 'Near Abroad', Strategic Review Vol. 21, No.1 , 1993.
80. Yael Tamir, The Enigma of Nationalism, World Politics , Vol.47, April 1995.
81. Z. Race Baber, Religion and Riots: The 'Racialization' of Communal Identity and Conflict in India, Sociology, Vol. 38, No.4 , 2004.

82. Zbigniew Brzezinski and Samuel P. Huntington, "Cincinnatus and the Apparatchik" World Politics, Vol. 16, No. 1 Published By: The Johns Hopkins University Press, Oct, 1963.

ثامناً: الصحف الاجنبية:

1. The Independent, No. 117, 5 March 1992
2. NY Times, front page, No. 49013, March 1992
3. Newsweek, No. 1189, 1992
4. The Irish Times, No. 3521, 1992.
5. Time, No. 1722, 2 March 1992.
6. The Times, 2 March 1992.
7. The Times, 3 March 1992.
8. The Boston Globe, front page, 3 March 1992.
9. The Independent, 12 June 1992.
10. LA Times, No. 9766, 12 June 1992.
11. LA Times, March 1992.
12. The Washington Post, 4 March 1992.
13. The Guardian, 3 March 1992.
14. The Sunday Times, front page, No. 8741, March 1992.
15. The Sunday Times, May 1992.
16. The Guardian, 2 March 1992.
17. The Washington Post (pre-1997 Fulltext); Sep 15, 1991.
18. The Washington Post, 28 February 1992.
19. Los Angeles Times newspaper, March 4, 1988.

تاسعاً-الموسوعات

- 1- Charles Phillips, Encyclopedia of wars, Publisher New York , Facts on File, Inc, 2005.
- 2- Robert Goodin, The Oxford Handbook of Political Science. Oxford: Oxford University Press, 2011.

عاشراً- التقارير:

1. Alain Deletroz, Nagorny Karabakh: Put' k Miru Lezhit Cherez Referendum, International Crisis Group. 31 October 2005.

2. Alexander Iskandaryan, The Karabakh Conflict From Soviet Past to Post-Soviet Uncertainty, Caucasus Survey, 2012.
3. Alexander Pakhomov, Azerbaijan, Armenia Leaders in USA for Nagorno-Karabakh Talks. ITAR-TASS News Agency, 3 April, 2001.
4. David Abel, Turkey Poised to Play a Greater Role in Europe, Defense Week 0273-3188, 15 November, 1999.
5. Economist Intelligence Unit, 1995-1996. Country Profile: Georgia, Armenia, Azerbaijan. London, UK: 1996.
6. Fearon James and David Laitin, Ethnicity, Insurgency, and Civil War, American Political Science Review, Issue 01 2003.
7. Gafarli Orhan, The Karabakh Ceasefire and regional economics, The Central Asia-Caucasus Analyst, 2021.
8. Hamlet Matevosian, Armenia Prepared to Begin Individual Partnership Program with EU, RIA Novosti. October 24, 2005.
9. Helly Damien, and Nicholas Whyte, Bringing Peace to EU's 'New Neighbors', International Crisis Group, 19 May, 2004.
10. Human Rights Watch –Azerbaijan: Seven Years of Conflict in Nagorno-Karabakh (December 1994) pp.11-13
11. Human Rights Watch, Helsinki, Azerbaijan, Seven Years of Conflict in Nagorno- Karabakh, New York: Human Rights Watch, 1990.
12. Maike Ivan Lebedev Lehmann, Apricot Socialism: The National Past, the Soviet Project, and the Imagining of Community in Late Soviet Armenia, Slavic Review, Published By: Cambridge University Press, USA, 2015.
13. Need for Nagorno-Karabakh Settlement Pressing-Mediator, ITAR-TASS News Agency. 11 January, 2002.
14. Patricia Carley, Nagorno-Karabakh: Searching for a Solution, A United States Institute of Peace Roundtable Report. Washington, DC: United States Institute of Peace, 1998.
15. Pavel Koryashkin, Russia Interested in Settling Nagorno-Karabakh Conflict, ITAR-TASS News Agency, 7 September, 2001
16. R. G. Gidadhubli, Perestroika and Glasnost, Published By: Economic and Political Weekly.

17. Report from human right watch , Azerbaijan. Seven Years of Conflict in Nagorno-Karabakh, United States, 1994.
18. Richard Giragosian, ,U.S. Unveils Massive Aid Package to Armenia, Radio Free Europe/Radio Liberty Newslane 9(237, 2005.
19. S.Freizer, Twenty years after the Nagorny Karabakh ceasefire: an opportunity to move towards more inclusive conflict resolution, Caucasus Survey ,2014.
20. Stephen Blank, Israel and Azerbaijan's Furtive Embrace, The Central Asia-Caucasus Analyst, 2004.
21. That Controversial G-word; Turkey and the Armenians; Turkish Twitchiness about Armenians, The Economist. 3 February, 2001.

حادي عشر- مواقع شبكة الانترنت:

- 1- [Doha Institute. “Nagorno-Karabakh.” Arab Center for Research and Policy Studies. https://www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/nagorno-karabakh. Accessed January 25, 2025](https://www.dohainstitute.org/ar/politicalstudies/pages/nagorno-karabakh)
- 2- <https://www.polgeonow.com/2020/12/nagorno-karabakh-control-map-after-ceasefire-withdrawals.html?m=1>
- 3- <https://www.google.com/search?q=map+for+Nagorno-Karabakh&client=ms-android-samsung-gs->
- 4- https://www.crisisgroup.org/content/nagorno-karabakh-conflict-visual-explainer?utm_source=chatgpt.com
- 5- https://lieber.westpoint.edu/complete-defeat-end-non-recognized-state-nagorno-karabakh/?utm_source=chatgpt.com
- 6- https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/09668136.2023.2214708?utm_source=chatgpt.com#abstract
- 7- https://www.newyorker.com/news/our-columnists/the-violent-end-of-nagorno-karabakhs-fight-for-independence?utm_source=chatgpt.com
- 8- https://www.cfr.org/global-conflict-tracker/conflict/nagorno-karabakh-conflict?utm_source=chatgpt.com

- 9- https://brooklynworks.brooklaw.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1932&context=bjil&utm_source=chatgpt.com
- 10- <https://www.mountainous-karabakh.org/document.html>

National and regional conflicts constitute one of the most prominent manifestations of the complex divisions that characterized the regions under Soviet influence during the twentieth century. Ethnic, religious, historical, and political contradictions accumulated under a strong central authority, which quickly collapsed in the late 1980s, revealing the fragility of the demographic and institutional structures in the former Soviet republics. These conflicts resulted from a long legacy of politicized administrative decisions enacted under an absolute authority that did not recognize national identities or the historical rights of peoples, but rather viewed the geopolitical map as a stage for balancing interests and rewarding loyalties. Among these conflicts, the Nagorno-Karabakh conflict is among the most intractable, given its historical reach, its complex dimensions, and the intertwining of local, regional, and international factors influencing it. Nagorno-Karabakh, meaning "Black Highlands," lies in the heart of the South Caucasus. For centuries, it has been a constant flashpoint between the major powers competing over this strategic region, from the Persian and Ottoman empires to Russian and then Soviet domination. The region was characterized by its complex demographic composition, with Armenians constituting the majority of the population, while administrative sovereignty was sometimes subordinated to the Persians, sometimes to the Turks, and later to the Russians. Following the expansion of the Russian Empire into the Caucasus during the nineteenth century, Nagorno-Karabakh was incorporated into Tsarist rule. However, major transformations came in the wake of the Bolshevik Revolution of 1917, which reshaped the map of the Caucasian republics according to an ideological and political perspective, rather than based on demographic or historical realities. In 1923, the Soviet leadership annexed Nagorno-Karabakh, with its overwhelmingly Armenian majority, to the Azerbaijan Soviet Socialist Republic, granting it autonomy within Azerbaijani borders. This move was later described as an expression of political calculations aimed at wooing the newly formed Kemalist Turkey and maintaining the regional balance in the South Caucasus. This decision was merely a postponement of the crisis, not a solution. Armenians' demands for the region's

annexation to the Republic of Armenia remained present, but Soviet repression and fear of political liquidation silenced them for decades until the 1980s brought with it a wind of change. With the launch of the policy of perestroika (restructuring) and glasnost (transparency) announced by Mikhail Gorbachev in the mid-1980s, public spaces in the Soviet Union opened up to national and legal discussions. Armenians in Nagorno-Karabakh demanded secession from Azerbaijan and integration into Armenia. These demands were based on the argument of the population majority, the shared history, and the ancient Armenian culture of the region. The Azerbaijani authorities met these demands with categorical rejection, and the opposing positions were accompanied by an escalation in tensions, which led to widespread demonstrations in both Yerevan and Baku, which quickly turned into acts of violence and bloody confrontations, most notably the Sumgait massacre, which claimed the lives of 1,000 people. Dozens of Armenians were killed in 1988. The collapse of the Soviet Union in 1991 left a major security and political vacuum, which local forces exploited to reorganize their positions according to the logic of force. The Armenians in Nagorno-Karabakh unilaterally declared the region's independence from Azerbaijan, under the name "Nagorno-Karabakh Republic." This declaration was not recognized by any country in the world, including Armenia itself, but it was the turning point that pushed the conflict toward all-out war. Armenia and Azerbaijan fought an open war from 1991 to 1994, one of the bloodiest wars of the post-Cold War era. The war officially ended with the signing of a ceasefire agreement brokered by Russia in May 1994. This agreement did not end the crisis, but rather froze it, establishing a new reality on the ground, based on Armenian control of the region and surrounding areas, in exchange for the displacement of hundreds of thousands of Azerbaijani residents and the transformation of Nagorno-Karabakh into a de facto independent entity without International recognition. Diplomatic efforts led by the OSCE Minsk Group have been unable to provide a genuine political settlement that addresses the roots of the conflict and meets the demands of the two conflicting parties.

The thesis is divided into an introduction, three chapters, and a conclusion. The first chapter includes a geographical and historical overview of Nagorno-Karabakh until 1988. It addresses the importance of the region's geographical location and natural features, its demographic composition—Armenian in majority and Azerbaijani in minority—and an analysis of the local community in terms of religion, language, and culture. It also examines the early stages of the Russian Empire's control over the Caucasus, its annexation of Nagorno-Karabakh in the early nineteenth century, and its repercussions on the demographic and political situation. It discusses the establishment of the region as an autonomous region within the Azerbaijan Soviet Republic in 1923, under Joseph Stalin's nationalities policy. The chapter focuses on the development of relations between Armenians and Azerbaijanis during the Soviet era, and the This was accompanied by marginalization of the Armenian majority and Azerbaijani attempts at political and cultural hegemony, as well as Turkification policies, identity and affiliation conflicts, and the intensification of nationalist demands amidst the relative openness of the Gorbachev era. The chapter concludes by examining the early rise of the Armenian movement in the region, with the escalation of demands for secession from Azerbaijan and integration into Armenia. This period became a realistic prelude to the coming explosion in 1988.

Chapter Two sheds light on the developments in the Nagorno-Karabakh conflict and the beginning of the shift from political demands to direct confrontation in 1988. It examines the emergence of the Armenian nationalist movement in Karabakh and the public calls for secession from the Azerbaijan Soviet Republic and integration with Armenia, taking advantage of the political openness that accompanied Gorbachev's reforms under perestroika and glasnost. The chapter also addresses the early Russian (Soviet) intervention in an attempt to contain the crisis and the apparent inability of the Soviet leadership in Moscow to contain the conflict or provide effective solutions, especially after the escalation of mass protests in both Yerevan and Baku, and the transformation of the conflict into violent sectarian and ethnic clashes. The chapter devotes

space to the emergence of the Azerbaijani nationalist movement in response to Armenian demands, the intensification of separatist sentiment within Karabakh, and the outbreak of waves of violence and mutual displacement between Armenians and Azerbaijanis, leading to the gradual disintegration of the Communist Party's authority in the region and the two neighboring republics. The third chapter, titled "The Escalation of the War in Nagorno-Karabakh and Its Developments between 1992 and 1994," focuses on the transition from political tensions to the outbreak of open war between Armenia and Azerbaijan, reviewing major military developments in the region and the fall of several strategic cities. The chapter also addresses the escalation of the conflict during 1991 and 1992, the failure of Russian and European initiatives to halt it, and the inability of the Minsk Group to impose a peaceful settlement. The chapter addresses the second phase of the war in 1992, which saw the spread of fighting to large areas, and the role of regional parties in fueling the conflict. The chapter also discusses the role of the UN Security Council and its resolutions calling for a ceasefire and troop withdrawal, which were unsuccessful in their implementation on the ground. The chapter also reviews the course of the war during 1993, the military advance of Armenian forces into the region and neighboring Azerbaijani regions, and the waves of displacement and severe economic deterioration that resulted, along with international efforts to impose a peaceful settlement. The chapter concludes with an examination of the social and economic impacts of the war on the local population and Russia's role in sponsoring the 1994 ceasefire agreement, which ended the fighting but kept the roots of the conflict intact even after the war ended.

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Karbala
College of Education for Human Sciences
Department of History



The Civill War in Nagorno- Karabakh (1988-1994) A Historical Study

A thesis submitted by the student

Zubaida Ahmed Naji Hamza Al-Hasnawi

**To the Council of the College of Education for Human
Sciences at the University of Karbala ,as a part of the
requirements for obtaining a doctorate in modern and
contemporary history**

Supervisor by

Assistant Prof. Dr

Salam Fadhel Hassoon Al-Masoudi

1447 A.H

2025 A.D